

سيرة الأئمة
عليهم السلام
علي بن أبي طالب

الجزء السادس

مكتبة جامع الإمام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأوّل

الإدارة عند أمير المؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الطبعة الأولى: / شوال ١٤٢٤هـ - ١١ / ٢٠٠٣م

المفكر الإسلامي نجاح الطائي

دار الهدى لإحياء التراث - بيروت - لندن

العدد المطبوع: ١٥٠٠

NAJAH AL - TAEI

BEIRUT - LONDON

najahtaee@yahoo.com

الفصل الأول : نظرية الامام الادارية

إدارة الإمام ﷺ لشؤون الناس

كان الإمام علي ﷺ يدير الأمور بحزم وبنفسه ولا يرضى بوكيل كما سترى :
عن علي ﷺ أنه قال لا بدّ من إمارة ورزق للأمير ، ولا بدّ من عريف^(١)
ورزق للعريف ، ولا بدّ من حاسب ورزق للحاسب ، ولا بدّ من قاضي ورزق
للقاضي ، وكره أن يكون رزق القاضي على الناس الذين يقضي لهم ، ولكن من بيت
المال . وعن علي ﷺ أنه كان يمشي في الأسواق ويبيده درّة يضرب بها من وجد من
مطّف أو غاشّ في تجارة المسلمين .

قال الأصمغ^(٢) : قلت له يوماً أنا أكفيك هذا ، يا أمير المؤمنين ، واجلس في
بيتك ، قال : ما نصحتني يا أصمغ ، وكان يركب^(٣) بغلة رسول الله ﷺ الشهباء
ويطوف في الأسواق سوقاً فأتى يوماً طاق اللحامين ، فقال : يا معشر القصابين
لا تعجلوا الأنفس قبل أن تزهق ، وإيتاكم والنفع في اللحم ، ثم أتى إلى الثمارين فقال
أظهروا من ردئ بيحكم ما تظهرون من جيده . ثم أتى السماكين ، فقال : لا تبيعوا إلا
طيباً وإيتاكم وما طفا^(٤) ثم أتى الكناسة^(٥) ، وفيها من أنواع التجارة من نخاس^(٦)

(١) العريف كأمير من يعرف أمير القوم ، ورئيس القوم وهو دون الرئيس - العريف من يعرف
أصحابه - من القاموس .

(٢) وهو أصمغ بن غياث الصحابي (القاموس) .

(٣) يركب علي .

(٤) طفا : طفا .

(٥) الكناسة القمامة وموضع بالكوفة .

(٦) النخاس بياع الدواب والرفيق .

وقاط^(١) وبائع إيل وصيرفي، وبرّاز، وخبّاط، فنادى بأعلى صوت: يامعشر التجّار، إنّ أسواقكم هذه تحضرها الايمان فشوبوا^(٢) أيمانكم بالصدقة، وكفّوا عن الحلف، فإنّ الله تبارك وتعالى لا يقدر من حلف باسمه كاذباً. وعن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: إنّ الخصومة تمحق الدين وتدرسه وتحبط العمل وتورث النفاق. وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه أوصى رجلاً فقال: ما استطعت من معروف تفعله فافعله، وإياك أن تدخل بين اثنين في خصومة، إنّ لك النذير، إنّّي لك النذير، إنّّي لك النذير.

قوانين السجن والحكم

عن علي عليه السلام أنه قال: لا حبس في تهمة إلا في دم والحبس بعد معرفة الحقّ ظلم.

وعنه عليه السلام أنه قال: من خلّد في السجن رزق من بيت المال، ولا يخلّد في السجن إلا ثلاثة: الذي يسك على الموت، والمرأة ترتدّ إلا أن^(٣) تتوب، والسارق بعد قطع اليد والرجل، يعني إذا سرق بعد ذلك في الثالثة. وعنه عليه السلام أنه قال: لا حبس على معسر في الدين. وعنه عليه السلام أنه قال: إذا شهد شهود على رجل بحقّ في مال، ولم يعرف القاضي عدالتهم، وكان في بلد آخر قاضٍ آخر يعرف ذلك، فإن كانت الشهادة في طلاق أو حدّ، لم يقبل فيه كتاب قاضٍ إلى القاضي ولا شهادة على شهادة ولا يقبل كتاب قاضٍ إلى قاضٍ في حدّ. وعن علي عليه السلام أنه قال: لا ينفذ كتاب قاضي أهل البغي ولا يكاتب.

وعنه عليه السلام أنه قال: من وكلّ وكيلاً حكم على وكيله، وتجاوز الوكالة بغير محضر^(١) من الخصم. وعن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن وجب عليه الحقّ فسأل التأخير: فقال أما الرجل الواحد الذي عليه الحقّ إنّما يريد بذلك المظل، فلا يؤخّر، وأما الذي يريد أن يكسر ماله^(٢) ويبيع فإنّه ينظر بقدر ذلك.

وعنه عليه السلام أنه قال: من امتنع من دفع الحقّ وكان موسراً حاضراً عنده ما وجب عليه، فامتنع من أدائه وأبى خصمه إلا أن يدفع إليه حقّه، فإنّه يضرب حتى يقضيه، وإن كان الذي عليه لا يحضره إلا في عروض، فإنّه يعطيه كفيلاً أو يجبس له إن لم يجد الكفيل إلى مقدار ما يبيع ويقضي.

وعنه عليه السلام أنه كان يرى الحكم على الغائب ويترك على حجّة إن كانت له حجّة، فإن لم يوتق بالعرم المحكوم له أخذ عليه كفيلاً بما يدفع إليه من مال الغائب، فإن كانت له حجّة ردّ^(٣) إليه.

وعنه عليه السلام أنه قال: إذا ترفع إلى القاضي أهل الكتاب قضى بينهم بما أنزل الله كما قال الله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. وعن علي عليه السلام أنه خطب الناس بالكوفة، فقال: يا أيها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى جعل لي عليكم حقاً بولايتي أمركم ومنزلي التي أنزلني بها عزّوجلّ من بينكم. ولكم عليّ النصيحة والعدل^(٤). فالإمام عليه السلام حدّد رزق القاضي على الدولة كي لا يقضي بالباطل لأجل الرشوة وكان الإمام عليه السلام يضرب اللصّ والغاش بنفسه لمنع الاضطراب في الأسواق وتحكيم الأمن فيها.

ورفض الإمام عليه السلام نصيحة الأصعب بتعيين وكيل لهذه الأعمال، فوظيفة الإمام

(١) أي حاضر.

(٢) كسر متاعه باعه ثوباً ثوباً.

(٣) ردّه: ردّ إليه.

(٤) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ٢ / ٥٣٩.

(١) القمط الحبل تشدّد به القوائم عند الذبح.

(٢) في كل النسخ (فشوبوا) كما في المتن، ولعلّ الصحيح (فتشوبوا) أيمانكم الخ.

(٣) حتى تموت أو تتوب.

حفظ النظام ورعاية الحقوق العامة .

وعن السجون توجه لها الإمام عليه السلام بعناية بالغة فرفض إيداع الناس في السجون على التهمة إلا في قضايا القتل وقبل الحكم .

وبعد الحكم الشرعي لا يجوز إيداع الناس في السجون في حين تمتلأ سجون الدنيا بمواطنين لم تثبت تهم في حقهم !

ويضرب الغني الممتنع عن دفع أموال الناس حتى يقضي ديونهم .

متابعة مظالم الناس

أول من أسس ديوان متابعة المظالم هو الإمام علي عليه السلام فالإسلام جاء لرفع الظلم المتسلط على رقاب المستضعفين وإعطائهم حقوقهم فحصل الناس على حقوقهم المهضومة في الجاهلية على أيدي طغاة الحزب القرشي وباقي أعراب جزيرة العرب .

فأبنا حصل الإسلام وجد العدل المنافي للظلم والباطل لذا كان من خروج الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذان فرعان والفرع الأول من هذه الفروع الصلاة وهدف ديوان المظالم الذي أسسه الإمام علي عليه السلام : النظر في الشكاوى التي يرفعها المواطنون ضدّ الولاة والحكام إذا انحرفوا عن طريق الحقّ وجاروا على الرعية . وسلبوا حقوقهم المادية والمعنوية . وطمس جور العمّال في جباية الأموال .

ومحاسبة كتاب الدواوين لأنهم الأمناء على بيوت الأموال فيما يستوفونه ويوفّونه .

مراعاة إقامة الشعائر الدينية والعبادات كصلاة الجمعة والأعياد والحجّ والجهاد .

النظر في مظالم الموظفين في الدولة .

ردّ ما غصبه الظالمون إلى المظلومين والمستضعفين .

إدارة الأوقاف العامة والخاصّة .

تنفيذ الأحكام الصادرة من القضاة والمحتسبين ؛ لأنّ والي المظالم أقوى يداً وأنفذ أمراً من غيرهم .

محاسبة العمّال وغيرهم من كبار الموظفين إذا شدّوا في سلوكهم ، ولم يؤدّوا واجباتهم^(١) .

هذه أهمّ وظائف والي المظالم ، وقد أهملت هذه الولاية التي هي من أهمّ المناصب وأخطرها ، فقد أنيط بها تطبيق العدل وصيانة الحقوق وإقصاء الظلم عن الناس . واهمال هذا المنصب فيه ضياع لحقوق المسلمين .

الولاة والإدارة عند الإمام عليه السلام

السير على القانون أولاً : أي تطبيق القانون الإسلامي على الجميع بحدّ سواء ولو كان التجاشي شاعر الإمام علي عليه السلام في صفّين .

لكن هذا الشاعر رفض هذا الأمر واستنكر إجراء الحدّ عليه لشربه الخمر فهرب إلى معاوية ومال إليه^(٢) .

وقال الامام عليه السلام لقومه عند البيعة : اعلّموا أنّي إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب^(٣) .

ومراعاة الدين

رفض الإمام علي عليه السلام الدهاء لأنّه من أعمال الشيطان قائلاً : لولا كراهية

(١) النظم الإسلام ٣٢٥ .

(٢) البحار ٤١ / ٩ ، الغارات ٢ / ٥٣٣ ، المناقب ، ابن شهر آشوب ٢ / ١٤٧ .

(٣) البحار ٣٢ / ٣٥ ، المناقب ، ابن شهر آشوب ٢ / ١١٠ ، نهج البلاغة ، الخطبة ٩٢ .

القدر كنت من أدهى الناس إلا إن لكل غدره فجرة ولكل فجرة كفرة ، ألا وإن الغدر والفجور والحياة في النار^(١).

تحقيق الحق

قال الإمام عليه السلام : والله لها (نعلاي) أحب إليّ من أمركم هذا ، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً^(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر : الزم الحقّ وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإنّ مغية ذلك محمودة^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام : من عمل بالحقّ مال إليه الخلق^(٤) . وتنظيم الإدارة واستغلال الفرص : قائلاً : إيتاكم وتأخير العمل ودفن الخير فإنّ ذلك الندم^(٥).

وقول الإمام عليه السلام في وصيته للحسن والحسين عليه السلام مشهور : عليكم بتقوى الله ونظم أمركم^(٦).

وقال الإمام عليه السلام : آفة الأعمال عجز العمال^(٧).

وقال عليه السلام : لا تتكل في أمورك على كسلان^(٨).

وشرط الإمام علي عليه السلام على ولاته أرزاق عيالهم قائلاً : ثم أسبغ عليهم

(١) البحار ٣٣ / ٤٥٤ ، الكافي ٢ / ٣٣٨ ، غرر الحكم ١٠٠٤١ ، المواعظ ٥١٢ ، المعيار والموازنة ١٦٦ ، نهج البلاغة الخطبة ٢٠٠ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٣٣ ، الإرشاد ١ / ٢٤٧ ، البحار ٣٢ / ١١٣ .

(٣) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ ، تحف العقول ١٤٥ .

(٤) عيون الحكم والمواعظ ٤٦٠ / ٨٣٦٢ ، غرر الحكم ٨٦٤٦ .

(٥) البحار ٧٥ / ٣٥٥ ، وقعة صفين ١٠٨ .

(٦) ينابيع المودة ٢ / ٣٠ ، نهج البلاغة الكتاب ٤٧ .

(٧) غرر الحكم ٣٩٥٨ .

(٨) غرر الحكم ١٠٢٠٥ .

الأرزاق فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك ، وتلموا أمانتك^(١).

التحسين والتقيح : أي تحسين أعمال الخيرين الطيّبة وتقيح أفعالهم الخاطئة ، إذ قال الإمام عليه السلام للأشتر : ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة^(٢).

مراقبة الولاية :

مراقبة الولاية ومحاسبتهم أمر في غاية الأهمية في الدولة الإسلامية سنّه النبي ﷺ وسار عليه الإمام علي عليه السلام .

وأهميته نابعة من منع الظلم والحيف وتحقيق العدالة والمحافظة على أموال المسلمين .

وقد سنّ ذلك ، ووضع منهاجه الرسول الأعظم ﷺ ، فكان يحاسب عياله على ما في أيديهم وعلى ما أنفقوه ، وقد استعمل رجلاً من الأزدي على الصدقات فلما رجع حاسبه فقال الرجال :

هذا لكم ، وهذا أهدي لي .

فأنكر النبي ﷺ ذلك وقال :

« ما بال الرجل نستعمله على العمل ممّا ولّانا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي لي ؟ أفلا قعد في بيت أمّه وأبيه فنظر أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده ! لا نستعمل رجلاً على العمل ممّا ولّانا الله فيغلّ منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، وإن كانت بقرة لها خوار ، وإن كانت شاة تمغر » .

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ ، تحف العقول ١٣٧ .

(٢) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ ، تحف العقول ١٣٠ .

ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم هل بلغت» قالها مرتين أو ثلاثاً^(١).
وسار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المنهج في دور حكومته فكان يراقب
الولاية والعمال، ويمعن في محاسبتهم، فإذا بدرت من أحدهم خيانة بادر إلى عزله،
ومصادرة ما اختلسه من الأموال، وقد بلغه عن بعض عماله أنه استأثر ببعض
أموال المسلمين فكتب إليه:

«أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت
إمامك...، بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت
يديك، فارفع إلي حسابك، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس^(٢)».
وكتب إلى زياد بن أبيه، وهو وال من قبل عامله على البصرة عبد الله بن
عباس، يحذّره من الخيانة، وقد جاء فيما كتبه إليه:

«وليني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً
صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل
الأمر^(٣)».

عزل من ثبتت خيانتة من العمال

الإمام علي في القرآن هو الصراط المستقيم فكانت أعماله كذلك.
قال صاحب الاستيعاب: كان علي عليه السلام لا يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات
والأمانات، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: «قد جاء تكلم موعظة من ربكم
فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعتوا في الأرض

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ٢٤٨.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده ٣ / ٢٢.

(٣) المصدر السابق ٣ / ٢٢.

مفسدين. بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ^(١). إذا أتاك كتابي
هذا فاحفظ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلّمه منك»، ثم يرفع
طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أنني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك.
وخطبه ومواعظه ووصاياہ لعماله إذ كان يخرجهم إلى أعماله كثيرة مشهورة لم
أرض التعرّض لذكرها، لئلا يطول الكتاب، وهي حسان كلّها^(٢).

وأحضر الإمام عليه السلام الأشعث بن قيس، وكان عثمان استعمله على آذربيجان،
فأصاب مائة ألف درهم، فبعض يقول: أقطع عثمان إياها، وبعض يقول: أصابها
الأشعث في عمله.

فأمره علي عليه السلام بإحضارها فدافعه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أصبها في
عملك. قال: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين، لأضربك بسيفي هذا
أصاب منك ما أصاب^(٣).

فأحضرها وأخذها منه وصيرها في بيت مال المسلمين، وتتبع عمال عثمان،
فأخذ منهم كلّ ما أصابه قائماً في أيديهم، وضمّهم ما أتلفوا^(٤).

محاسبة الولاية

ونقل عن سودة بنت عمار الهمدانية أنّها قدمت على معاوية بعد موت
علي عليه السلام، «فجعل معاوية يؤنّبها على تعريضها عليه في أيام قتال صفين، ثمّ إنّه قال
لها: ما حاجتك؟ فقالت: إنّ الله تعالى مسألك عن أمرنا وما فوّض إليك من
أمرنا، ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمقامك ويبطش بسلطانك فيحصدنا

(١) اقتباس من سورة الأعراف: ٨٥ وهود ٨٥ و٨٦.

(٢) الاستيعاب: ٣ / ٢١٠ و ٢١١ / ١٨٧٥.

(٣) اقتباس من سورة الأعراف: ٨٥ وهود ٨٥ و٨٦.

(٤) دعائم الإسلام ١ / ٣٩٦.

حصد السنبيل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، وبذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قد قدم علينا، فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلتنا عنّا شكرناك وإلا فإلى الله شكوناك.

فقال معاوية: إيتاي تعنين ولي تهددين! لقد هممت ياسودة أن أحملك على قتب أشوس، فأردك إليه فينفذ حكمه فيك. فأطرت ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسم تضمّنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا .
قد حالف الحق لا يبغى به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا .
فقال معاوية: من هذا ياسودة؟ فقالت: هذا والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لقد جثته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائماً يريد الصلاة، فلما رأني انتقل، ثم أقبل عليّ بوجه طلق، ورحمة ورفق، وقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر فيك، ثم قال: اللهم أنت شاهد أنّي لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (١)
وإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يدك من عملي حتى تقدم عليك من يقبضه. والسلام.

ثم دفع إليّ الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنّا معزولاً.
فقال: اكتبوا لها بما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية (٢).

ولما استدرك علي ابن هرمة خيانة، وكان على سوق الأهواز، فكتب إلى رفاعة:- إذا قرأت كتابي فنجّ ابن هرمة عن السوق، وأوقفه للناس، واسجنه وناد

(١) سورة الأعراف ٨٥.

(٢) الفصول المهمة ١٢٧، العقد الفريد ١ / ٣٣٥، بلاغات النساء ٤٧، كشف الغمّة ١ / ١٧٣ بحار الأنوار ٤١ / ١١٩ / ٢٧.

عليه، واکتب إلى أهل عملي تعلمهم رأيي فيه، ولا تأخذك فيه غفلة ولا تفريط، فتهلك عند الله، وأعزلك أخت عزلة، وأعيذك بالله من ذلك (١).

شرط الورع

شرط الإمام علي عليه السلام على ولاته انتخاب المؤمنين السابقين في الإسلام قائلاً:
فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة (٢).

في حين دعا عمر لاستخدام الفاجر الفاسق تحت عنوان القوي.

إذ كتب عمر لابن العاص: من عبد الله أمير المؤمنين إلى العاصي ابن العاصي (٣). وقال عمر للمغيرة بن شعبة: صدقت فأنت القوي الفاجر (٤).
فاعترف عمر بفجور المغيرة! (٥)

(١) دعائم الإسلام، المغربي ٢ / ٥٣٢.

(٢) دعائم الإسلام ١ / ٣٦١، تحف العقول ١٣٧.

(٣) عبقرية عمر، العقاد ٢٨.

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربه في أوائل الكتاب.

(٥) صحيح مسلم ٧ / ١٢٣، شواهد التنزيل، الحسكاني ٢ / ٤١٤، ١ / ١٨٧، تاريخ دمشق،

ابن عساکر ٢ / ٨٦، روضة الواعظين، النيسابوري ٩٠، المسترشد، الطبري ٥٨٨، شرح الأخبار، القاضي المغزي ١ / ١٠٤، الإرشاد، المفيد ١ / ١٧٥، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٤، البحار ٣٧ / ١٨٨، العمدة، ابن بطريق ١٠٠، أسباب النزول، الواحدي ١٥٠ ط مصر، خصائص الوحي المبين، ابن بطريق ٨٨، بشارة المصطفى، محمد بن علي الطبري ٢٧٦، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠، ورواه الترمذي وابن ماجه والنسائي، الصواعق المحرقة ٤٣، سّر العالمين ١ / ٣٧، ذخائر العقبى ٨٢، الملل والنحل، الشهرستاني ٧٠، تفسير الثعلبي ١ / ٢١٧، تفسير القمي، الآية، تفسير الفيض الكاشاني ٢ / ٥١، تفسير البرهان ١ / ٤٨٨، تفسير السيوطي ٢ / ٢٥٢، تفسير الآكوسي ٦ / ٦١، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، الكوفي ٢ / ٣٨٢، نزول القرآن، أبو نعيم الأصبهاني ٨٦، فرائد السمطين ١ / ١٥٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٥ / ٢١٣، ما نزل من القرآن في

وقال لابي هريرة في سرقته أموال المسلمين: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه^(١). واتهم عمر أبا هريرة بالكذب في الحديث قائلاً: أكثرت من الحديث وأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله^(٢). ورغم ذلك استخدمه عمر واليا واعتمد عليه!

محاسبة الولاة والعمّال:

كان الامام يحاسب الناس بنفسه: إذ قال الإمام عليه السلام للمالك الأشتر: استعملهم اختباراً ثم تفقّد أعمالهم وابتع العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم^(٣). بينما أعات المغفرة الفساد في ولايته أيام عمر.

إعطاء الرواتب للعمّال ومحاسبتهم

أول عامل دافع للسرقة والحيف والميل عدم إعطاء العمّال أرزاقهم فهي حجة لهم لاغتصاب أموال بيت المال.

لذا قال الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر: ثم أسبغ عليهم الأرزاق؛ فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو تلموا أمانتك^(٤).

وقال عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر: ثم انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً... ثم تفقّد أعمالهم، وابتع العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم؛ فإن

^(١) علي عليه السلام، الحبري ٤٤، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، المحافظ أبو نعيم الأصبهاني ٣٦، مجمع الهيتمي ٢٠٧/٩، كنز العمال، ٣٩٢/٦.

(١) البداية والنهاية، ابن الأثير ١١٦/٨، ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٦٠/١.

(٣) نهج البلاغة ٥٣، تحف العقول ١٣٧.

(٤) نهج البلاغة الكتاب ٥٣، تحف العقول ١٣٧، دعائم الإسلام ٣٦١/١.

تعاهدك في السرّ لأمرهم حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان؛ فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة^(١).

وقال الإمام علي عليه السلام في كتابه إلى مالك بن كعب: «أما بعد: فاستخلف على عمالك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد^(٢)، فتسأل عن عمّالي، وتتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعيذاب^(٣)، ثم ارجع إلى الهقبازات^(٤) فتولّ معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها.

واعلم أن كلّ عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به، فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً، وأعلمني الصدق فيما صنعت. والسلام^(٥)».

وقال عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر (في مراقبة الجنود): - ثم لا تدع أن يكون لك عليهم عيون من أهل الأمانة والقول بالحق عند الناس، فيثبتون بلاء كلّ ذي بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم^(٦).

المحسن والمسيء في قاموس الإمام عليه السلام

قال الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر: ولا يكون المحسن والمسيء

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣، تحف العقول ١٣٧، دعائم الإسلام ٣٦١/١.

(٢) السواد: أراضي وقرى العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب، سمي بذلك لسواده بالزروع والتخيل والأشجار (راجع معجم البلدان ٢٧٢/٣).

(٣) العذاب: ماء لبني تميم، وهو أول ماء يلقاه الإنسان بالبادية إذا سار من قادية الكوفة يريد مكة (تقويم البلدان ٧٩).

(٤) بهقباذ: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات (معجم البلدان ١/٥١٦).

(٥) تاريخ يعقوبي ٢٠٤/٢.

(٦) تحف العقول ١٣٣.

عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة. وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه^(١).
وقال الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر: وليكن أثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم في بذله ممن يسعهم ويسع من وراءهم من الخلوفاً^(٢) من أهلهم، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو.
ثم واطر إعلامهم ذات نفسك في إيتارهم والتكرمة لهم، والإرصاد بالتوسعة. وحقق ذلك بحسن الفعال والأثر والعطف؛ فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك^(٣).

تربية عماله

وكان الإمام علي عليه السلام مهتماً بتربية عماله تربية إسلامية بعيدة عن الاستبداد والحيف والسرقة والتكبر لتحيي أرواحهم بالرأفة على الناس والعطف عليهم والشفقة على الضعفاء وأخذهم باللين والأخلاق.

إذ كتب علي عليه السلام إلى عمر بن مسلمة الأرحبي: أما بعد، فإن دهاقين عملك شكوا غلظتك، ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً، فلتكن منزلتك بين منزلتين: جلباب لين، بطرف من الشدة، في غير ظلم ولا نقص؛ فإنهم أحيونا صاغرين، فخذ ما لك عندهم وهم صاغرون، ولا تتخذ من دون الله ولياً، فقد قال الله عز وجل: «لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا»^(٤).

وقال جلّ وعزّ في أهل الكتاب: «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ» وقال

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣، تحف العقول ١٣٠، دعائم الإسلام ١/ ٣٥٦.

(٢) الخوَالف: الذين لا يغزون (لسان العرب ٩/ ٨٦).

(٣) تحف العقول ١٣٣.

(٤) سورة آل عمران ١١٨.

تبارك وتعالى:

«وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ» وقرّعهم بخراجهم، وقابل في ورائهم، وإيتاك ودماءهم. والسلام^(١).

وكتب الإمام علي عليه السلام إلى بعض عماله: أما بعد، فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين، وأقع به نخوة الأئمة، وأسدّ به لهاة الثغر المخوف. فاستعن بالله على ما أهلك، واخلط الشدة بضغت من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة. واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وأن لهم جانبك. وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية؛ حتى لا يطمع العطاء في حيفك، ولا يياس الضعفاء من عدلك. والسلام^(٢).

وأين هذه الرسائل الحضارية من نظرية عثمان في أخذ الناس إلى جبهات الحرب ليحاربوا بقملهم ووسخهم، وهي النظرية التي اتفق عليها عثمان مع عبدالله بن عامر الأموي، لأنّ عثمان جاء ليحكم ويبقى في كرسي السلطنة دون رعاية للوسائل المستخدمة والأخلاق المطموسة.

فتنة الولاية من رآؤها؟

ومشكلة الولاية والسلطنة أوجدها عمر بن الخطاب كيف؟

إذ كان والي عمر يحكم مدى الحياة فهو باقي في السلطة بعد وفاة الخليفة.

بل إن عمر أوصى عثمان بإبقاء ولايته فأبقاهم فترة وعزهم، إذ عزل المغيرة

والأشعري وابن العاص.

وبعدما عزهم ثار عليه ابن العاص وضجر المغيرة والأشعري.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠٣.

(٢) نهج البلاغة الكتاب ٤٦، الأمالي للمفيد ٨٠ / ٤، نهج البلاغة الكتاب ٢٧، تحف العقول

وأوجد عمرو بن العاص فتنة عظيمة في هذا المجال .

أما معاوية فلم يعزله عثمان فكان والياً في زمني حكم عمر وعثمان ومدة حكمه قاربت العشرين سنة .

والأخطر من هذا لم يكن معاوية يعطي أموالاً للحكومة المركزية بل كان ينفقها على جيشه وإدارته ويخزن الباقي له ، مما يعني تكديس أموال عظيمة عنده . وهذه الأمور مع عقيدة معاوية الفاسدة دفعته للمطالبة بالبقاء في منصبه والتخطيط لنيل السلطة العامة .

إذن كان عمر وعثمان هما اللذان هيّبا الأرضية لفتنة الجمل وصفين .

ولو غير عمر وعثمان الولاة دورياً لما حصلت هذه الفوضى السياسية .

الفصل الثاني: الولاة

قدامة بن عجلان

وكتب الإمام علي عليه السلام إلى قدامة بن عجلان عامله على كسكر^(١)؛ أما بعد ، فأحل ما قبلك من مال الله ؛ فإنه فيء للمسلمين ، لست بأوفر حظاً فيه من رجل منهم ، ولا تحسبن يابن أم قدامة أن مال كسكر مباح لك كمال ورثته عن أبيك وأهلك ، فعجل حمله وأعجل في الإقبال إلينا ، إن شاء الله^(٢) .

مصقلة بن هبيرة الهارب

وكتب الإمام علي عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة : بلغني عنك أمر إن كنت فعلته

(١) كسكر : بلدة واسعة في العراق قصبته واسط التي بين الكوفة والبصرة ، وهي إلى العمارة والكوت أقرب منها إلى البصرة والكوفة (راجع معجم البلدان ٤ / ٤٦١) .

(٢) أنساب الأشراف ٢ / ٣٨٨ .

فقد أتيت شيئاً إذ^(١) ، بلغني أنك تقسم فيء المسلمين فيمن اعتفك وتغشاك من أعراب بكر بن وائل !

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، وأحاط بكل شيء علماً ، لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك عليّ هواناً ، فلا تستهين بحق ربك ، ولا تصلحن دنياك بفساد دينك ومحقة ؛ فتكون من «الأخسرين أعمالاً» * الَّذِينَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً^(٢) (٣) .

وكتب إلى مصقلة : أما بعد ، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأعظم العنس على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف ، فأبعث بها إليّ ساعة يأتيك رسولي ، وإلا فأقبل حين تنظر في كتابي ؛ فإنني قد تقدمت إلى رسولي إليك ألا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال ، والسلام عليك^(٤) .

وعن ذهل بن الحارث : دعاني مصقلة إلى رحله ، فقدم عشاءً فطعمنا منه ، ثم قال : والله إن أمير المؤمنين يسألني هذا المال ، والله لا أقدر عليه ، فقلت له : لو شئت لا يمضي عليك جمعة حتى تجمع هذا المال . فقال : والله ما كنت لأحملها قومي ، ولا أطلب فيها إلى أحد .

ثم قال : أما والله لو أن ابن هند يطالبني بها ، أو ابن عقان لتركها ، ألم تر إلى ابن عقان أطعم الأشعث بن قيس مائة ألف درهم من خراج آذربيجان في كل سنة . فقلت : إن هذا لا يرى ذلك الرأي ، وما هو بتارك لك شيئاً ، فسكت ساعة وسكت عنه ، فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية ، فبلغ ذلك

(١) الإذ : الأمر القطيع العظيم (لسان العرب ٣ / ٧١) .

(٢) الكهف ١٠٣ و ١٠٤ .

(٣) أنساب الأشراف ٢ / ٣٨٩ ، نهج البلاغة الكتاب ٤٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ١٢٩ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٤٥ ، الفارات ١ / ٣٦٤ ، وراجع نهج

البلاغة الكتاب ٢٦ .

علياً عليه السلام فقال: ما له؟! ترحه (١) الله! فعل فعل السيّد وفرّ فرار العبد، وخان خيانة الفاجر! أما إنّه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه؛ فإن وجدنا له شيئاً أخذناه، وإن لم تقدر له على مال تركناه، ثمّ سار إلى داره فهدمها (٢).

المنذر بن الجارود

وكان من الطالحين المخالفين للشريعة الإسلامية والمراعين لأهوائهم وكتب الإمام عليه السلام إلى المنذر بن الجارود، وبلغه أنّه يسقط يده في المال، ويصل من آتاه، وكان على اصطخر (٣): إنّ صلاح أبيك عزّني منك، وظننت أنّك تتبّع هديه وفعله، فإذا أنت فيما رقيّ إليّ عنك لا تدع الانقياد لهواك وإن أزرى ذلك بدينك، ولا تصغي إلى الناصع وإن أخلص النصح لك، بلغني أنّك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهياً متزهاً متصيّداً، وأنك قد بسطت يدك في مال الله لمن آتاك من أعراب قومك، كأنّه ترائك عن أبيك وأمك.

وإنّي أقسم بالله لئن كان ذلك حقاً لجعل أهلك وشسع نعلك خير منك، وأنّ اللعب واللهو لا يرضاها الله، وخيانة المسلمين وتضييع أعمالهم ممّا يسخط ربك، ومن كان كذلك فليس بأهل لأن يسدّ به الثغر، ويحجى به الفيء، ويؤتمن على مال المسلمين، فأقبل حين يصل كتابي هذا إليك.

فقدم فشكاه قوم ورفعوا عليه أنّه أخذ ثلاثين ألفاً، فسأله فوجد، فاستحلّفه فلم يحلف، فحبسه مدّة (٤).

(١) الترح: ضدّ الفرح (النهاية ١/ ١٨٦).

(٢) الغارات ١/ ٣٦٥، تاريخ الطبري ٥/ ١٢٩، تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٧٢ / ٧٤٥٠، الكامل في التاريخ ٢/ ٤٢١، وراجع أنساب الأشراف ٣/ ١٨١، والبداية والنهاية ٧/ ٣١٠، والفتوح ٤/ ٢٤٤.

(٣) اصطخر: معرّب استخر، وهي من أقدم مدن فارس، وبها كان سرير الملك دارا بن داراب، وبها آثار عظيمة. وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً (راجع تقويم البلدان ٣٢٩).

(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٣٩١، نهج البلاغة الكتاب ٧١، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠٣.

فكان المنذر مهتماً بالدنيا وأهواءها وغافلاً عن الآخرة وامتحانها.

المسيء زياد بن أبيه

كتب الإمام علي عليه السلام إلى زياد بن أبيه: إنّي أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفّر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر. والسلام (١).

ثمّ وجّه علي عليه السلام إلى زياد رسولاً ليأخذه لحمل ما اجتمع عنده من المال، فحمل زياد ما كان عنده وقال للرسول: إنّ الأكراد قد كسروا من القضاء: «وَحَسِيرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ» (٢) شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا (٣).

خيانة زياد

وخان زياد الامام في المال وأخبر سفير الامام بذلك قائلاً:

لا تُعلم أمير المؤمنين ذلك، فيرى أنّه اعتلال منّي.

فقدم الرسول فأخبر علياً عليه السلام بما قال زياد، فكتب إليه: قد بلغني رسولي عنك ما أخبرت به عن الأكراد، واستكتامك إيّاه ذلك، وقد علمت أنّك لم تلق ذلك إليه إلّا لتبلغني إيّاه، وإنّي أقسم بالله عزّوجلّ قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفّر (٤)، ثقيل

(١) نهج البلاغة الكتاب ٢٠، بحار الأنوار ٣٣/ ٤٨٩ / ٦٩٥.

(٢) غافر ٧٨.

(٣) نهج البلاغة الكتاب ٣، روضة الواعظين ٤٨٩.

(٤) الوفّر: المال الكثير (النهاية ٥/ ٢١٠).

الظهر . والسلام^(١).

وقال الإمام عليه السلام له أيضاً : أما بعد ، فإنّ رسولي أخبرني بعجب ، زعم أنّك قلت له فيما بينك وبينه : إنّ الأكراد هاجت بك ، فكسرت عليك كثيراً من الخراج ، وقلت له : لا تعلم بذلك أمير المؤمنين .

يازياد ! وأقسم بالله إنك لكاذب ، ولئن لم تبعث بخراجك لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفرة ، تقيل الظهر ، إلا أن تكون لما كسرت من الخراج محتملاً^(٢).

نسب زياد بن أبيه وأعماله في البصرة

وهو زياد بن عبيد الرومي ابن سمية الزانية ولد على فراش عبيد من عدة من الرجال الزناة منهم أبو سفيان بشهادة أبي مريم الحمار من سمسرة الفجور في الجاهلية ، لكن معاوية ادّعه خلافاً للحديث النبوي :

الولد للفراش وللعاهر الحجر .

وكان ابن عباس قد عين زياد بن أبيه وكيلاً عنه في البصرة وسار إلى الكوفة . وكان معاوية قد أرسل عبدالله الحضرمي لإيجاد الفتنة في البصرة باسم الطلب بدم عثمان فأجابه بعضهم مثلما حدث في فتنة عائشة سابقاً .

وسار عبدالله الحضرمي يطوي البيداء حتى انتهى إلى البصرة وعرض على أهلها ما طلب منهم معاوية من التردد على الإمام عليه السلام ، فأجابه جمهور غفير منهم ، فخاف زياد منهم ، وكتب إلى ابن عباس يخبره بذلك ، وبادر ابن عباس فأحاط الإمام علماً بأنّ جلّ أهل البصرة قد خلعوا يد الطاعة وثاروا الجماعة ، فندب الإمام أهل الكوفة لمناجزة ابن الحضرمي فتكاسلوا عن إجابته ، فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ، فقال له : أنا أكفيك هذا الخطب ، فأمره بالشخص إلى البصرة ،

(١) أنساب الأشراف ٣ / ٣٩٠ .

(٢) تاريخ البعقوبي ٢ / ٢٠٤ .

وزوّده بهذه الرسالة إلى زياد :

من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد ، سلام عليك .

أما بعد ، فإنني بعثت أعين بن ضبيعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرمي ، فأرغب ما يكون منه ، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظنّ به وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش ، فهو ما نحبّ وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانبد من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت عليك ، وإلا فطاوهم وماطلهم فكأنّ كتاب المسلمين قد أطلت عليك ، فقتل الله المفسدين الظالمين ، ونصر المؤمنين المحقّين ، والسلام .

وانتهى أعين إلى البصرة ، وعرض رسالة الإمام على زياد ، فلمّا قرأها قال : إنني لأرجو أن يكفيني هذا الأمر ، ويادر أعين إلى قومه فحذّره وخوّفهم ، فاستجابوا له ، فنهض بهم إلى ابن الحضرمي ، وجرت بينهم مناوشات ومجادلات كلامية ، وأراد زياد مناجزته إلا أنّه عدل عن ذلك ، ورفع إلى الإمام رسالة جاء فيها :

«أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإنّ أعين قدم علينا بجدّ ومناصحة وصدق يقين ، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثّهم على الطاعة ، وحذّره الخلاف ، ثمّ نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه ، فوافقهم عامّة النهار ، فهال أهل الخلاف تقدّمه ، وتصدّع عن ابن الحضرمي كثير ممّن كان يريد نصرته ، فكان كذلك حتى أمسى فأقى رحله ، فبيّته نفر من هذه الخارجة المارقة فأصيب رحمه الله تعالى فأردت أن أناهض ابن الحضرمي فحدث أمر قد أمرت رسولي هذا أن يذكره لأمير المؤمنين ، وقد رأيت أنّ رأي أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة ، فإنّه نافذ البصيرة ومطاع في العشيّة ، شديد على عدوّ أمير المؤمنين ، فإن يقدم يفرق بينهم بإذن الله ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .»

ولمّا وردت الرسالة إلى الإمام دعا جارية بن قدامة ، وعرض عليه الأمر

فاستجاب له ، ومضى يجذ السير حتى انتهى إلى البصرة ، فقام بما عهد إليه ، فاستجاب له خلق من الأزد ، وناثبوا إلى الطاعة ونبذ الخلاف (١) .

كتابه عليه السلام إلى زياد

وكتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة إلى زياد بعد ما بلغه أنه يتكبر على الناس ، ويكثر من الألوان المختلفة في طعامه ... وهذه رسالته :
أما بعد ، فإن سعداً ذكر أنك شتمته ظلماً ، وهددته وجهته (٢) تجبراً وتكبراً ، فما دعاك إلى التكبر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداءه قصمه » .

وقد أخبرني أنك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد ، وتدهن كل يوم ، فما عليك لو صمت لله أياماً ، وتصدقت ببعض ما عندك محتسباً ، وأكلت طعامك فقاراً (٣) ، فإن ذلك شعار الصالحين .
أفتطمع وأنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين .

وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الخاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت ، وعملك أخطت ، فتب إلى ربك يصلح لك عملك ، واقتصد في أمرك وقدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك ، وأدهن غبياً ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أدهنوا غبياً ولا تدهنوا رفهاً » (٤) .

بيّنت هذه الرسالة الحادثة من الإمام علي عليه السلام إلى زياد بن أبيه تسلطه عليه ومراقبته له في أكله ولبسه وحديثه وأفعاله وخطبه وحركاته مما جعله محسباً في

(١) الغارات ٢ / ٣٧٣ ، البحار ٨ / ٦٧٦ ، تاريخ الطبري ٦ / ٦٣ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٤٣ .

(٢) جبهته : أي رددته .

(٣) فقاراً : أي خال من الإدام .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٦ / ١٩٦ .

أصبح الإمام عليه السلام لا يخالفه في أمر ولا يعارضه في حكم .
فكان زياد سائراً على الحقّ ظاهراً خائفاً من سوط أمير المؤمنين .
ومن جهة أخرى أرسل معاوية رسالة إلى زياد بن أبيه يهدده ويتوعده طالباً منه العمل معه ومخالفة أمير المؤمنين وجاء في رسالته :

أما بعد فإنه عزّتك قلاع تأوي إليها ليلاً كما تأوي الطير إلى وكرها وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان ذلك مني ما قاله العبد الصالح :

« فَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُمْ بِجُودٍ لَا قَبِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » (١) .

تنسى أباك وقد شالت نعمته إذ تخطب الناس والوالي عمر .

ولما ورد ذلك الكتاب إلى زياد خطب الناس قائلاً : العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يهدّني ويبيني وبينه ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج سيّدة نساء العالمين وأبو السبطين وصاحب الولاية والأخياء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلى لوجدني فحشاً (٢) ضرباً بالسيف .

وكتب إلى الإمام عليه السلام يخبره برسالة معاوية إليه فبعث الإمام عليه السلام هذه الرسالة إليه : أما بعد ، فإني قد وليتكم ما وليتكم وأنا أراك لذلك أهلاً ، وإنه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أمانتي النبي وكذب النفس ، لم تستوجب بها نسباً ، وإن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فاحذره ثمّ أحذره ثمّ احذره ، والسلام (٣) .

في هذه الرسالة الرائعة من أمير المؤمنين عليه السلام حذر الإمام عليه السلام زياداً من أذليل معاوية وخداعه ، فقد حاول أن يلحق زياداً بنسبه ، وذلك شبهة لزنا أبيه

(١) النمل ٣٧ .

(٢) المفحش : الجري .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساکر ٥ / ٤١٠ ، الغدير ١٠ / ٢١٩ .

بسميّة أمّ زياد ، والقصة يندى له جبين الإنسانية فيها فضيحة لأبي سفيان وسميّة ، ولكن معاوية لم يحفل بالعار في سبيل تدعيم أغراضه السياسية ، وبناء سلطانه ، وأخيراً استجاب زياد لمعاوية بعد شهادة الامام عليه السلام ، وصار من أقوى أعوانه وأخذ يتتبع شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان بهم عالماً ، فجعل يسمل أعينهم ويقطع ألسنتهم ، ويقتلهم على الظنّة والتهمة .

ومات زياد على هذا الباطل على نهج أمّه سميّة وأبي سفيان !!

شرح القاضي

شرح القاضي شخصية مترلزلة خائفة عيّنه عمر قاضياً واستمرّ في عمله في زمن عمر وعثمان . وأبقاه الإمام علي عليه السلام في مكانه مع مراقبة كاملة لأعماله كي لا يفعل فعلاً باطلاً .

روي أنّ شرح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً ببناين ديناراً ، فبلغه ذلك فاستدعى شرحاً وقال له :
بلغني أنّك ابتعت داراً ببناين ديناراً ، وكتبت لها كتاباً ، وأشهدت فيه شهوداً ! فقال له شرح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين .

قال : فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له : يا شرح ! أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسألك عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً ، ويسلمك إلى قبرك خالصاً . فانظر يا شرح ! لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك ، أو نقدت الثمن من غير حلالك ؛ فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة . أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت ، لكنك لك كتاباً على هذه النسخة ، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق . والنسخة هذه :

«هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد أزعج للرحيل ، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين ، وخطّة الهالكين ، وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحدّ

الأول ينتهي إلى دواعي الآفات ، والحدّ الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحدّ الثالث ينتهي إلى الهوى المردي ، والحدّ الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي ، وفيه يُشرع باب هذه الدار . اشترى هذا المغترّ بالأمل ، من هذا المزعج بالأجلّ هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة ، والدخول في ذلّ الطلب والضراعة ؛ فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك .

فعلى مبلبل أجسام الملوك ، وسالب نفوس الجبابرة ، ومزبل ملك الفراعنة ، مثل كسرى وقيصر ، وتبع وحمير ، ومن جمع المال على المال فأكثر ، ومن بنى وشيد وزخرف ، ونجّد^(١) وأدّخر ، واعتقد ونظر بزعمه للولد - إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب^(٢) .

وفي سنة ٣٦ هجرية فرّق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عماله على الأمصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمار بن شهاب على الكوفة (وكانت له هجرة) وعبيدالله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام^(٣) .

وكتب عليه السلام إلى معاوية وأبي موسى ، فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ، وكتب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى قيس بن سعد وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى أهل الشام^(٤) .
وقد سعى الإمام علي عليه السلام إلى تعيين ولاية مؤمنين لهم سابقة في الجهاد والإسلام مثل سهل بن حنيف وعثمان بن حنيف .

(١) من التنجيد : التزيين (النهاية ١٩ / ٥) .

(٢) نهج البلاغة ٣ / ٥ ، البحار ٣٣ / ٤٨٥ ، ٤١ / ١٥٦ ، نهج البلاغة ، محمد عبدة ٢ / ٤

ط مصر ، شرح النهج ١٤ / ٢٨ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٤٦٣ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠١ .

(٤) الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠٤ .

وكان أبو بكر وعمر وعثمان قد أبعدهم عن الحكم إلا نادراً فأعاد الإمام علي عليه السلام إليهم مقامهم المحمود ومزلتهم المعتبرة .
ولقد سار أبو بكر وعمر وعثمان على منطلق رجال قريش في إبعاد الأنصار عن السياسة والإدارة ورفع منزلة طلقاء مكة مع سابقتهم السيئة وأفعالهم المرسوة المعادية للإسلام .
فقد عين أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على قسم من الشام وعين عتبة بن أبي سفيان على الطائف وعين عكرمة بن أبي جهل على عمان .
وكذلك فعل عمر وعثمان مع الطلقاء رغم صحافتهم السوداء وتراجهم العقيمة^(١) . واحتكر رجال الندوة المجتمعون لقتل النبي ﷺ قبل هجرته على مناصب الولاية في زمن أبي بكر وعمر وعثمان .

سهل بن حنيف والي المدينة

وسهل من المخلصين الأفاضل والرموز القليلة التي جاهدت بنفسها ومالها في سبيل الله تعالى وهو سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي ، وكان من أعلام الصحابة وخيارهم ، ومن السابقين لاعتناق الإسلام ، شهد بدرًا ، وثبت يوم أحد حين انكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، وبايع النبي على الموت ، وكان ينفع عن رسول الله ﷺ بالنبل فيقول : نبلوا سهلاً فإنه سهل .

كما شهد الخندق والمشاهد كلها ، وقد ولّاه الإمام بعد ذلك على البصرة .

وولاية الإمام علي عليه السلام على المدينة بعد رحيله إلى العراق وحينما كان والياً على المدينة بلغ الإمام عليه السلام أن عصابة من أهل المدينة التحقوا ب معاوية ، فكتب إليه الإمام عليه السلام هذه الرسالة :

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٦٣ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠١ .

«أما بعد ، فقد بلغني أنّ رجالاً ممن قبلك يتسلّلون إلى معاوية ، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ، ويذهب عنك من مددهم ، فكفى لهم غيياً ولك منهم شافياً ، فرارهم من الهدى والحقّ ، وإيضاعهم^(١) إلى العمى والجهل ؛ وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ، ومهبطون إليها وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أسوة فهربوا إلى الإثرة فبعداً لهم وسحقاً^(٢)» .
الظاهر من رسالة الإمام عليه السلام لسهل أنّ سهلاً حزن لفراق البعض المدينة والتحاقهم ب معاوية فراسله أمير المؤمنين مبيّناً له سوء منزلتهم وفضل فرارهم ، وتوفّي سهل في سنة ٣٨ هجرية .

عثمان بن حنيف

كان عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي من رموز الصحابة شارك في المعارك الإسلامية مجاهداً فذاً^(٣) .

وكان مناصراً لأهل البيت عليه السلام في أيام السقيفة وما بعدها .

وكان أخوه سهل بن حنيف من زعماء الأنصار الصالحين ولمّا رفض الناس الصلاة خلف عثمان أيام الثورة عليه طلبوا من سهل إمامة الصلاة في المسجد النبوي فكان يصلي بهم^(٤) .

ثمّ عينه الإمام علي عليه السلام والياً على البصرة لأهميتها الاستراتيجية ولمّا دعاه أحد الناس هناك إلى وليمة كبيرة هناك ونخه الإمام عليه السلام في رسالة له إليه :

رسالة الإمام الحضارية الأخلاقية

(١) الإيضاع : الإسراع .

(٢) نهج البلاغة ٢ / ١٩٢ .

(٣) الاستيعاب ٣ / ٩٠ .

(٤) تاريخ المدينة ، ابن شبة ٣ / ١١٢ .

جاء في تلك الرسالة :

أما بعد يا بن حنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ، وتتقل إليك الجفان^(١).

وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم ، عائلهم^(٢) مجفو^(٣)، وغنّهم مدعو .

فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم^(٤)، فما اشبهه عليك علمه فالفظه^(٥)، وما

أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإن لكل ما موم إماماً ، يقتدي به ويستضيء بنور علمه ؛ ألا وإن إمامكم

قد اكتفى من دنياه بطمريه^(٦)، ومن طعمه بقرصيه .

ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعقّة

وسداد .

فوالله ! ما كنزت من دنياكم تبراً^(٧)، ولا ادّخرت من غنائها وفراً^(٨)، ولا

أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه إلا كقوت

أتان دبّرة ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة^(٩) مقرّة^(١٠) بلى ! كانت في أيدينا

فدك من كل ما أظلمته السماء ، فشخّحت عليها نفوس قوم^(١١)، وسخّحت عنها نفوس قوم

(١) الجفان : جمع جفنة ، وهي القصعة .

(٢) العائل : الفقير المحتاج .

(٣) المجفو : المعرض عنه .

(٤) المقضم : المأكول .

(٥) الفظه : أي اطرحه .

(٦) الطمر : الثوب الخلق .

(٧) التبر : فئات الذهب والفضة قبل صياغتها .

(٨) الوفّر : المال .

(٩) العفصة : هو السائل الذي يكون على شجرة البلوط ، وهو مرّ .

(١٠) مقرّة : الشيء المرّ .

(١١) أشار بذلك إلى تأميم فدك من قبل أبو بكر .

آخرين ، ونعم الحكم الله .

وما أصنع بفدك وغير فدك ، والنفس مظانّها في غد جدت تنقطع في ظلمته

آثارها ، وتغيب أخبارها وحفرة^(١) لو زيد في فسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ،

لأضغظها الحجر والمدر ، وسدّ فرجها التراب المتراكم ؛ وإنما هي نفسي أروضها

بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق^(٢) . ولو شئت

لاهدت الطريق ، إلى مصقّ هذا العسل ، ولباب هذا القمع ، ونسائج هذا القزّ^(٣) .

ولكن هيمات أن يغلبني هواي ، ويقودني جسعي إلى تخيّر الأظعمة - ولعلّ

بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشعب - أو أبيت مبطاناً

وحولي بطون غرثي وأكباد حرّى ، أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تسييت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ^(٤)

أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ،

أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش^(٥)!

فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة ، همّها علفها ، أو المرسلّة

شغلها تقمّمها^(٦)، تكترس من أغلافها ، وتلهو عمّا يراد بها ، أو أترك سدّي ، أو

أهمل عابئاً ، أو أجرّ حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة^(٧)!

وكأنّي بقائلكم يقول : « إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف

عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان » .

(١) الحفرة : أراد بها القبر .

(٢) المزلق : هو الصراط .

(٣) القزّ : ما يصنع منه الحرير .

(٤) القدّ : جلد الشاة غير المدبوغ .

(٥) جشوبة العيش : غلظته وخشونته .

(٦) تقمّمها : المراد بها القمامة ، أي الكناساة .

(٧) المتاهة : الحيرة والهلكة .

ألا وإنَّ الشجرة البرية أصلب عوداً ، والروائح الخضرة أرقّ جلوداً ،
والنباتات البدوية أقوى وقوداً ، وأبطأ خموداً .

وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو^(١) ، والذراع من العضد .

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرص من
رقابها لسارعت إليها . وسأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس ،
والجسم المركوس^(٢) حتى تخرج المدرة^(٣) من بيت حبّ الحصيد .

ومن هذا الكتاب ، وهو آخره :

إليك عني يادنيا ! فحبلك على غاربك^(٤) ، قد انسللت من مخالك^(٥) وأفلت

من حباتك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك .

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك !

أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك !

فهاهم رهائن القبور ، ومضامين اللحود .

والله ! لو كنت شخصاً مرثياً ، وقالباً حسياً ، لأقت عليك حدود الله في عباد

غررتهم بالأمانى ، وأمم أقيمتهم في الهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلّف ، وأوردتهم
موارد البلاء ، إذ لا ورد ولا صدر^(٦) !

هيهات ! من وطيء دحضك زلق ، ومن ركب لمجك غرق ، ومن ازورز^(٧)

عن حباتك وفق ، والسلام منك لا يبالي إن ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم

(١) الصنو من الصنو : المراد به شدة اتصاله بالنبي كالنخلتين اللتين يجمعهما أصل واحد .

(٢) الجسم المركوس : أراد به معاوية بن هند .

(٣) المدرة : القطعة من الطين اليابس .

(٤) الغارب : الكاهل وما بين السنام والعنق .

(٥) جمع مخبل : وهو أظفار السبع .

(٦) الورد : ورود الماء . الصدر : الانتهاء من شرب الماء .

(٧) ازورز : مال .

حان انسلاخه^(١) .

اعزبي عني ! فوالله لا أدلّ لك فتستدليني ، ولا أسلس^(٢) لك فتقوديني . وأيم

الله ! يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا

قدرت عليه مطعوماً ، وتقعن بالملح مادوماً ؛ ولأدعنّ مقلتي كعين ماء ، نضب

معينها^(٣) ، مستفرغة دموعها . أتمتلى السائمة من رعيها فتبرك ؟ وتشبع الربيعة^(٤)

من عشبها فتربض ؟ ويأكل علي من زاده فيجمع^(٥) ! قرّت إذا عينه إذا اقتدى بعد

السنين المتطاولة بالهيمه الهاملة^(٦) ، والسائمة المرعية !

طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل

غمضها ، حتى إذا غلب الكرى^(٧) عليها افترشت أرضها ، وتوسّدت كفّها ، في معشر

أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبيهم ، وهممت بذكر

ربّهم شفاهم ، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم :

«أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» .

فاتق الله يابن حنيف ، ولتكف أقراصك ، ليكون من النار خلاصك^(٨) .

فعثمان بن حنيف رغم أخلاقه العالية وزهده في الدنيا يويّجّه الإمام عليه السلام

ويدعوه لسلك طريق الحقّ أكثر فأكثر لاستعداده لهذا الأمر .

وهو درس أخلاقي لنا في كيفية التعامل مع هذه الحالات .

(١) الانسلاخ : الزوال .

(٢) أسلس : أي أتقاد .

(٣) نصب : غار . المعين : الماء الجاري .

(٤) الربيعة : الغنم التي مع رعاتها .

(٥) يجمع : أي يسكن .

(٦) الهاملة : الغنم التي ترعى بلا راع .

(٧) الكرى : النوم .

(٨) الكرى : النوم .

وحالة إكرام الأغنياء وترك الفقراء قديمة ومستمرّة تشكوا منها مجتمعات العالم فالأغنياء يشكون من التخمّة والمساكين يتضوّرون من الجوع .
ورسالة الإمام عليه السلام دعوة مخلصّة لنبذ أهواء الدنيا وترك زبرجها والتوجّه نحو رحاب الله تعالى ورضاه والقناعة في الأمور كلّها .

رسالة ثانية من الإمام لعثمان

وبعث الإمام عليه السلام رسالة إلى عثمان حينما بلغه زحف الجيش الذي تقوده عائشة والزبير وطلحة لاحتلال البصرة جاء فيها :
من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف .
أما بعد ، فإنّ البغاة عاهدوا الله ثمّ نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك ، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به ، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً .
فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه .
فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك ، وإن أبوا إلاّ التمسك بحبل النكت والخلاف فناجزهم القتال حتّى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين .
وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة ، وأنا معجّل المسير إليك إن شاء الله (١) .
ولمّا وصلت قوات عائشة إلى البصرة تعاهدت مع عثمان بن حنيف على الكفّ عن الحرب إلى حين مجيء الإمام عليه السلام .
لكنّها غدرت ليلاً بذلك وهجمت قواتها على بيت عثمان فأخذه أسيراً وقتلت سبعين حارساً يحفظون بيت المال هناك .
ونهبوا بيت المال في البصرة ثمّ أمرتهم عائشة بضرب عثمان بن حنيف

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد / ٩ / ٣١٢ .

فضربوه ضرباً قاسياً وشفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وكل شعرة في وجهه ورأسه وقالت عائشة لأبان بن عثمان اخرج إليه واضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أباك .

ثمّ خافوا من قتله فأخوه سهل بن حنيف والي المدينة (١) .

وهذه الحادثة تبيّن عدم معرفة عائشة بالأحكام الشرعية فإنّه حتّى لو كان معاوناً في القتل لا يقتل بل يقتل المباشر للقتل . ونست عائشة إنّها كانت الأمر يقتل عثمان بن عفّان بقولها : اقتلوا نعتلاً لقد كفر (٢) .
وهي المحكومة بالقتل لأمرها بقتل عثمان .

أبو الأسود الدؤلي والي البصرة

ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي البصري من العلماء المجاهدين والرموز المرموقين من طلاب أمير المؤمنين علي عليه السلام واستعمله والياً على البصرة بعد ابن عباس (٣) .

أما بعد ، فثلك نصح الإمام والأئمة ، وأدّى الأمانة ، ودلّ على الحقّ ، وقد كتبت إلى صاحبك - يعني ابن عباس - فيما كتبت إليّ فيه من أمره ، ولم أعلمه أنّك كتبت إليّ ، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك ممّا النظر فيه للأئمة صلاح ، فإنّك بذلك جدير ، وهو حقّ واجب عليك ، والسلام (٤) .

وتبيّن هذه الرسالة حرص الإمام علي عليه السلام على عدم مخالفة ولايته المتبعدين عن الباطل وكانت لأبي الأسود مكانة متميّزة عند ابن عباس ، وقد استخلفه على

(١) شرح أصول الكافي ، المازندراني / ٧ / ٢٢٢ .

(٢) تاريخ الطبري / ٣ / ٤٧٧ ، الإمامة والسياسة ، الدينوري / ١ / ٧٣ ، فتوح ابن أعثم / ٢ / ٢٤٩ .

(٣) خزائن الأدب / ١ / ٢٨١ .

(٤) تاريخ الطبري / ٤ / ١٠٨ .

القضاء ، ومما يجدر الإشارة إليه أنه قضى على رجل في أمر فشكاه ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال :

إذا كنت مظلوماً فلا تالف راضياً
وإن كنت أنت الطالب القوم فاطرح
وقارب بذني عقل وباعد مجاهل
ولا ترتض بالجور واصبر على التي
فإني امرؤ أخشى إلهي وأتقي
عقابي وقد جرّبت ما لم تجرّب (١)

ولد في أيام النبوة وكان فقيهاً شاعراً قاضياً بالبصرة وهو أول من وضع النحو بأمر الإمام علي عليه السلام وعرضه على الإمام فقال عليه السلام : نعم ما نحت (٢).

وكان من أصحاب الأئمة علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليه السلام (٣).

وأمر الإمام بعلم النحو بعد أن سمع رجلاً قرأ آية : **هُوَ الَّذِي تَبَرَّىءُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** (٤).

وعندها أمر أمير المؤمنين أبا الأسود الدؤلي بتدوين علم النحو بعد أن لقّنه قواعده (٥).

إنّ الكلام يقسم إلى اسم وفعل وحرف ونّبه إلى اختلاف أواخر الاسم بالنصب والرفع والجرّ بأنّ كلام العرب تتغير أحكامه فالاسم معرّب والحرف مبني

(١) أخبار القضاة ١ / ٢٨٩ .

(٢) قاموس الرجال ، التستري ٥ / ١٧١ نقله عن الذهبي .

(٣) رجال الطوسي ٤٦ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٩٥ ، تهذيب التهذيب ١٢ / ١٢ ، العبر ١ / ٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٨١ ، الطبقات ، ابن سعد ٧ / ٩٩ ، فهرست ابن النديم ٣٩ ، أسد الغابة ٣ / ٦٩ ، الإصابة ٢ / ٢٤١ ، رجال الشيخ ٤٦ .

(٤) التوبة ٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٤ / ٨٣ ، وفيات الأعيان ٢ / ٥٣٧ .

والفعل بعضه معرّب وبعضه مبني (١).

وكان الدؤلي حاضر الجواب جيّد الكلام مليح البادرة حاذق .. وروى المبرد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا أنّك قد كبرت لأستعنا بك في بعض أمورنا قال إن كنت تريدني للصراع فليس عندي وإن كنت تريد رأيي وعقلي فيها أوفر ما كانا .. وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيّد الكلام مليح البادرة .. وروي عن الشعبي أنّه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة .

قال : نعم قال فاكنت صانعاً قال كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثمّ أقول يامعشر من حضر أرجل من المهاجرين أحقّ أم رجل من الطلقاء فلعه معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك .

وقد روي أنّ أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمير المؤمنين في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فإنّي قد عجمت الرجل وبلوته فحلبت أشطره فوجدته قريب القعر مع أنّه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه فابعتني فإنّه لا يحلّ عقدة إلاّ عقدت له أشدّ منها وأتهم قد رموك بحجر الأرض فإن قيل أنّه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلاّ من تعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم فأبى عليه السلام ..

وروى محدّد بن يزيد النحوي أنّ أبا الأسود كان شيعياً وكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكوا ذلك ، فشكاهم مرّة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني (٢).

وبعد ما آلت الخلافة إلى معاوية بن هند ، ووّلي ابن عامر على البصرة جفاء وأبعده لولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال فيه أبو الأسود :

(١) شرح أصول الكافي ، المازندراني ٢ / ٢٩٨ .

(٢) الأمالي ، المرتضى ٢١٢ .

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر وما مرّ من عيشي ذكرت وما فضل
أميرين كانا صاحبي كلاهما فكلاً جزاه الله عني بما فعل
فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل (١)
ومات سنة ٦٩ هجرية .

رسالة الإمام إلى أهل البصرة

وزوّد الإمام عليه السلام بالرسالة التالية فقرأها على أهل البصرة
وهي: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة
من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم .

أما بعد ، فإن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البيّنة ، ولا يأخذ المذنب
عند أوّل وهلة ، ولكنّه يقبل التوبة ، ويستدّيم الأناة ، ويرضى بالإنبابة ، ليكون أعظم
للحجّة ، وأبلغ في المعذرة .

وقد كان من شقاق جلّكم - أيها الناس - ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ،
ف عفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم ، وقبلت من مقبلكم ، وأخذت
ببعثكم ، فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم
بالكتاب والسنة وقصد الحقّ ، وأقم فيكم سبيل الهدى .

فوالله ! ما أعلم أنّ والياً بعد محمّد ﷺ أعلم بذلك منّي ، ولا أعمل .

أقول قولي هذا صادقاً غير ذامّ لمن مضى ، ولا من منتقماً لأعمالهم .

فإن خطت بكم الأهواء المرديّة ، وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي تريدون
خلافي ، فهذا أنا إذا قد قرّبت جيادي ، ورخّلت ركابي (٢) .

وأيم الله لئن ألبأتوني إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل

(١) خزائن الأدب ١ / ٢٨٥ .

(٢) العجباد: الفرس السريع . الركاب: الإبل التي تحمل جيشه .

إليها إلّا كلعقة لاقق ، وإني لظانّ ألاّ تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلاً .
وقد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجّة عليكم ، ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً
إن أتم استغششتهم نصيحتي ، وناذتم رسولي حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء
الله تعالى ، والسلام (١) .

استفاد غواة أهل البصرة من حلم الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل حيث عني
عن أسراهم وأطلق سراحهم فعادوا إلى الفتنة ثانية فنصحهم الإمام عليه السلام وهدّهم
بضرورة العودة إلى الحقّ .

رسالته عليه السلام إلى أحد ولاته المنحرفين

وهو المنذر بن الجارود العبدي الخائن: «أما بعد فإنّ صلاح أبيك غرّني منك
وظننت أنّك تتبع هديه وتسلّك سبيله فإذا أنت فيما رقي إليّ عنك لا تدع لهواك
انقياداً ولا تبقّي لآخرتك عناداً .

تعمّر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني
عنك حقّاً لجلّ أهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ
به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على خيانة فاقبل إليّ
حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله (٢) .

ابتلى العالم الإسلامي بعد الفتوحات الإسلامية العظمى بكثرة الأموال
القادمة من تلك البلدان لم تعهدوا مدنها ولم تعرفها حساباتهم ولا تستوعبها
مخازنهم .

فطارت العقول الخفيفة وعظمت الحدّة المادّية وتضخّمت الناحية الدنيوية .

فخالد بن الوليد وأنس بن مالك وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن أبي سفيان

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٤ / ٥٠ ، الكامل لابن الأثير ٣ / ١٨٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، محمّد عبده ١٣٣ .

أصبحوا من الأغنياء فجأة في زمن أبي بكر .

وأصبح زيد بن ثابت وأبو هريرة ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة من الاغنياء المترفين في زمن عمر بن الخطاب .

وفي زمن عثمان بن عفان انهارت الأموال الطائلة على بني أمية خاصة ومن باع دينه بأخرته أمثال الأشعث بن قيس المرتد وكعب بن مالك المنافق وكعب الأبحار اليهودي فأصبحت الأمور مهتأة لطلاب الدنيا المرتدين على أعقابهم من أمثال الجارود العبدي وأبي الأعور الأسلمي .

وكيف لا يفتن هؤلاء وهم يشهدون إعطاء عثمان دولة أذربيجان للأشعث الكندي وإعطاء معاوية دولة مصر لابن العاص !

أي لم يكتف الزعماء بإعطاء المال والدور هدية لأعوان النظام بل راحوا يعطون الدول هدايا لأفسق الناس وأحطهم منزلة .

فالأشعث الكندي أسلم في زمن النبي ﷺ وعندما رفعت سجاج المنحرفة راية النبوة أصبح مؤدبها الخاص .

ولما هزمت عفا عنه أبو بكر وحقه القتل في الإسلام .

ولما جاء عثمان قربه وأعطاه دولة أذربيجان هبة له ولأولاده من بعده .

وهذه الثقافة الخاطئة جعلت الكثير من الولاة ينحرفون عن الصراط المستقيم ويخونون المسلمين في الأموال .

فذهنهم القاصر جعلهم يعتقدون بأن أمصارهم هبة لهم مثلما حصل للأشعث وابن العاص على أذربيجان ومصر !

محاسبة عبد الله بن عباس

وكتب الإمام علي إلى عبد الله بن عباس ، وهو عامله على البصرة : فاربع أبا العباس - رحمك الله - فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر ! فإننا شريكان في

ذلك ، وكن عند صالح ظني بك ، ولا يفيلن^(١) رأيي فيك . والسلام^(٢) .

وأما بعد ، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ، وأخربت أمانتك ، وعصيت إمامك ، وخنت المسلمين .

بلغني أنك جرّدت الأرض ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أن حساب الله أشدّ من حساب الناس . والسلام^(٣) .

عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب من أبرز تلاميذ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حتى سمي حبر الأمة ، أخذ عنه الفقه والتفسير . وكان حافظاً ذكياً مواظباً على متابعة أخذ العلوم من أمير المؤمنين عليه السلام .

فكان قوي الحجّة واضح البيان حاجج عمر بن الخطاب وأبطل حججه وحاجج عائشة في البصرة وهز اطروحتها ثم حاجج الخوارج وأفشل آراءهم .

والملاحظ لكلامه مع عمر إسكاته له لبطلان حجج عمر في قضية السقيفة وضعف مبادئ وأقوال قريش فيها .

قال عبد الله بن عباس : إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة ، فقال : يا ابن عباس ما أظنّ صاحبك إلاّ مظلوماً ، فقلت : يا أمير المؤمنين فاردد إليه

ظلامته : فانزع يده من يدي ثم مرّ بهم ساعة ، ثم وقف ، فلحقته ، فوقف فقال : يا ابن عباس ما أظنّ القوم منهم من صاحبك إلاّ أنهم استصغروه فقلت : والله ما

استصغره الله عزّ وجلّ حين أمره بأخذ سورة براءة من أبي بكر . وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مرّ عمر بعلي عليه السلام : وعنده ابن

عبّاس بفناء داره فسلم ، فسألاه أين تريد ؟ قال : مالي بينبع ، قال علي عليه السلام : أفلا نصل جناحك وتقيم معك ؟ قال : بلى ، فقال لابن عباس : قم معه ، قال : فشبك

(١) من قال يفيل : أخطأ وضعف (لسان العرب ١١ / ٥٣٤) .

(٢) نهج البلاغة الكتاب ١٨ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٤٩٣ / ٦٩٩ .

(٣) أنساب الأشراف ٢ / ٣١٩٧ ، نهج البلاغة الكتاب ٤٠ .

أصابه في أصابعي ومضى حتى إذا خلفنا البقيع ، قال : يا بن عباس أما والله إن صاحبكم هذا لأولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا أنا خفناه على اثنين . قال ابن عباس : فجاء بمنطق لم أجد بدأ معه من مسألته عنه قلت : ما هما ؟ قال : خشيناه على حدائث السنّ وحبّه بني عبدالمطلب .

ثمّ قال ابن أبي الحديد ، بإسناد رفعه إلى ابن عباس ، قال : تفرّق الناس ليلة الجابية^(١) عن عمر ، فسار كل واحد مع إلفه^(٢) ، ثمّ صادفت عمر تلك الليلة في سيرنا ، فحادثته ، فشكا إلى تخلف علي عليه السلام عنه ، فقلت : ألم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو على ما اعتذره به ، فقال : يا بن عباس إن أول من ريثكم^(٣) عن هذا الأمر أبو بكر ، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة ، قلت : لم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ ألم نلهم خيراً ؟ قال : بلى ، ولكّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفاً^(٤) -^(٥) .

ثمّ قال ابن أبي الحديد : لقي علي عليه السلام عمر ، فقال له علي : أنشدك الله هل استخلفك رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، قال : كيف تصنع أنت وصاحبك ؟ قال : أما صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أنا فسأخلمها من عنقي إلى عنقك ، فقال جدع الله أنف من ينقذك منها ! ولكن جعلني الله تعالى علماً ، فإذا قت فن خالفني ضلّ^(٦) .
وشارك عبد الله بن العباس في حرب الجمل وبعد انتصار الإمام علي عليه السلام فيها عيّنه الإمام والياً على البصرة ، ثمّ كتب إليه :

(١) الجابية : بالحيم وكسر الباء قال ياقوت : أصله في اللغة : الحوض الذي يجيب فيه الماء للإبل ، وقرية من أعمال دمشق ، وفي هذا الموضع خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة معجم البلدان ٢ / ٩١ .

(٢) الالف بكسر الهمزة وسكون اللام : الصديق والمؤانس .

(٣) ريثكم : قصركم .

(٤) جحفاً جحفاً : فخراً فخراً وشرفاً شرفاً (النهاية لابن الأثير ١ / ١٤٥) .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ ق ٥٧ .

(٦) شرح النهج ٢ / ٥٧ .

أما بعد فلا يكن حظك في ولايتك ما لا تستفيده ولا غيظاً تشقيه ولكن إمامة باطل وإحياء حق^(١) .
وكتب إليه أيضاً :

أما بعد فإنك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك ، واعلم بأنّ الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، وإنّ الدنيا دار دول^(٢) فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك^(٣) .

الرسالة السابقة لأمير المؤمنين تدعو إلى سكينة النفس والاطمئنان بالحياة والرضا بالقناعة ثمّ النظر إلى الأحداث والأحوال بصورة صحيحة .
ثمّ دعا الإمام علي عليه السلام ابن عباس لحرب معاوية فالتحق به في التخييلة مع أتباعه من أهل البصرة^(٤) .

اتهامه بسرقة بيت المال

اتهمه بعض المؤرخين بسرقة أموال البصرة استناداً إلى رسائل الإمام معه منها :

كتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة لابن عباس ، وجاء فيها :
أما بعد ، فقد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك .

بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إلي حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس ، والسلام .

(١) مناقب آل أبي طالب ١ / ٣٢٧ .

(٢) أي لا تبقى لأحد فتارة بيد هذا وتارة بيد ذلك .

(٣) نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ٥ / ٢٤٩ .

(٤) البحار ٨ / ٤٧١ ، كتاب صفين ٢ / ١١٦ .

وقد أجابه ابن عباس نافياً عنه هذه التهمة بما يلي :

أما بعد فإن كل الذي بلغك باطل ، وأنا لما تحت يدي ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تصدق الضنين^(١).

وجواب ابن عباس صريح في براءته من تهمة الخيانة ، وأنه قد اتهمه بذلك بعض حساده وأعدائه .

وكتب الإمام عليه السلام إليه رسالة أخرى يسأله فيها ما أخذه من الجزية وجاء فيها :

أما بعد ، فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية من أين أخذته ، وما وضعت منها وفيه وضعته ، فاتق الله فيما ائتمنتك عليه ، واسترعتك إياه ، فإن المتاع بما أنست رازمه^(٢) قليل ، وتبعاته وبيلة لا تبيد^(٣) والسلام^(٤).

هذه الرسالة ليس فيها تهمة بل طلب بمراعاة التقوى والورع ومن الرسائل التي حملت طابع الشدة والصرامة على ابن عباس هذه الرسالة ، التي رواها عبدالله بن عبيد عن أبي الكنود ، قال : كنت من أعوان عبدالله بن عباس بالبصرة ، فلما كان ما كان أتيت علياً فأخبرته ، فتلا قوله تعالى :

﴿وَأَثَلْ عَلَىٰ هَيْبِهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٥).

ثم كتب معه هذه الرسالة إلى ابن عباس :

«أما بعد ، فإنني كنت أشركتك في أمانتي ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثق

عندي منك بمواساتي ومؤازرتي بأداء الأمانة ، فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك^(١) ، والعدو - يعني معاوية - قد حرد^(٢) ، وأمانة الناس قد خربت ، وهذه الأمة قد فتنت ، قلبت لابن عمك ظهر المجن^(٣) ، ففارقته مع القوم المفارقين ، وخذلته أسوأ خذلان ، وخنته مع من خان فلا ابن عمك آسيت ، ولا الأمانة أديت ، كأنك لم تكن على بيئته من ربك وإنما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم ، فلما أمكنتك الفرصة في خيانة الأمة ، أسرعت الغدرة ، وعاجلت الوثبة ، فاختطفت ما قدرت من أموالهم ، وانقلبت بها إلى الحجاز كأنك إنما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأُمك .

فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد ؟

أما تخاف الحساب ؟

أما تعلم أنك تأكل حراماً ؟ وتشرب حراماً ؟

وتشتري الإمام وتتكحهم بأموال اليتامى والأرامل والمجاهدين في سبيل الله التي أفاء الله عليهم .

فاتق الله وأد إلى القوم أموالهم ، فإنك والله ! لئن لم تفعل وأمكنتني الله منك لأعذرني إلى الله فيك ، لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ، ما كانت لها عندي هوادة ، ولما تركتها حتى أخذ الحق منهما ، والسلام^(٤) .

في هذه الرسالة بيان لمنزلة المرسل إليه وهي منزلة وضيفة لم تكن لابن عباس .

(١) قد كلب : أي قد اشتد .

(٢) حرد : أي غضب .

(٣) قلبت له ظهر المجن : أي قمت على خلافه كمن يترك قائده في الحرب ويتصل بعدوه .

(٤) نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ٥ / ٢٢٨ - ٢٣٠ ، نقلاً عن كوكبة من المصادر .

(١) نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، المحقق الكبير المحمودي ، نقلاً عن تاريخ الطبري ١٠٨ / ٤ .

(٢) رازمه : أي جامعته .

(٣) لا تبيد : أي لا تفتي .

(٤) العقد الفريد ٢ / ٢٤٢ .

(٥) الأعراف ١٧٥ .

الاعتذار عن الخيانة

الملاحظ لسيرة عبدالله بن عباس يجد أموراً كثيرة معارضة لآتهامه بالخيانة

منها .

١ - منزلة عبدالله بن عباس أجلّ من هذه التهمة الباطلة له فقد قال الإمام

علي عليه السلام عنه :

لله درّ ابن عباس إن كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق (١).

٢ - قال عمرو بن عبيد في حديث له مع سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس

منكراً قول الإمام في ابن عباس : « يفتينا في القملة والقملة ، وطار بأموالنا في ليلة »

... كيف يقول هذا وابن عباس ، لم يفارق علياً عليه السلام حتى قتل ، وشهد صلح

الحسن عليه السلام ، وأي مال يجتمع في بيت المال بالبصرة مع حاجة علي عليه السلام إلى الأموال ،

وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ، ويرشه ؟ قالوا : إنه كان يقبل فيه فكيف

يترك المال يجتمع بالبصرة ؟ هذا باطل (٢).

٣ - الظاهر أنّ قضية أخذه قرضاً من بيت المال هي التي أجاجت هذا

الموضوع وهذا باطل ، إذ كتب أبو الأسود الدؤلي إلى الإمام علي عليه السلام عن هذا

الموضوع فكتب الإمام عليه السلام رسالة إلى ابن عباس جاء فيها :

أما بعد ، فإنّ المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن

ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما

نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً ، وليكن

هتك فيما بعد الموت ، والسلام .

ولمّا وصلت هذه الرسالة الحافلة بالوعظ والإرشاد علّق عليها ابن عباس

نظريّة الإمام الإداريّة

قائلاً : ما اتعظت بكلام قطّ اتعاطي بكلام أمير المؤمنين عليه السلام (١).

وردّ ابن عباس هذه الأموال إلى بيت المال .

٤ - إنّ عبدالله بن عباس تربّى عند أمير المؤمنين علي عليه السلام فيستبعد قيامه بهذا

العمل .

وحزن عبدالله بن عباس على شهادة الإمام علي عليه السلام أشدّ الحزن وبكاه أمرّ

البكاء حتى فقد بصره (٢).

وهو أول من دعا له على المنابر (٣).

وكان ابن عباس يتوسّل إلى الله تعالى بالإمام علي عليه السلام .

٥ - الظاهر أنّ رجال الحزب الأموي والزييري هم الذين حرّفوا رسالة

الإمام علي عليه السلام من أحد السراق إلى عبدالله بن عباس للصراع الحادّ الحاصل بين

الطرفين .

وكان ابن عباس يمثّل طرف أهل البيت عليه السلام فقد أراد عبدالله بن الزبير

إحراقهم وفيهم ابن عباس ومحمّد بن الحنفية وجمع لهم الحطب ، ولو كان ابن عباس

مائلاً إلى الدنيا لمال إلى حكومة ابن الزبير وتنعم بأموالهم ، لكنّه أصرّ على المبدأية

فأهانوه وزجروه ومنعوا عنه جوائزهم .

قسم بن العباس والي مكّة

عيّن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قثم بن العباس والياً على مكّة لورعه

وتقواه .

وفي آخر صلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده الشريف خرج النبي صلى الله عليه وآله متكبّراً

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٤ ، أدب الدنيا والدين ، الماوردي ٦٤ .

(٢) الدرجات الرفيعة في ترجمة ابن عباس ١١٨ .

(٣) مآثر الإبادة ٢ / ٢٣١ .

(١) العقد الفريد ٢ / ٣٦٣ .

(٢) أمالي المرتضى ١ / ١٧٧ .

الاعتذار عن الخيانة

الملاحظ لسيرة عبدالله بن عباس يجد أموراً كثيرة معارضة لاتهامه بالخيانة منها .

١ - منزلة عبدالله بن عباس أجلّ من هذه التهمة الباطلة له فقد قال الإمام علي عليه السلام عنه :

لله درّ ابن عباس إن كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق (١).

٢ - قال عمرو بن عبيد في حديث له مع سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس منكرًا قول الإمام في ابن عباس : « يفتينا في القملة والقميلة ، وطار بأموالنا في ليلة » ... كيف يقول هذا وابن عباس ، لم يفارق علياً عليه السلام حتى قتل ، وشهد صلح الحسن عليه السلام ، وأي مال يجتمع في بيت المال بالبصرة مع حاجة علي عليه السلام إلى الأموال ، وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ، ويرشّه ؟ قالوا : إنّه كان يقبل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة ؟ هذا باطل (٢).

٣ - الظاهر أنّ قضية أخذه قرضاً من بيت المال هي التي أجّجت هذا الموضوع وهذا باطل ، إذ كتب أبو الأسود الدؤلي إلى الإمام علي عليه السلام عن هذا الموضوع فكتب الإمام عليه السلام رسالة إلى ابن عباس جاء فيها :

أما بعد ، فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليديره ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً ، وليكن هبّك فيما بعد الموت ، والسلام .

ولمّا وصلت هذه الرسالة الحافلة بالوعظ والإرشاد علّق عليها ابن عباس

(١) العقد الفريد ٢ / ٣٦٣ .

(٢) أمالي المرتضى ١ / ١٧٧ .

قائلاً : ما اتعظت بكلام قطّ اتعاطي بكلام أمير المؤمنين عليه السلام (١).

ورّد ابن عباس هذه الأموال إلى بيت المال .

٤ - إنّ عبدالله بن عباس تربّى عند أمير المؤمنين علي عليه السلام فيستبعد قيامه بهذا العمل .

وحزن عبدالله بن عباس على شهادة الإمام علي عليه السلام أشدّ الحزن وبكاه أمرّ البكاء حتّى فقد بصره (٢).

وهو أوّل من دعا له على المنابر (٣).

وكان ابن عباس يتوسّل إلى الله تعالى بالإمام علي عليه السلام .

٥ - الظاهر أنّ رجال الحزب الأموي والزييري هم الذين حرّفوا رسالة الإمام علي عليه السلام من أحد السراق إلى عبدالله بن عباس للصراع الحادّ الحاصل بين الطرفين .

وكان ابن عباس يمثّل طرف أهل البيت عليه السلام فقد أراد عبدالله بن الزبير إحراقهم وفيهم ابن عباس ومحمّد بن الحنفية وجمع لهم الحطب ، ولو كان ابن عباس مائلاً إلى الدنيا لمال إلى حكومة ابن الزبير وتنعم بأموالهم ، لكنّه أصرّ على البداية فأهانوه وزجروه ومنعوا عنه جوائزهم .

قثم بن العباس والي مكة

عيّن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قثم بن العباس والياً على مكة لورعه وتقواه .

وفي آخر صلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده الشريف خرج النبي صلى الله عليه وآله متكبّراً

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٤ ، أدب الدنيا والدين ، الماوردي ٦٤ .

(٢) الدرجات الرفيعة في ترجمة ابن عباس ١١٨ .

(٣) مآثر الإنافة ٢ / ٢٣١ .

على الإمام علي عليه السلام وقثم بن العباس .

وأُمّه لبيبة بنت الحارث الهلالية ثاني امرأة أسلمت بعد خديجة أم المؤمنين .
وقال قثم واصفاً أمير المؤمنين عليه السلام : كان أولنا لحوفاً ، وأشدنا لزوقاً^(١) .

واستمر قثم والياً على مكة وخادماً لأمير المؤمنين عليه السلام إلى أن استشهد الإمام

في سنة ٤٠ هـ هجرية .

وكتب الإمام عليه السلام رسالة إلى قثم جاء فيها :

إما قاتل لعثمان ، أو خاذل له ، وهو لا يصلح للإمامة ، وأن الصالح للإمامة
معاوية بن أبي سفيان^(٢) ، فكتب إليه الإمام يحذره من معاوية وأذنبه :

أما بعد ، فإن عيني - بالمغرب^(٣) - كتب إلي يعلمني أنه وجه على الموسم أناس
من أهل الشام العمي القلوب ، الصم الأسماع ، الكمه الأبصار^(٤) ، الذين يلتمسون
الحق بالباطل ، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ، ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ،
ويشترون عاجلها بأجل الأبرار والمتقين ؛ ولن يفوز بالخير إلا عامله ، ولا يجزي
جزاء الشر إلا فاعله . فأقم على ما في يدك قيام الحازم الصليب ، والناصح اللبيب ،
والتابع لسultanه ، المطيع لإمامه .

وإيّاك وما يعتذر منه ، ولا تكن عند النعماء بطراً^(٥) ، ولا عند البأساء فشلاً ،

والسلام^(٦) .

فوصف الإمام عليه السلام طغاة الشام أنهم : عمي القلوب ، صم الأسماع ، كمه
الأبصار ، يلتمسون الباطل باسم الحق ، يطيعون المخلوق بمعصية الخالق ، ويسرقون

(١) أسد الغابة ٣ / ٣٧٣ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ، شرح ابن ميثم على الرسالة التالية .

(٣) أراد بـ « المغرب » : الشام ، وسمي مغرباً لأنه من الأقاليم الغربية .

(٤) الكمه : جمع أكمه ، وهو من ولد أعمى .

(٥) البطر : شدة الفرح .

(٦) مصادر نهج البلاغة وأسانيده - قسم الرسائل والعهود ٣ / ٣١٨ .

مال الدنيا بالدين .

ونصحه باتباع الحق في السرّاء والضراء .

رسالة أخرى إلى قثم

أما بعد ، فأقم للناس الحجّ ، وذكرهم بآيات الله ، واجلس لهم العصرين ،
فأفت المستفتي ، وعلم الجاهل ، وذاكر العالم . ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا
لسانك ، ولا حاجب إلا وجهك . ولا تحجبن ذا حاجة عن لقاءك بها ، فإنها إن
ذيدت^(١) عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها .

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال
والجماعة ، مصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لتقسمه
فيمن قبلنا .

ومر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجراً ، فإن الله سبحانه يقول :

﴿سَوَاءٌ أَلْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فالعاكف : المقيم به ، والبادي : الذي يحج إليه من

غير أهله .

وشرعت رسالة الإمام علي عليه السلام في بيان وظيفة الوالي أن يجلس للناس
صباحاً ومساءً جلسة عمومية يفتي فيهم في المسائل الشرعية ويعلم الجاهل ويذاكر
العالم منهم وأن يخاطبهم مباشرة ولا ينصب الحجاب على بابه فيمنعون الناس منه
ويقابل أهل الحاجة . وابدأ بتقسيم المال بين ذوي الحاجة في بلدك ثم احمّل إلينا
الزائد عن حاجتك . ويأمر أهل مكة بعدم أخذهم الأجر عن سكنهم في البلد تبعاً
للآية القرآنية .

(١) ذيدت : أي منعت .

عبيد الله بن العباس

وهو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عيّنهُ الإمام عليه السلام على اليمن .
ولمّا وصل إليها وجد خزينة بيت المال خالية بعدما أخذها والي عثمان على
اليمن يعلى بن منبه .

فيعلى نهب هذه الأموال أولاً ودعم الفتنة ثانياً إذ جهّز بها جيش عائشة
بشراء ذمم الأعراب والمناققين وبعد خسارة جيش عائشة وهزيمتهم اهتدى يعلى
إلى الحقّ والتحقّ بجيش الإمام علي عليه السلام .

ولمّا كان عبيد الله بن العباس في اليمن جهّز له معاوية جيشاً بقيادة بسر بن
أرطأة لاحتلال اليمن . ولمّا وصل جيش بسر إلى اليمن هرب عبيد الله بن عباس إلى
الكوفة ولم يكن بمستوى المسؤولية هناك ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد
الحرثي .

فجاء بسر بجيشه وقتل طفلي عبيد الله بن عباس وقتل الناس على الظنّ
والتهمة .

وهذا بسر الشجاع على النساء والأطفال فرّ فرار العبيد الآبفين من جيش
جارية بن قدامة السعدي الذي لاحقه في الحجاز فأخذ يتخفّى في النهار ويمشي في
الليل ويمحو آثاره ويتوسّل بالشريف والذوّيّ للبحث عن طريق صحراوي أو جبلي
ينقذه من ابن قدامة !!

وأخذت أمّ الطفلين عائشة بنت عبد الله المدان تنشد في المواسم هذه الآيات
التي مثلت أساها ، وهي :

يامن أحسن بُنيّ اللذين هما	كالدّرّتين تشظّي عنها الصدف
يامن أحسن بُنيّ اللذين هما	مخّ العظام فحّيّ اليوم مزدهدف
يامن أحسن بُنيّ اللذين هما	قلبي وسمعي ، فقلبي اليوم محتطف
من ذلّ والهتّ حيرى مدّهة	على صبيين ذللاً إذ غدا السلف ؟

تّبّت بسراً وما صدّقت ما زعموا من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أحنى على ودجي إيسني مرهفة من الشفار كذاك الإثم يقترف
ولمّا سمع الإمام عليه السلام بقتل الصّيين دعا على بسر ، فقال : « أسلبه دينه
وعقله » ، واستجاب الله دعاء الإمام عليه السلام ففقد بسر عقله ، فكان يهذي ويطلب
السيّف فيؤتى بسيّف من خشب ، ويجعل بين يديه زقّ منفوخ فلا يزال يضربه حتّى
مات (١) .

وبسر نموذج من ولاة معاوية ووجه من وجوهه البشعة ووجهه الآخر عمرو
بن العاص ، فهؤلاء الجبناء الأراذل يفرّون من الحروب ويكشفون عوراتهم للبقاء
في الدنيا ويتفتنون في قتل الأبرياء والضعفاء .

عمر بن أبي سلمة والي البحرين

وهو عمر بن أبي سلمة المخزومي ربيب رسول الله ﷺ ، أمّه أمّ المؤمنين
السيدة أمّ سلمة ، يكتنّى أبا جعفر ، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة ،
وقد أرسلته أمّه لمساعدة الإمام عليه السلام في حرب الجمل ، وقد بعثت معه رسالة إلى
الإمام عليه السلام جاء فيها :

« لولا أنّ الجهاد موضوع عن النساء لجئت فجاهدت بين يديك ، هذا ابني
عديل النفس فاستوص به خيراً يا أمير المؤمنين ! » .

وقد عزله الإمام عليه السلام عن ولاية البحرين وشاركه في حرب الجمل (٢) ، وكتب
إليه هذه الرسالة :

أمّا بعد ، فإنّي قد وليت نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ، ونزعت يدك

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٩٣ .

(٢) أسد الغابة - باب العين ٢ / ١٦٩ - ١٧٠ .

بلا ذمّ لك، ولا تثريب عليك^(١)؛ فلقد أحسنت الولاية، وأدّيت الأمانة، فأقبل غير ظنين^(٢)، ولا ملوم، ولا متهم، ولا مأتوم، فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي، فإنّك بمنّ أستظهر به على جهاد العدو، وإقامة عمود الدين، إن شاء الله^(٣).

وتوفّي هذا الرجل المخلص المفضّل للآخرة على الدنيا في سنة ٨٣ هجرية زمن عبد الملك بن مروان^(٤). على دين الحقّ ونهج الصدق وركن الإسلام وبيعة الإمام عليه السلام مثلما كانت عليه أمّ سلمة الصادقة الوفيّة ليهود ووصايا رسول الله ﷺ. فكانت خديجة وأمّ سلمة أرفع نساء النبي ﷺ طاعة وإخلاصاً وعلماً وفضيلة.

وكانت عائشة وحفصة وسودة أسوأ نساء النبي ﷺ في فتنها وعنادها وركوبها للمعاصي وتهريبها على الرسول وآله واختلافها للحديث.

النعمان بن عجلان

من المؤمنين الأخيار الساعين في الصراط المستقيم والمتمسكين بالعروة الوثقى والراكبين في سفينة النجاة.

النعمان بن عجلان من رجال الأنصار، ولسانهم وشاعرهم، وهو القائل يوم السقيفة في تمجيد الأنصار، وذكر الخلافة بعد النبي محاججاً عمرو بن العاص: فقل لقريش نحن أصحاب مكّة ويوم حنين والفوارس في بدر وأصحاب أحد والنضير وخيبر ونحن رجعنا من قريظة بالذكر

(١) التثريب: الاستقصاء في اللوم.

(٢) ظنين: أي غير متهم.

(٣) تاريخ ابن واضح ٢ / ١٩٠.

(٤) أسد الغابة ٢ / ١٦٩.

ويوم بأرض الشام إذ قتل جعفر وفي كل يوم ينكر الكلب أهله نصرنا وآوينا النبي ولم نخف وقلنا للقوم هاجروا قبل مرحباً نقاسمكم أموالنا وبيوتنا ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه وقتلتم حرام نصب سعد ونصبكم وكان هواناً في علي وإنه وصي النبي المصطفى وابن عمّه وحكت هذه اللوحة كثيراً من الأحداث التاريخية، والتي منها جهاد الأنصار ونهجمهم.

هذه اللوحة الشعرية بيّنت أحداث السقيفة السقيمة المخالفة للدين والنصّ النبوي ورغبة الأنصار في أمير المؤمنين علي عليه السلام وعدم تواطئهم على اغتصاب السلطة.

وقولهم معروف في السقيفة: «لا تبايع إلا علياً»^(٢) لكن هذا الرجل بدأ يجمع أموال المسلمين وهبة الكثير منها إلى أرحامه فغضب الإمام علي عليه السلام عليه وعزله. فذهب عجلان إلى معاوية بن أبي سفيان راغباً في الدنيا تاركاً الآخرة. ممّا بيّنت تأثر هذا بسيرة أبي بكر وعمر وعثمان في توزيع الأموال بين الناس بلا حقّ.

(١) مصادر نهج البلاغة - قسم الرسائل ٣ / ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣، الإمامة والسياسة ٢ / ٢٢٦.

مخنف بن سليم والي أصبهان

وهو مخنف بن سليم الأزدي الغامدي من أصحاب النبي ﷺ عيّنه الإمام عليه السلام والياً على أصبهان وزوّده بهذه الرسالة: أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفّيات عمله حيث لا شاهد غيره ولا وكيل دونه. وقال عليه السلام له: وإنّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة، وإنّا موفوك حقك فوقهم حقوقهم.

وإنّ تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤساً لمن خصمه - عند الله - الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون، والغارمون وابسن السبيل! ومن استهان بالأمانة، ورتع في الحياة، ولم ينزّه نفسه ودينه عنها، فقد أحلّ بنفسه الذلّ والحزى في الدنيا، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى.

وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمانة، وأفظع الغشّ غشّ الأمانة، والسلام^(١).

ولمّا حارب الإمام عليه السلام معاوية أرسل إلى مخنف بن سليم الرسالة التالية يطلب منه أن يكون معه لمناجزة طاغية الأمويين وهذا نصّها:

«سلام عليك، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبة عنه وهبّ في نعاس العمى والضلال اختياراً له، فريضة على العارفين.

إنّ الله يرضى عمّن أراضاه، ويسخط على من عصاه، وإنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله واستأثروا بالنبي، وعطلوا الحدود، وأماتوا الحقّ وأظهروا في الأرض الفساد، واتخذوا الفاسقين وليجة^(٢) من دون المؤمنين، فإذا ولي الله أعظم أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرّموه، وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه وأدنوه وبرّوه، فقد أصروا على الظلم

(١) نصّ على ذلك السيّد عبد الزهرة الحسيني، نقلًا عن دعائم الإسلام ١ / ٢٥٢.

(٢) الوليجة: البطانة.

وأجمعوا على الخلاف، وقد يما ما صدّوا عن الحقّ وتعاونوا على الإنم وكانوا ظالمين. فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك، وأقبل إلينا لعلك تلقى معنا هذا العدو المحلّ^(١)، فتأمر بالمعروف، وتنبه عن المنكر، وتجامع الحقّ وتباين المبتل، فإنّه لا غنى بنا ولا بك عن أجر الجهاد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

كتب هذه الرسالة عبيد الله بن رافع في سنة (٥٣٧هـ)، ونفر مخنف للجهاد، واستعمل على أصبهان الحارث بن أبي الحارث، وأقبل بجيّد في السير حتّى شهد مع الإمام صفّين^(٢).

فكان هذا الرجل مثالاً للطاعة والورع وقدوة يحتذى به في ذلك العصر المليء بالفتن.

الشيباني والي الإمام عليه السلام على أردشير خزّه

وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني الذي عيّنه الإمام عليه السلام والياً على خزّه من كور فارس ومنها مدينة شيراز^(٣). ثمّ بلغ الإمام عليه السلام أنّه يهب أموال المسلمين ويفرقها بين الشعراء وعشيرته، ومن يقصده من السائلين، فكتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة:

أما بعد، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدّقه، بلغني أنّك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك^(٤) من السائلة والأحزاب، وأهل الكذب من الشعراء، كما تقسّم الجوز.

(١) المحلّ: الذي أحلّ ما حرّم الله تعالى.

(٢) كتاب صفّين ١٠٤.

(٣) معجم البلدان ١ / ١٨٤.

(٤) اعتراك: أي قصدك.

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة! لأفتشنّ عن ذلك تفتيشاً شافياً، فإن وجدته حقاً لتجدنّ بنفسك عليّ هواناً، فلا تكوننّ من الخاسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

تبيّن هذه الرسالة الحكم الشرعي مع سارقي الأموال العامة واللاعبين بخزائن المسلمين الذين يفرّقونها على من يحبّون وينثرونها على شعراء السوء.

فنصح الإمام عليه السلام أولاً ثمّ هدّده بالتفتيش عنها فإن حصل على فعله المذكور دليلاً فسوف يعاقب عقاباً قاسياً.

ولما انتهت الرسالة إلى مصقلة أجاب الإمام عليه السلام بما يلي:

«أما بعد... فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقاً فليعجل عزلي بعد نكال، فكلّ مملوك لي حرّ.

وعليّ آثام ربيعة ومضر إن كنت رزأت^(١) من عملي ديناراً ولا درهماً منذ وليّته إلى أن ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين، وتعلمنّ أنّ العزل أهون عليّ من التهمة».

ولما انتهى الكتاب إلى الإمام عليه السلام وقرأه قال: «ما أظنّ أبا الفضل إلّا صادقاً»^(٢).

وتجد بعض العلماء يكذّبون الأموال خلافاً لمنهج الإمام عليه السلام في تفرغ بيت المال كل أسبوع وتوزيعه على الفقراء!!

كميل بن زياد على هيت

وهو كميل بن زياد النخعي الحجّة العلم الزاهد العابد، القريب من الإمام علي عليه السلام والساعي لتحصيل علومه وحفظ أدعيته وأقواله فقالوا فيه:

(١) رزأت: أي أخذت.

(٢) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٢٠.

« كان شريفاً مطاعاً في قومه وأنه من أجلّ علماء وقته وعقلاء زمانه ونسّاك عصره »^(١).

ومن الروايات التي وصلتنا عن كميل دعاء الإمام علي عليه السلام المعروف بدعاء كميل والكثير من الروايات الأخلاقية والحديثية^(٢).

وهو من خير التابعين روى عن الإمام عليه السلام قوله: الناس ثلاثة عالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق^(٣).

وتقع مدينة هيت على نهر الفرات قرب بغداد وتتصل ببادية الشام بين العراق والشام^(٤).

ولما وصل كميل إلى هيت اشتدّ الصراع بين أتباع الإمام علي عليه السلام وأتباع الباطل في الشام فأرسل معاوية جيشاً إلى هيت بقيادة سفيان بن عوف في ستّة آلاف وأمره بنهب هيت وقتل أهلها.

ولما وصل ذلك الجيش إلى هيت وجدها خالية فأغار على الأنبار. وكان كميل بن زياد قد فرّق جنده المؤلفين من خمسمائة رجل على المناطق المجاورة وأخذ هو منهم مائتين رجل صوب قرقيسيا لصدّ جيشها المحتمل هجومه على هيت.

فاستغلّ جيش معاوية هذه القرصة وقتل ثلاثين محارباً ونهبوا مدينة الأنبار. فتأثر الإمام علي عليه السلام وكتب إلى كميل:

أما بعد، فإنّ تضييع المرء ما وليّ، وتكلّفه ما كفي، لعجز حاضر، ورأي

(١) أضواء على دعاء كميل ٨٥.

(٢) البحار ٦٣ / ٤٢٤.

(٣) الاختصاص، المفيد ٦، الأمالي، المفيد ٢٤٧، البحار ٤١ / ٢١٦.

(٤) معجم البلدان ٥ / ٤٨٣.

(١) متبر (١).

وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا ، وتعطيلك مسالحك التي ولّيناك - ليس بها من يمنعها ، ولا يرذ الجيوش عنها - لرأي شعاع (٢). فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك ، غير شديد المنكب ، ولا مهيب الجانب ، ولا ساذّ ثغرة ، ولا كاسر لعدو شوكة ، ولا مغن عن أهل مصره ، ولا مجز عن أميره (٣). وشارك كميل في معركة صفّين ومعركة النهروان .

وفي نهاية المطاف لاحقه الحجاج السفّاح فهرب فحرم الحجاج قومه عطاءهم فعاد كميل إليه فقال له : إنّي قاتلك قال كميل : لقد أخبرني أمير المؤمنين أنّك قاتلي فضرب عنقه سنة ٤٢ هجرية (٤).

الفصل الثالث: الهاربون الى معاوية

هروب مصقلة الى معاوية

أما كيفية هرب هذا المعتوه إلى معاوية ، فقد حدّثوا أنّ الحرّيت بن راشد الناجي ، وهو من أعلام الخوارج المفسدين في الأرض ، قد نقم على الإمام قصّة التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، وقد انضمّ إليه جماعة من قومه ، وكانوا نصارى ، فأخلّوا بشروط الذمّة ، كما ارتدّ بنو ناجية عن الإسلام ، وأخذوا يشيعون الرعب والفساد بين الناس .

فبعث إليهم الإمام عليه السلام فرقة من جيشه لقتال الحرّيت وعصابته فأدركتهم في

(١) متبر : أي رأي فاسد .

(٢) رأي شعاع ، أي غير ملتئم .

(٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ٥ / ٣٢٠ .

(٤) البحار ٤٢ / ٤٨ .

نظريّة الإمام الإداريّة

سيف البحر بفارس ، فقتل الحرّيت وقتل معه جمهرة من أتباعه ، وسبوا من أدرك في رحالهم من النساء والصبيان ، وكانوا خمسمائة أسير ، فارتفعت أصواتهم بالبكاء واستغاثوا بمصقلة فرقّ لهم ، فاشتراهم من معقل قائد جيش الإمام بخمسمائة الف درهم ثمّ اعتقهم ، وأدّى ثلث ثمنهم ، وأشهد على نفسه بالباقي ، ثمّ امتنع عن أدائه ، ولما ثقلت عليه المطالبة هرب تحت جنح الظلام إلى معاوية (١).

ولما بلغ خبره الإمام علياً عليه السلام قال : قبيح الله مصقلة فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد فما أنطق مادحه حتّى أسكنه ولا صدقّ واصفه حتّى بكته ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا بما له وفوره (٢).

وكان مصقلة بن هبيرة ... من وجوه أهل العراق ، كان من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام ، ووُلّي أردشير خُرّه من قبل ابن عبّاس ، وعتب علي عليه السلام عليه في إعطاء مال الخراج لمن يقصده من بني عمّه .

إنّ بني ناجية قوماً كانوا يسكنون الأسياف ، وكانوا قومياً يدعون في قريش نسباً ، وكانوا نصارى فأسلموا ، ثمّ رجعوا عن الإسلام ، فهدم أمير المؤمنين عليه السلام داره وأجاز عتقهم .

هروب اللصّ الققعاق بن شور

ومن اللصوص الهاربين الققعاق والي « ميسان » (٣).

قبض على بيت المال لترفه وملذّاته . وحين علم أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أطلع على ذلك ، أخذ الأموال وذهب إلى معاوية (٤).

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٦٥ - ٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١ / ٢٦٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٣ / ١٣ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ / ٨٧ ، تاريخ الطبري ٥ / ٣٦٩ ، ٣٨١ ، الأخبار الطوال ٣٣٩ .

فكلّ لَصٍّ أصبح من أهدافه سرقة أموال الناس والهروب إلى معاوية .
وقال الإمام علي عليه السلام : تسألوني المال ؟! وقد استعملت القعقاع بن شور على كَشْكِر ، فأصدقني امرأة بمائة الف درهم ، وإيم الله لو كان كفوًّا ما أصدقها ذلك (١) .
وهذا يبيِّن درجة انحدار هذا الشخص للرذيلة .

هروب مولى للإمام علي عليه السلام إلى معاوية

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ مولىً لأمير المؤمنين عليه السلام سأله مالاً ، فقال : يخرج عطائي فأفاسمك .

فقال : لا أكتفي ، وخرج إلى معاوية فوصله ، فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال ، فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام :

أما بعد : فإنَّ ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك ، وهو صائر إلى أهله بعدك ، وإنما لك منه ما مهَّدت لنفسك ، فأثر نفسك على صلاح ولدك ؛ فإنَّما أنت جامع لأحد رجلين : إمَّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت ، وإمَّا رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له ، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد له على ظهرك ، فارجُ لمن مضى رحمة الله ، وثق لمن بقي برزق الله (٢) .

وهذا نموذج آخر من طلاب الدنيا الساعين لجمع المال من وجوه شتى بلا عناية لمصدره ومنبعه .

هروب النعمان بن العجلان

واستمرَّ الخوثة في الهروب إلى معاوية وجمع المال فهرب النعمان بن العجلان

(١) الغارات ٢ / ٥٣٣ عن أبي إسحاق الشيباني ، وراجع شرح نهج البلاغة ٤ / ٨٧ .
(٢) الكافي ٨ / ٧٢ ح ٢٨ عن يونس عن بعض أصحابه ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ / ١١١ وفيه «أحوج» بدل «صلاح» .

بمال البحرين ، فكتب إليه علي عليه السلام :
«أما بعد : فإنَّه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة ، ولم ينزّه نفسه ودينه ، أدخل بنفسه في الدنيا ، وما يُشفي (١) عليه بعدُ أمر وأبقى وأشقى وأطول .
فخف الله ! إنَّك من عشيرة ذات صلاح ، فكن عند صالح الظنِّ بك ، وراجع ، إن كان حقًّا ما بلغني عنك ، ولا تقلبن رأبي فيك ، واستنظف خراجك ، ثمَّ اكتب إليَّ ليأتيك رأبي وأمري ، إن شاء الله .»
فلما جاءه كتاب علي عليه السلام ، وعرف أنه قد علم بسرقة المال ، لحق بمعاوية (٢) .

هروب يزيد بن حجة

ومن الهاربين بيت مال المسلمين يزيد بن حجة فهو يتحد مع مروان ومعاوية في مشروع اللصوصية وأصبح مع الإمام عليه السلام من أجل المال فلم يفلح رغم أنه ممَّن شهد معه حروبه (٣) وأحد شهود التحكيم (٤) .
استعمله الإمام عليه السلام على الري ودستى (٥) - (٦) . لكنَّه انتهج الخيانة ، إذ نقل ابن الأثير أنه استحوذ على ثلاثين الف درهم من بيت المال ؛ وطالبه الإمام بالنقص

(١) يُشفي : يُشرف (لسان العرب ١٤ / ٤٣٧) .
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٠١ . وفي خصوص كونه والياً على البحرين من قبل الإمام عليه السلام راجع نهج البلاغة الكتاب ٤٢ ، وتاريخ الطبري ٤ / ٤٥٢ ، والكامل في التاريخ ٢ / ٣٢٣ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١٥١ .
(٣) تاريخ دمشق ٦٥ / ١٤٧ ح ٨٢٥٦ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٦٧ ، الأخبار الموقّيات ٥٧٥ / ٣٧٤ .
(٤) تاريخ الطبري ٥ / ٥٤ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٨٩ ، تاريخ دمشق ٦٥ / ١٤٧ .
(٥) دَسْتِي : بلدة تقع إلى الغرب من مدينة طهران ، وكانت واسعة بحيث تشمل ما بين قزوین وهمدان الحاليتين (راجع معجم البلدان ٢ / ٤٥٤) .
(٦) الغارات ٢ / ٥٢٥ ، أنساب الأشراف ٣ / ٢١٥ ، الأخبار الموقّيات ٥٧٥ / ٣٧٤ ، تاريخ دمشق ٦٥ / ١٤٧ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٦٧ ، وفيهما «استعمله على الري» .

الحاصل في بيت المال ، فأنكر ذلك ، فجلده وسجنه ، وفرّ من السجن والتحق بمعاوية^(١).

وقال شعراً يذمّ فيه علياً عليه السلام ويخبره أنّه من أعدائه ، لعنه الله ، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فدعا عليه ، وقال لأصحابه : ارفعوا أيديكم فادعوا عليه ، فدعا عليه علي عليه السلام وأمن أصحابه .

فقال علي عليه السلام اللهم إنّ يزيد بن حبيّة هرب بمال المسلمين ، ولحق بالقوم الفاسقين ، فاكفنا مكروه وكيد ، واجزه جزاء الظالمين^(٢).

وشهد على حجر بن عدي حين أراد معاوية قتله^(٣) ظالماً لنفسه وللمؤمنين .

فيمن لحق بمعاوية من أهل المدينة

وكتب الإمام علي عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري ، وهو عامله على المدينة ، في قوم لحقوا بمعاوية - : أما بعد ؛ فقد بلغني أنّ رجلاً ممن قبلك يتسلّلون إلى معاوية ؛ فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ، ويذهب عنك من مددهم ؛ لهم غيياً ، ولك منهم شافياً ، فرارهم من الهدى والحقّ ، وإيضاعهم إلى العمى والجهل ، وإمّأهم أهل دنيا مُقبلون عليها ، ومُهمطعون إليها ، وقد عرفوا العدل ورأوه ، وسمعوه ووعوه ، وعلّموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أسوة ، فهربوا إلى الأثرة ، فبُعداً لهم وسحقاً !!
إنّهم - والله - لم ينفروا من جور ، ولم يلحقوا بعدل ، وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّ الله لنا صعبه ، ويسهّل لنا حرّنه ، إن شاء الله ، والسلام^(٤).

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٣٦٧ ، الغارات ٢ / ٥٢٥ - ٥٢٨ ، أنساب الأشراف ٣ / ٢١٦ ، تاريخ دمشق ٦٥ / ١٤٧ ح ٨٢٥٦ ، الأخبار الموقّفات ٥٧٥ / ٣٧٤ ، وليس فيه « حبّسه » .

(٢) الغارات ٢ / ٥٢٥ و ٥٢٨ ، وراجع أنساب الأشراف ٣ / ٢١٥ ، والكامل في التاريخ ٢ / ٣٦٧ ، والأخبار الموقّفات ٥٧٥ / ٣٧٤ ، وتاريخ دمشق ٦٥ / ١٤٧ - ١٤٩ .

(٣) الغارات ٢ / ٥٢٨ ، أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٨ ، تاريخ الطبري ٥ / ٢٧٣ .

(٤) الحزّن : المكان الغليظ الخشن (النهاية ١ / ٣٨٠) . نهج البلاغة : الكتاب ٧٠ ، أنساب

سقوط بسبب المادّة

قال رجل لأبي عبد الرحمن السلمي : أنشدك بالله تخبرني ، فلما أكّد عليه قال : بالله هل أبغضت علياً إلاّ يوم قسّم المال في أهل الكوفة فلم يصبك ولا أهل بيتك منه شيء ؟

قال : أمّا إذا أنشدتني بالله فلقد كان ذلك^(١).

مّن وراء الاختلافات الداخلية

سعى أعوان معاوية في جيش العراق والخوارج والمنافقون لبثّ الفرقة في أوساط هذا الجيش ومنعه من الحرب بحجج شتى مرّة بحجّة رفع المصاحف والتحكيم للقرآن .

ومرّة بحجج الحرّ والبرد ونفاذ العتاد وتقصّ آلات الحرب ، فهؤلاء كانوا يسعون الليل والنهار في هذه الضروب المختلفة من الأعمال المتضادّة مع الحرب .
الاعتقاد الضعيف :

ان تربية الناس على أيدي الولاة الفسقة في العراق كالأشعري والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر أفسد الرجال وخرب عقائدهم ، وأضعف إيمانهم وقوّى نفوسهم العاصية وأهدافهم المادّية .

فواحدهم لا يكتفي بأكله وشربه وملبسه ومسكنه ولا يقتنع بما عنده .

وغت شهواتهم فلم يقتنع الواحد منهم بالزوجة والابن والاربع بل يرغبون

في مئات من الجوّاري وأمثالهم من العبيد .

فأصبحت الحروب الجهادية تجارة مادّية رابحة تدرّ الذهب والفضّة

والجوّاري والعبيد على المحاربين .

١) أنساب الأشراف ٢ / ٣٨٦ نحوه إلى « سحقاً » وراجع تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٠٣ .

(١) المنتخب من ذيل المذيل ١ / ١٤٧ ، الغارات ٢ / ٥٦٧ .

وسار معاوية على هذه الثقافة الخاطئة وهذه المشاريع الطالحة .

ولولا صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وتوقف الحرب بمعاودة لسبي معاوية نساء الكوفة .

لذا لو طلب الإمام علي عليه السلام من أهل العراق التهيؤ لفتح تركيا لما تهاونوا ولما اعتذروا أبداً وتحرّكوا نحو غنائم هذا البلد المهم .

والناس على دين ملوكهم ووالي الكوفة في زمن كان المغيرة بن شعبة الذي أحسن أربعائة امرأة !

والوليد بن عقبة حوّل مسجد الكوفة من مركز للعبادة إلى دار للعب السحر بيد ساحر يهودي !

وصلى سكراناً في مسجد الكوفة صلاة الصبح أربع ركع !

وآخر الولاية كان أبو موسى الأشعري الذي قال فيه رسول الله ﷺ : أَنَّهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ .

فهؤلاء المساكين تربّوا على يدي المغيرة الفاجر والوليد الفاسق بنصّ القرآن والأشعري المنافق بنصّ النبي ﷺ .

وهؤلاء الولاية عيّنهم عمر وعثمان اللذين أبعدا رجال بدر وقربوا المفسدين فنشروا ثقافة العصاة المترفين في أرض ربّ العالمين !!

وإقامة الإعوجاج أمر صعب مستصعب مثلما لاقى سيّد الرسل المصاعب مع أهالي مكة ، فاضطرّ إلى انتخاب شعب طاهر يكسب من النبي ﷺ تعاليمه فوق انتخابه على الأنصار .

ولمّا أراد أمير المؤمنين تحويل جنود العراق من محاربيين لأجل الغنيمة إلى مقاتلين في سبيل الله واجه صعوبات .

فن الأمور المضحكة أنّ شاعر أهالي الكوفة النجاشي كان من مدمني الخمر ! وأصرّ هؤلاء على عاداتهم مثلما أصرّ أهالي قريش على كفرهم

واستبدادهم .

وأصرّ الإمام علي عليه السلام على الوعظ والإرشاد لتقويم الإعوجاج ومحو التريّة الأموية والأشعرية فلم يمهله القاسطون والمارقون .

ومن ضعاف الإيمان جرير بن عبد الله البجلي

قال الإمام علي عليه السلام فيه : يستصغر كلّ أحد ويحتقره ، قد ملئ ناراً ، وهو مع ذلك يطلب رئاسة ، ويروم إمارة ، وهذا الأعمور [يعني الأشعث] يغويه ويطنّيه ، إن حدّته كذبّه ، وإن قام دونه نكص عنه ، فهما كالشيطان :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه (١) .

فلم يزل جرير معتزلاً لعلي عليه السلام ومعاوية بالجزيرة ونواحيها ، حتّى توفّي بالشرأة في ولاية الضحّاك بن قيس على الكوفة (٢) .

فيكون البجلي شخصاً آخر من الذين أغواهم الأشعث وحزبهم عن الصراط القويم ورحيل البجلي إلى معاوية بيّن هوى الأشعث في معاوية وحبّه له .

ومن المنافقين وائل بن حجر

وكان في أتباع الإمام عليه السلام المنافقون السابقون من أعوان الأشعري .

(١) سورة الحشر ١٦ ، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٨٧ / ٢٧٧ ، نثر الدرّ ١ / ٣٢٥ نحوه ، تاريخ

الطبري ٤ / ٥٦٢ ، وراجع الغارات ٢ / ٥٥٣ ، وشرح نهج البلاغة ٤ / ٩٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٣٦ ح ١٠٨ ، تهذيب الكمال ٤ / ٥٣٥ ح ٩١٧ وفيه « بالسرأة » بدل «

بالشرأة » وزاد في آخره « وكانت ولايته ستين ونصفاً بعد زياد بن أبي سفيان » وراجع

الطبقات الكبرى ٦ / ٢٢ .

فكان وائل بن حجر عند علي عليه السلام بالكوفة ، وكان يرى رأي عثمان ، فقال لعلي عليه السلام : إن رأيت أن تأذن لي بالخروج إلى بلادي وأصلح مالي هناك ، ثم لا ألبث إلا قليلاً إن شاء الله حتى أرجع إليك .

فأذن له علي عليه السلام . فخرج إلى بلاد قومه وكان قبلاً^(١) من أقبياهم ، عظيم الشأن فيهم ، وكان الناس بها أحزاباً وشيعاً ؛ فشيعة ترى رأي عثمان ، وأخرى ترى رأي علي عليه السلام ، فكان وائل بن حجر هناك حتى دخل بئر صنعاء .

فكتب إليه : أما بعد ؛ فإن شيعة عثمان ببلادنا شطر أهلها ، فأقدم علينا ؛ فإنه ليس بحضرموت أحد يردك عنها ولا ينصب لك فيها ، فأقبل إليها بسر بن أرطاة بمن معه حتى دخلها .

فزعم أن وائلاً استقبل بسر بن أبي أرطاة بشنوءة ، فأعطاه عشرة آلاف ، وأنه كلمه في حضرموت ، فقال له : ما تريد ؟

قال : أريد أن أقتل ربع حضرموت .

قال : إن كنت تريد أن تقتل ربع حضرموت فاقتل عبدالله بن ثوبان ؛ إنه لرجل فيهم ، وكان من المقاتلة^(٢) العظام ، وكان له عدوٌّ في رأيه مخالفاً^(٣) .

فالإمام عليه السلام بجمعه سمح لوائيل بالعودة إلى بلده فهو حرٌّ ما دام لم يرتكب ذنباً فخان الله تعالى والمؤمنين .

هروب شاعر الكوفة الفاسق إلى معاوية

وهذا الشاعر هو مقيس بن عمرو بن مالك المعروف بالنجاشي فهذا الشاعر

كان يدعو الناس لنصرة الإمام علي عليه السلام ومحاربة معاوية .

(١) القليل : المالك الناقد القول والأمر (لسان العرب ١١ / ٥٧٦) .

(٢) المقاتلة : جمع قتل (لسان العرب ١١ / ٥٧٥) وقد تقدّم توضيحه .

(٣) الغارات ٢ / ٦٣٠ .

فلما أقام عليه الإمام عليه السلام الحدّ لشربه الخمر في صيام شهر رمضان تأثر وهرب إلى صفوف معاوية وغوذج النجاشي من النماذج المحتاجة إلى التدبّر .

إذ خرج النجاشي في أوّل يوم من رمضان ، فرّ بأبي سَهْل الأسدي وهو قاعد بفناء داره ، فقال له : أين تريد ؟

قال : أريد الكناسة^(١) ، قال هل لك في رؤوس وألياتٍ قد وضعت في التّور من أوّل الليل فأصبحت قد أينعت وتسرّأت ؟ قال : ويحك ؛ في أوّل يوم من رمضان ؟! قال : دعنا ممّا لا نعرف .

قال : ثمّ ممّة ؟ قال : ثمّ أسقيك من شراب كالوَرُس^(٢) ، يُطَيّب النفس ، ويجري في العرق ، ويزيد في الطّرق ، يهضم الطعام ، ويسهّل للقدّ^(٣) الكلام .

فزل فتعدّياً ثمّ أتاه بنبيذ فشرباه ، فلما كان من آخر النهار علت أصواتها ، ولها جار يتشيع من أصحاب علي عليه السلام ، فأقى علياً عليه السلام فأخبره بقصتها ، فأرسل إليها قوماً فأحاطوا بالدار ، فأتمّ أبو سَهْل فوثب إلى دور بني أسد فأفلت ، وأمّا النجاشي فأقى به علياً عليه السلام ، فلما أصبح أقامه في سراويله فضربه ثمانين ، ثمّ زاده عشرين سوطاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أمّا الحدّ فقد عرفته ، فما هذه العلاوة التي لا تُعرف ؟

قال : لجرأتك على ربّك ، وإفطارك في شهر رمضان .

ثمّ أقامه في سراويله للناس ، فجعل الصبيان يصيحون به : خريّ النجاشي ، فجعل يقول : كلاً والله إثمها يمانية وكاؤها شعر ... ثمّ لحق بمعاوية وهجا علياً عليه السلام^(٤) .

(١) الكناسة : محلّة بالكوفة ، عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين (معجم البلدان ٤ / ٤٨١) .

(٢) الوَرُس : نبت أصفر يُصنّع به (النهاية ٥ / ١٧٣) .

(٣) القدّم من الناس : العبيّ عن الحجّة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم (لسان العرب ١٢ / ٤٥٠) .

(٤) الغارات ٢ / ٥٣٣ ، شرح نهج البلاغة ٤ / ٨٨ ، وراجع ١٠ / ٢٥٠ ، والإصابة ٦ / ٣٨٧ .

هروب طارق بن عبدالله إلى الشام

لما حدّ علي عليه السلام النجاشي غضب لذلك من كان مع علي من اليمانية ، وكان أخصّهم به طارق بن عبدالله بن كعب بن أسامة النهدي ، فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ! ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة ، وأهل الفرقة والجماعة ، عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء ، حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث ، فأوغرت صدورنا ، وشئت أمورنا ، وحملتنا على المجادة التي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النار .

فقال علي عليه السلام : ﴿ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾^(١) .

يا أخا بني نهد ، وهل هو إلّا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حُرّم الله ، فأقننا عليه حدّاً كان كقّارته ! إنّ الله تعالى يقول :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾^(٢) .

قال : فخرج طارق من عند علي وهو مظهر بعذره قابل له ، فلقبه الأشر النخعي ! فقال له : يا طارق أنت القائل لأمر المؤمنين : إنك أوغرت صدورنا وشئت أمورنا ؟

قال طارق : نعم أنا قائلها . قال له الأشر : والله ما ذاك كما قلت ، وإنّ صدورنا له لسامعة ، وإنّ أمورنا له لجماعة .

قال : فغضب طارق وقال : ستعلم يا أشر أنّه غير ما قلت ! فلما جتّه الليل

هس هو والنجاشي إلى معاوية^(٣) .

(١) سورة البقرة ٤٥ .

(٢) سورة المائدة ٨ .

(٣) التّمسّ : السير باللّيل بلا فتور (تاج العروس ٩ / ٤٥) . الغارات ٢ / ٥٣٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ / ١٤٧ نحوه إلى « فخرج طارق » ، بحار الأنوار ٣٣ / ٣٧٣ ح ٥٣٧ ، شرح نهج البلاغة ٤ / ٨٩ .

فكان طارق على دين النجاشي في ارتكاب المنكر وإشاعة الفحشاء وهما على دين الوليد الفاسق .

هروب حنظلة الكاتب إلى معاوية

وبعث علي عليه السلام إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب - وهو من الصحابة - فقال : يا حنظلة ، أعلّيّ أم لي ؟ قال : لا عليك ولا لك .

قال : فما تريد ؟ قال : أشخصّ إلى الرّها^(١) فإنّه فرّج من الفروج ، صمد له حتّى ينقضي هذا الأمر ... فدخل منزله وأغلق بابه حتّى إذا أمسى هرب إلى معاوية ... وهرب ابن المعتم أيضاً حتّى أتى معاوية ... ولكّنها لم يقاتلا مع معاوية ، واعتزلا الفريقين جميعاً ... فلما هرب حنظلة أمر علي عليه السلام بداره فهدمت^(٢) . وحنظلة نموذج آخر من نماذج البغاة والفسق في الكوفة .

هروب عبدالله بن عبدالرحمن

والملاحظ في هذه الشخصية التذبذب المستمر بين الإمام عليه السلام ومعاوية .

كان عبدالله بن عبدالرحمن بن مسعود ... شهد مع علي عليه السلام صفّين ، وكان في أوّل أمره مع معاوية ، ثمّ صار إلى علي عليه السلام ، ثمّ رجع بعد إلى معاوية ، ثمّ سمّاه علي عليه السلام الهجّج ، والهجّج : الطويل^(٣) .

رسالة الإمام عليه السلام إلى أهالي مصر

« من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في

(١) الرّها : إحدى مدن سورية ، وتقع بين الشام والموصل في الجانب الشمالي الشرقي عن القرات أعلى الرقة وحزان ، وتعرف اليوم بـ « أدسا » و « أورفا » .

(٢) وقعة صفّين ٩٧ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٧٦ .

(٣) الغارات ٢ / ٥٣٢ ، شرح نهج البلاغة ٤ / ٨٧ .

أرضه وذُهب بحقّه ، فضرب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر ، والمقيم والطاعن^(١) ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه .

أمّا بعد ، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ؛ لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل^(٢) عن الأعداء ساعات الروح^(٣) ، أشدّ على الفجّار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج ، فاسعوا له ، وأطيعوا أمره فيما طابح الحقّ ، فإنّه سيف من سيوف الله لا كليل الظبّة ، ولا نابي^(٤) الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ؛ فإنّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخّر ولا يقدم إلاّ عن أمري ، وقد أثرتم به على نفسي ؛ لنصيحتي لكم ، وشدة شكيمته على عدوكم^(٥) .

الفصل الرابع: الاشر و ابن أبي بكر

مالك الأشر والي مصر

من اخلص المخلصين للإمام القائد الضرعام الذي وهب حياته للإسلام ، وأخلص لدينه كأعظم ما يكون الإخلاص ... وقد وقف بحزم وإخلاص إلى جانب إمام المتّقين وسيّد الموحّدين^(١) الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ويذبّ عنه في

(١) الطاعن : الشاخص لسفر في حج أو غزو أو مسير من مدينة إلى أخرى ، وهو ضدّ الخافض ؛

يقال : أظاعنّ أنت أم مقيم (تاج العروس ١٨ / ٣٦٢) .

(٢) نكلّ : تكصّ ؛ يقال : نكل عن العدو : أي جبن (لسان العرب ١١ / ٦٧٧) .

(٣) الرّوع : الفزع (لسان العرب ٨ / ١٣٥) .

(٤) الظبّة : حدّ السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك (لسان العرب ١٥ / ٢٢) .

السيف عن الضريبة : كلّ ولم يجك فيها (لسان العرب ١٥ / ٣٠١) .

(٥) نهج البلاغة الكتاب ٣٨ ، الفارات ١ / ٢٦٦ عن فضيل بن خديج عن مولى الأشر ،

الاختصاص ٨٠ عن عبدالله بن جعفر ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٩٥ ح ٧٤١ ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٦

عن فضيل بن خديج عن مولى الأشر ، تاريخ دمشق ٥٦ / ٣٩٠ ح ٧١٦٥ كلّها نحوه وراجع

تاريخ يعقوبي ٢ / ١٩٤ .

(٦) المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٧ ، كنز العمال ٣ / ١٥٧ ، مجمع الزوائد ، الهيثمي ٩ /

أحلك الظروف ، وأشدّها محنة وبلاءً ، وقد قال الإمام عليه السلام بظهير منزلته وجهاده تجاهه قائلاً :

« لقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ » .

وقد كان على درجة عالية من الإدارة والسياسة والحزم في إدارة دقّة الأحداث .

فهو الذي قاد شمل الثوّار العراقيين وطردهم والي العراق سعيد بن العاص . حتى اضطّر هذا الوالي الفاسق إلى الهرب من غضب العراقيين ونقمتهم عليه . فكان الأشر نموذجاً للإدارة القاطعة في الحياة . وزوّده الإمام عليه السلام برسالتين مهمّتين وفيها بيان لمنزلة هذا الوالي المقدم ، وحكمت كريم صفاته

مدح الإمام عليه السلام ثوّار العراق ومصر الناقين على الباطل والداعين للحقّ والعدل والحريّة في تورّتهم العظمى الساعية لتحكيم شرع الله تعالى .

ويبيّن فيها الإمام عليه السلام الوضع الاجتماعي والديني السيء البعيد عن القرآن وأهل البيت .

أظهر أمير المؤمنين عليه السلام للمصريين شخصية مالك على حقيقتها وواقعها بعيداً عن المدح السياسي الأموي .

ويبيّن أهميّة هذا القائد لإدارة دقّة الأحداث وسياسة أوضاع البلد . وأنّه لا يصدر أمراً إلاّ برضا الإمام عليه السلام وأنّه لا يفعل شيئاً إلاّ برضاه . كي تسكن خواطر الناس وتترتاح نفوسهم ، ولا ينكل عند الرّوع .

إنّ مالك أشدّ من النار على المارقين والمنحرفين عن الحقّ ، الذين لا يرجون الله وقاراً .

حلية الأولياء ١ / ٦٣ - ٦٤ ، تاريخ بغداد ١١ / ١١٢ ، ١٣ / ١٢٢ ، الإصابة ، ابن حجر ٤

إن مالك من سيوف الله الواقعيين الذين لم يلوثوا بجرمة ولا باقتراف منكر .
أمر الإمام - بهذه الرسالة - الشعب المصري بطاعة مالك والانصياع لأوامره ،
فإنه لا يقدم على شيء ، ولا يعمل عملاً إلا بعد أخذ رأي الإمام عليه السلام .
والرسالة الثانية : عرضت إلى الأحداث المؤسفة التي عاناها الإمام عليه السلام بعد
وفاة أخيه وابن عمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبنت اغتصاب أهل السقيفة للخلافة .
قال : أما بعد ، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ، ومهيماً^(١)
على المرسلين .

فلما مضى صلى الله عليه وآله وسلم تنازع المسلمون الأمر من بعده . فوالله ما كان يلقي في
روعي^(٢) ، ولا يخاطر بالي ، أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته ،
ولا أنهم منحوه عني من بعده ! ...

فتكلم الإمام عليه السلام عن الخلافة المغصوبة وعدم توزعهم عن افتعال المنكر
وغضب حقوق الآخرين والاعتداء على النصوص الإلهية وتلاعهم بمقدّرات
الأمة .

وأضاف الإمام عليه السلام : إني والله ! لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما
بليت ولا استوحشت ، وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعل
بصيرة من نفسي ويقين من ربي .

وإني إلى لقاء الله لمشتاق ، وحسن ثوابه لمنتظر راج ؛ ولكني آسى أن يلي أمر
هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها ، فيتخذوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، والصالحين
حرباً ، والفاسقين حزباً ، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام^(٣) ، وجلد حدّاً في

(١) المهيم : الشاهد .

(٢) روعي : أي في خاطري .

(٣) الحرام : وهو الخمر ، وقد شربها علناً عتبة بن أبي سفيان ، وحدّ خالد بن عبدالله في
الطائف .

الإسلام ، وإنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ^(١) .
فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم^(٢) ، وتأنيبكم ، وجمعكم ، وتحريضكم ،
ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم .

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت ، وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى
ممالككم تزوى ، وإلى بلادكم تغزى !

انفروا - رحمكم الله - إلى قتال عدوكم ، ولا تناقلوا إلى الأرض فتقرّوا
بالخسف ، وتبوءوا بالذلّ ، ويكون نصيبكم الأخصّ ، وإنّ أخا الحرب الأرق^(٣) ،
ومن نام لم ينم عنه ، والسلام^(٤) .

بين الإمام عليه السلام انقسام الناس إلى حزبين حزب الرحمن وحزب الشيطان
وقضح حزب الشيطان بأعمالهم القاسية في إبعاد المؤمنين والتنكيل بهم ، وتقريب
الطالحين والاستعانة بهم .

ثمّ دعا الإمام الشعب المصري إلى جهاد المارقين عن الإسلام ، وهم الحزب
الأموي ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي أفنى حياته في محاربة الله
ورسوله .

عهد الإمام عليه السلام للأشتر

اهتمّ العلماء والباحثون بعهد الإمام عليه السلام الرائع المسّمى برسائلته إلى مالك

(١) الرضائخ : العطايا .

(٢) التأليب : التحريض .

(٣) الأرق : السهر .

(٤) نهج البلاغة ، محمّد عبده ٣ / ١١٨ - ١٢١ .

الأشتر فهو عهد في كيفية إدارة الدولة وسياسة الحكومة ومراعاة حقوق الشعب .
ذكر بنودها أمير المؤمنين عليه السلام بشكل رائع لا تشوبه شائبة .
فكانت دستوراً للحكومات لا ينقصه شيء .

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا ﷺ ، أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوتقت به من الحجّة لنفسي عليك ، لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .
وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة ، أن يوقّفي وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن التناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، « وإنا إلى الله راغبون » .
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين ، وسلّم تسليمًا كثيراً ، والسلام .

دستور الدولة الإسلامية (العهد إلى مالك)

وعهد الإمام علي عليه السلام إلى واليه على مصر مالك الأشتر يعتبر دستوراً كاملاً للدولة الإسلامية . فيه نظريات الإسلام في الحاكم والحكومة ومناهج الدين في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والحرب والإدارة والأمر العبادية والقضائية .
قال الإمام علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولّاه مصر : جباية خراجها ، ومجاهدة عدوّها ، واستصلاح أهلها ، وعبارة بلادها . أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر الله به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله بيده وقلبه ولسانه ؛

فإنّه قد تكفّل بنصر من نصره ، إنّه قوي عزيز .
وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ؛ فإنّ النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربّي ، إنّ ربّي غفور رحيم . « وأن يعتمد كتاب الله عند الشبهات ؛ فإنّ فيه تبيان كلّ شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . وأن يتحرّى رضا الله ، ولا يتعرّض لسخطه ، ولا يصرّ على معصيته ، فإنّه لا ملجأ من الله إلا إليه » .
ثمّ اعلم يا مالك أنّي وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإمّا يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحرّب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح « بالقصد فيما تجمع وما ترعى به رعيتك » ، فاملك هواك وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك ؛ فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت وكرهت .

وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بالإحسان إليهم ، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتمّ أكلهم ؛ فإنّهم صنفان ؛ إمّا أخ لك في الدين ، وإمّا نظير لك في الخلق ، يفرط^(١) منهم الزلل ، وتعرّض لهم العليل ، ويؤقّ على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعظهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه ؛ فإنّك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولّاك بما عرفك من كتابه ، وبصرك من سنن نبيّه ﷺ .

عليك بما كتبنا لك في عهدنا هذا ، لا تنصبنّ نفسك لحرب الله ؛ فإنّه لا يدلك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته . فلا تندمنّ على عفوه ، ولا تبجحنّ^(٢) بعقوبته ،

(١) كما في نهج البلاغة ، وفي المصدر : « تفرط » .

(٢) التبجح : الفرح ، وتبجح به : فخر ، وفلان يتبجح : أني يفتخر ويباهي بشيء ما ، قد تبجح بيبجج (لسان العرب ٢ / ٤٠٥ و ٤٠٦) .

ولا تسرعنَّ إلى بادرة^(١) وجدت عنها مندوحة^(٢)، ولا تقولنَّ: إني مؤتمر؛ أمر فأطاع؛ فإنَّ ذلك إدغال^(٣) في القلب، ومنهكة^(٤) للدين، وتقرَّب من الفتن، فتعوذ بالله من درك الشقاء.

وإذا أعجبتك ما أنت فيه من سلطانك فحدثت لك به أئمة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك؛ فإنَّ ذلك يُطامن^(٥) إليك من طاحك^(٦)، ويكفَّ عنك من غربك^(٧)، ويفيء إليك ما عزب^(٨) من عقلك.

وإياك ومساماته في عظمته، أو التشبَّه به في جبروته؛ فإنَّ الله يُنذِل كلَّ جبار، ويُهين كلَّ مختال فخور.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك ومن خاصتك ومن أهلِكَ ومن لك فيه هوى من رعيتك؛ فإنَّك إلَّا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عبادته، ومن خصمه الله أدحض حجَّته، وكان لله حرباً حتى يتزع ويتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة من إقامة على ظلم؛ فإنَّ الله يسمع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بمرصاد، ومن يكن كذلك فهو رهين هلاك في الدنيا والآخرة.

وليكن أحبَّ الأمور إليك أوسطها في الحقِّ، وأعمَّها في العدل، وأجمعها

(١) البادرة: الجدة، وهو ما يبدر من جدَّة الرجل عند غضبه من قول أو فعل (لسان العرب ٤ / ٤٨).

(٢) لي عن هذا الأمر مندوحة: أي مُتَّسع (لسان العرب ٢ / ٦١٣).

(٣) أدغل في الأمر: أدخل فيه ما يفسده ويخالقه (لسان العرب ١١ / ٢٤٤).

(٤) النهك: التنقُّص (لسان العرب ١٠ / ٤٩٩).

(٥) طامن ظهره: إذا حتى ظهره (لسان العرب ١٣ / ٢٦٨) والمراد يخفض ويسكن.

(٦) الطَّمَاح: مثل الجمَّاح، والطَّمَاع: الكبير والفخر (لسان العرب ٢ / ٥٣٤).

(٧) الغُؤْب: الجدة (لسان العرب ١ / ٦٤١).

(٨) أعزب عنه حلمه وعزب: ذهب (لسان العرب ١ / ٥٩٦).

للعريّة؛ فإنَّ سخط العامّة يحجف برضى الخاصّة، وإنَّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة. وليس أحد من الرعيّة أنقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقلَّ له معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف^(١)، وأقلَّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملات الأمور، ومن الخاصّة، وإتّما عمود الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء أهل العامّة من الأئمة، فليكن لهم صغوك، واعمد لأعمّ الأمور منفعه وخيرها عاقبة، ولا قوّة إلَّا بالله.

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلهم لعيوب الناس؛ فإنَّ في الناس عيوباً الوالي أحقَّ من سترها، فلا تكشفنَّ ما غاب عنك، واستر العورة ما استطعت؛ يستر الله منك ما تحبَّ ستره من رعيتك.

وأطلق عن الناس عقد كلِّ حقد، واقطع عنك سبب كلِّ وتر، «واقبل العذر. وادراً الحدود بالشبهات».

وتغاب عن كلِّ ما لا يضحُّ^(٢) لك، ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساع؛ فإنَّ الساعي غاشٌّ وإن تشبَّه بالناصحين.

لا تُدخلنَّ في مشورتك بخيلاً يخذلك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعف عليك الأمور، ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور؛ فإنَّ البخل والجور^(٣) والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظنِّ بالله^(٤).

أيقن أن شرَّ وزرائك من كان للأشرار وزيراً، ومن شركهم في الآثام وقام بأموورهم في عباد الله؛ فلا يكوننَّ لك بطانة^(٥)، «تُشركهم في أمانتك كما شركوا في

(١) الإلحاف: شدّة الإلحاح في المسألة (لسان العرب ٩ / ٣١٤).

(٢) وضح الشيء يضحُّ: بان (لسان العرب ٢ / ٦٣٤).

(٣) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة «فإنَّ البخل والجبن» وهو الأنسب.

(٤) نهج البلاغة ٣٣ / ٨٧، البحار ٣٣ / ٦٠٢، شرح النهج ١٧ / ٤٣.

(٥) بطانة الرجل: خاصّته، وصاحب سرّه وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله (لسان العرب

سلطان غيرك فأردوهم وأوردتهم مصارع السوء .

ولا يعجبك شاهد ما يحضرونك به ؛ فإتهم أعوان الأئمة ، وإخوان الظلمة ، وعباب كلّ طمع ودغل^(١) ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل أدبهم ونفاذهم ممن قد تصفح الأمور ، فعرف مساويها بما جرى عليه منها ، فأولئك أخفّ عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقلّ لغيرك إلفاً ، لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، « ولم يكن مع غيرك له سيرة أجحفت بالمسلمين والمعاهدين » ؛ فاتخذ أولئك خاصّة لخلوتك وملائك .

ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمّر الحقّ ، « وأحوطهم على الضعفاء بالإيناف ، وأقلّمهم لك مناظرة فيما يكون منك مماكرة الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ؛ فإتهم يقفونك على الحقّ ، ويبصرونك ما يعود عليك نفعه » . والصق بأهل الورع والصدق وذوي العقول والأحساب ، ثم رُضهم على آلا يطروك ، ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله ؛ فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني من العزة ، « والإقرار بذلك يوجب المقت من الله » .

لا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ؛ فإن ذلك تزهد لأهل الإحسان ، في الإحسان ، وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة ، فألزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه ؛ أدباً منك ينفك الله به ، وتنفع به أعوانك .

ثم اعلم أنه ليس شيء بأدعى لحسن ظنّ وال برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وقلة استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم ، فليكن في ذلك أمر يجتمع لك به حسن ظنّك برعيّتك ؛ فإن حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحنّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وأحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده ، « فاعرف هذه المنزلة لك وعليك لتزدك بصيرة في حسن

الصنع ، واستكثار حسن البلاء عند العامّة ، مع ما يوجب الله بها لك في المعاد » .
ولا تنقض سنّة صالحه عمل بها صدور هذه الأئمة ، واجتمعت بها الألفة ، وصلحت عليها الرعية . ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء مما مضى من تلك السنن ؛ فيكون الأجر لمن سنّها ، والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ، ومثاقفة^(١) الحكماء ، في تثبيت ما صلح عليه أهل بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس من قبلك ؛ « فإن ذلك يحقّ الحقّ ، ويدفع الباطل ، ويكتفي به دليلاً ومثالاً لأنّ السنن الصالحة هي السبيل إلى طاعة الله » .

ثم اعلم أنّ الرعيّة طبقات ، لا يصلح بعضها إلّا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ؛ فمنها جنود الله ، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والحراج من أهل الذمّة ومسلّمه الناس ، ومنها التجّار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة^(٢) السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلاً قد سمى الله سهمه ، ووضع على حدّ فريضته في كتابه أو سنّة نبيّه ﷺ ، وعهداً عندنا محفوظاً .

فالجنود - بإذن الله - حصون الرعيّة ، وزين الولاية ، وعزّ الدين ، وسبيل الأمن والحفظ ، وليس تقوم الرعيّة إلّا بهم . ثمّ لا قوام للجنود إلّا بما يخرج الله لهم من الحراج الذي يصلون به إلى جهاد عدوّهم ، ويعتمدون عليه ، ويكون من وراء حاجاتهم .

ثمّ لا بقاء لهذين الصنفين إلّا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب ؛ لما يحكمون من الأمور ، ويظهرون من الإنصاف ، ويجمعون من المنافع ، ويؤمّنون عليه من خواصّ الأمور وعوائتها .

(١) الثنائين : المواظب ، ويقال : ثأفنت فلاناً إذا حابيته تحادته وتلازمه وتكلّمه (لسان العرب

١٢ / ٧٩) .

(٢) في المصدر : « طبقة » ، والصحيح ما أثبتناه كما في نهج البلاغة .

ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجارة وذوي الصناعات فيما يجمعون من مراقفهم ،
ويقيمون من أسواقهم ، ويكفونهم من الترقق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم .
ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رفدهم^(١) ، وفي في الله
لكلّ سعة ، ولكلّ على الوالي حقّ بقدر يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما
أزّمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحقّ والصبر
فيما خفّ عليه وثقل . قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك ،
وأقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، وأجمعهم علماً وسياسة ، ممن يبطن عن الغضب ،
ويسرع إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو^(٢) على الأقوياء ، ممن لا يثيره العنف ،
ولا يقعد به الضعف .

ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم
أهل النجدة ، والشجاعة والسخاء والسماحة ؛ فإنهم جعاع من الكرم ، وشعب من
العرف ، يهدون إلى حسن الظنّ بالله ، والإيمان بقدره .

ثم نفقّد أمورهم بما يتفقّد الوالد من ولده ، ولا يتفانم^(٣) في نفسك شيء
قويّتهم به . ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ ؛ فإنّ داعية لهم إلى بذل النصيحة
وحسن الظنّ بك . فلا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها ؛ فإنّ لليسير
من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه .

وليكن أثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم في بذله
ممن يسعهم ويسع من وراءهم من الخلوّف^(٤) من أهلهم ، حتى يكون همّهم همّاً
واحداً في جهاد العدو .

(١) الرفد : العطاء والصلة (لسان العرب ٣ / ١٨١) .

(٢) الشُّور : العلو والارتفاع (لسان العرب ١٥ / ٣٠٢) .

(٣) أي لا تعد ما قويتم به عظيماً (بحار الأنوار ٣٣ / ٦٠٤) .

(٤) الخلوّف : الذين لا يغزون (لسان العرب ٩ / ٨٦) .

« ثم واتر إعلامهم ذات نفسك في إيثارهم والتكرمة لهم ، والإرصاد
بالتوسعة . وحقّق ذلك بحسن الفعال والأثر والعطف » ؛ فإنّ عطفك عليهم يعطف
قلوبهم عليك .

وإنّ أفضل قرّة العيون للولاة استفاضة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعيّة ؛
لأنّه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلا بحوطتهم على
ولاة أمورهم ، وقلة استتقال دولتهم ، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم .

« ثم لا تكلمن جنودك إلى مغنم وزعته بينهم ، بل أحدث لهم مع كلّ مغنم بدلاً
مما سواه مما أفاء الله عليهم ، تستنصر بهم به ، ويكون داعية لهم إلى العودة لنصر الله
ولدينه . واخصص أهل النجدة في أملهم إلى منتهى غاية آمالك من النصيحة
بالبذل » ، وحسن الثناء عليهم ، ولطيف التعهد لهم رجلاً رجلاً وما أبلى في كلّ
مشهد ؛ فإنّ كثرة الذكر منك لحسن فعّالهم تهزّ الشجاع ، وتحرض الناكل إن شاء
الله .

« ثم لا تدع أن يكون لك عليهم عيون^(١) من أهل الأمانة والقول بالحقّ عند
الناس ، فيثبتون بلاء كلّ ذي بلاء منهم ليشقّ أولئك بعلمك ببلائهم » .

ثم اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى ، ولا تصننّ بلاء امرئ إلى غيره ، ولا
تقصرنّ به دون غاية بلائه ، « وكاف كلّاً منهم بما كان منه ، واخصصه منك بهزّه » .
ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امرئ على
أن تصغر من بلائه ما كان عظيماً . « ولا يفسدنّ أمراً عندك علّة إن عرضت له ، ولا
نبوة حديث له قد كان له فيها حسن بلاء ، فإنّ العزّة لله يؤتية من يشاء والعاقبة
للمتّقين .

وإن استشهد أحد من جنودك وأهل النكاية في عدوك فاخلفه^(٢) في عياله بما

(١) العين : الذي يبعث ليتجنّس الخبر (لسان العرب ١٣ / ٣٠١) .

(٢) خلّفك الرجل في أهله : إذا أقت بعده فيهم وامت عنه بما كان يفعله (النهاية ٢ / ٦٦) .

يخلف به الوصي الشفيق الموثق به؛ حتى لا يرى عليهم أثر فقدته؛ فإن ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك، ويستشعرون به طاعتك، ويسلسون^(١) لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك.

وقد كانت من رسول الله ﷺ سنن في المشركين ومثا بعده سنن، قد جرت بها سنن وأمثال في الظالمين، ومن توجه قبلتنا، وتسمى بديننا؛ « وقد قال الله لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢).

وقال: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٣).

فالرد إلى الله الأخذ بحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة، « ونحن أهل رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه، ونميز المتشابه منه، ونعرف الناسخ مما نسخ الله ووضع إصره.

فبسر في عدوك بمثل ما شاهدت منّا في مثلهم من الأعداء، وواتر إلينا الكتب بالأخبار بكلّ حدث يأتك منّا، أمر عام، والله المستعان.

ثم انظر في أمر الأحكام بين الناس بنية صالحة؛ فإن الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم والأخذ للضعيف من القوي وإقامة حدود الله على سنتها ومنهاجها ممّا يصلح عباد الله وبلاده. « فاختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، « وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسخاء»، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمجحه^(٤)»

(١) سلس المٌهر: إذا انقاد (لسان العرب ٦ / ١٠٦).

(٢) سورة النساء ٥٩.

(٣) سورة النساء ٨٣.

(٤) المتحك: اللجاج (لسان العرب ١٠ / ٤٨٦).

الخصوم، ولا يتأدى في إثبات الزلّة، ولا يحصر من النية إلى الحقّ إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصرمهم عند اتّضح الحكم، ممن لا يزدنيه إطرأ، ولا يستميله إغراق، ولا يصغى^(١) للتبليغ؛ فولّ قضاءك من كان كذلك، وهم قليل.

ثم أكثر تعهد قضائه، وافتح له في البذل ما يزيح غلته، ويستعين به، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال إياه عندك. « وأحسن توقيره في صحبتك، وقربه في مجلسك، وأمض قضاءه، وأنفذ حكمه، واشدد عضده، واجعل أحواله خيار من ترضى من نظرائه من الفقهاء وأهل الورع والنصيحة لله ولعباد الله؛ ليناظرهم فيما شبه عليه، ويلطف عليهم لعلم ما غاب عنه، ويكونون شهداء على قضائه بين الناس إن شاء الله.

ثمّ حملة الأخبار لأطرافك قضاة تجتهد فيهم نفسه، لا يختلفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فإن الاختلاف في الحكم إضاعة للعدل، وغرة في الدين، وسبب من الفرقة. وقد بين الله ما يأتون وما ينفقون، وأمر بردّ ما لا يعلمون إلى من استودعه الله علم كتابه، واستحفظه الحكم فيه، فإنما اختلاف القضاة في دخول البغي بينهم، واكتفاء كل امرئ منهم برأيه دون من فرض الله ولايته ليس يصلح الدين ولا أهل الدين على ذلك.

ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر والسنة، فإذا أعياه ذلك ردّ الحكم إلى أهله، فإن غاب أهله عنه ناظر غيره من فقهاء المسلمين؛ ليس له ترك ذلك إلى غيره، وليس لقاضيين من أهل الملّة أن يقيا على اختلاف في الحكم إنما رفع

(١) صغاً إليه يصغى: مال (لسان العرب ١٤ / ٤٦١).

يخلف به الوصي الشفيق الموثق به ؛ حتى لا يرى عليهم أثر فقده ؛ فإن ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك ، ويستشعرون به طاعتك ، ويسلسون^(١) لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك .

وقد كانت من رسول الله ﷺ سنن في المشركين وممّا بعده سنن ، قد جرت بها سنن وأمثال في الظالمين ، ومن توجه قبيلتنا ، وتسمى بديننا ؛ « وقد قال الله لقوم أحبّ إرشادهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(٢) .

وقال : ﴿ وَتَوَزَّدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣) .

فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة ، « ونحن أهل رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه ، ونمیز المتشابه منه ، ونعرف الناسخ ممّا نسخ الله ووضع إصره .

فير في عدوك بمثل ما شاهدت ممّا في مثلهم من الأعداء ، وواتر إلينا الكتب بالأخبار بكلّ حدث يأتك ممّا ، أمر عامّ ، والله المستعان .

ثمّ انظر في أمر الأحكام بين الناس بنية صالحة ؛ فإنّ الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم والأخذ للضعيف من القوي وإقامة حدود الله على سنّتها ومنهاجها ممّا يصلح عباد الله وبلاده . « فاختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ، « وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسخاء » ، ممّن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه^(٤) .

(١) سلس المهر : إذا انقاد (لسان العرب ٦ / ١٠٦) .

(٢) سورة النساء ٥٩ .

(٣) سورة النساء ٨٣ .

(٤) المخك : اللجاج (لسان العرب ١٠ / ٤٨٦) .

الخصوم ، ولا يتأدى في إثبات الزلّة ، ولا يحصر من النبيء إلى الحقّ إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات ، وأخذهم بالحجج ، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على تكشّف الأمور ، وأصرمهم عند اتّصاح الحكم ، ممّن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراق ، ولا يصغى^(١) للتبليغ ؛ فولّ قضاءك من كان كذلك ، وهم قليل .

ثمّ أكثر تعهد قضائه ، وافتح له في البذل ما يزيح علّته ، ويستعين به ، وتقلّ معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال إياه عندك . « وأحسن توقيره في صحبتك ، وقربه في مجلسك ، وأمض قضاءه ، وأنفذ حكمه ، واشدد عضده ، واجعل أعدائه خيار من ترضى من نظرائه من الفقهاء وأهل الورع والنصيحة لله ولعباد الله ؛ ليناظرهم فيما شبه عليه ، ويلطف عليهم لعلم ما غاب عنه ، ويكونون شهداء على قضائه بين الناس إن شاء الله .

ثمّ حملة الأخبار لأطرافك قضاء تجتهد فيهم نفسه ، لا يختلّفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنّة رسول الله ﷺ ؛ فإنّ الاختلاف في الحكم إضاعة للعدل ، وغرة في الدين ، وسبب من الفرقة . وقد بين الله ما يأتون وما ينفقون ، وأمر بردّ ما لا يعلمون إلى من استودعه الله علم كتابه ، واستحفظه الحكم فيه ، فإنما اختلاف القضاة في دخول البغي بينهم ، واكتفاء كل امرئ منهم برأيه دون من فرض الله ولايته ليس يصلح الدين ولا أهل الدين على ذلك .

ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر والسنة ، فإذا أعياه ذلك ردّ الحكم إلى أهله ، فإن غاب أهله عنه ناظر غيره من فقهاء المسلمين ؛ ليس له ترك ذلك إلى غيره ، وليس لقاضيين من أهل الملة أن يقيموا على اختلاف في الحكم إنمّا رفع

(١) صغاً إليه يصغى : مال (لسان العرب ١٤ / ٤٦١) .

ذلك إلى ولي الأمر فيكم، فيكون هو الحاكم بما علمه الله، ثم يجتمعان على حكمه فيما وافقها أو خالفها». فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا.

« واكتب إلى قضاة بلدانك فليرفعوا إليك كل حكم اختلفوا فيه على حقوقه، ثم تصح تلك الأحكام؛ فما وافق كتاب الله وسنة نبيه والأثر من إمامك فأمضه واحملهم عليه، وما اشتهه عليك فاجمع له الفقهاء بمحضرتك فناظرهم فيه، ثم أمض ما يجتمع عليه أقاويل الفقهاء بمحضرتك من المسلمين، فإن كل أمر اختلف فيه الرعية مردود إلى حكم الإمام، وعلى الإمام الاستعانة بالله، والاجتهاد في إقامة الحدود، وجبر الرعية على أمره، ولا قوة إلا بالله.»

ثم انظر إلى أمور عمالك، واستعملهم اختباراً، ولا تولمهم أمورك محاباة^(١) أثره^(٢)؛ فإن المحاباة والأثرة جماع الجور والخيانة، « وإدخال الضرورة على الناس، وليست تصلح الأمور بالإدغال، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة»، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام؛ فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشفاقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً من غيرهم، « فليكونوا أعوانك على ما تقلدت».

ثم أسع عليهم « في العمالات، ووسع عليهم في « الأرزاق؛ فإن في ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك. ثم تفقد أعماهم، وابعث العيون عليهم من أهل الصدق والوفاء؛ فإن تعهدك في السرّ أمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية.

(١) الحياء: ما يجبو به الرجل صاحبه ويكرمه به (لسان العرب ١٤ / ١٦٢) أي وأن لا يوليهم محاباة لهم ولمن يشفع فيهم ولا أثره ولا إنعاماً عليهم (شرح نهج البلاغة ١٧ / ٦٩).
(٢) استأثر فلان بالشيء: أي استبد به، والاسم الأثرة. (الصحاح ٢ / ٥٧٥).

وتحفظ من الأعوان؛ فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة فوسمته بالخيانة وقلّدت عار التهمة.

وتفقد ما يصلح أهل الخراج؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. فليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ فإن الجلب لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم له أمره إلا قليلاً.

« فأجمع إليك أهل الخراج من كل بلدانك، ومُرهم فليعلموك حال بلادهم وما فيه صلاحهم ورخاء جبايتهم، ثم سل عما يرفع إليك أهل العلم به من غيرهم»؛ فإن كانوا شكوا ثقلاً أو علة من انقطاع شرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بهم العطش أو آفة خففت عنهم ما ترجو أن يصلح الله به أمرهم، « وإن سألوا معه معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مؤونته؛ فإن في عاقبة كفايتك إيتاهم صلاحاً، فلا يثقلن عليك شيء خففت به عنهم المؤونات»؛ فإنه ذخري يعودون به عليك لعمارة بلادك، وتزيين ولايتك، « مع اقتنائك مودتهم وحسن نياتهم، واستفاضة الخير، وما يستهل الله به من جلبهم، فإن الخراج لا يستخرج بالكذب والأتعاب، مع أنها عقد^(١) تعتمد عليها إن حدثت حدثت كنت عليهم معتمداً»؛ ففضل قوتهم بما ذخرت عنهم من الجّام^(٢)، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك ورفقتك، ومعرفتهم بعذرك فيما حدث من الأمر الذي أتكلت به عليهم، فاحتملوه بطيب أنفسهم، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يوقى خراب الأرض لإعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإسراف الولاية وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم

(١) العقدة: كل شيء يستوثق الرجل به لنفسه ويعتمد عليه (لسان العرب ٣ / ٢٩٩).

(٢) الجّام: الراحة (لسان العرب ١٢ / ١٠٥).

بالعبر .

« فاعمل فيما وليت عمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعية ، والثوبة من الله ، والرضا من الإمام . ولا قوة إلا بالله » .

ثم انظر في حال كتابك « فاعرف حال كل امرئ منهم فيما يحتاج إليه منهم ، فاجعل لهم منازل ورتباً » ، فولّ على أمورك خيرهم ، واخصص رسالتك التي تدخل فيها مكيدتك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأدب ، « ممن يصلح للمناظرة في جلائل الأمور ، من ذوي الرأي والنصيحة والذهن ، أطواهم عنك لمكنون الأسرار كشحاً » ، ممن لا تُبْطِره الكرامة ، « ولا تحق به الدالة^(١) » فيجتري بها عليك في خلاء ، أو يلتبس إظهارها في ملاء ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد كتب الأطراف عليك ، وإصدار جواباتك على الصواب عنك ، وفيما يأخذ ويعطي منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ؛ فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

« وولّ ما دون ذلك من رسائلك وجماعات كتب خراجك ودواوين جنودك قوماً تجتهد نفسك في اختيارهم ؛ فإنّها رؤوس أمرك ، أجمعها لنفعك ، وأعمّها لنفع رعيتك » .

ثمّ لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك^(٢) وحسن الظنّ بهم ، فإنّ الرجال يعرفون فراسات الولاة بتصنّعهم وخدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة ، ولكن اخترهم بما ولّوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم فيها بالنيل والأمانة ، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره . ثمّ مرهم بحسن الولاية ، ولين الكلمة . واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك

(١) أدلّ عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، والاسم الدالة (لسان العرب ١١ / ٢٤٧) .

(٢) استنام إلى الشيء : استأنس به ، واستنام فلان إلى فلان : إذا أنس به واطمأنّ إليه وسكن (لسان العرب ١٢ / ٥٩٨) .

رأساً منهم ، لا يقهره كبيرها ، ولا يتشّت عليه كثيرها .

« ثمّ تفقّد ما غاب عنك من حالاتهم ، وأمور من يرد عليك رسله ، وذوي الحاجة وكيف ولايتهم وقبولهم ولّيتهم وحجّتهم ؛ فإنّ التبرّم والعزّ والتخوة من كثير من الكتاب إلاّ من عصم الله ، وليس للناس بدّ من طلب حاجاتهم » . ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه الزّمته ، أو فضل تُسب إليك ، مع ما لك عند الله في ذلك من حسن الثواب .

ثمّ التجار وذوي الصناعات فاستوص وأوص بهم خيراً ؛ المقيم منهم ، والمضطرب^(١) بماله ، والمترقّق بيده ؛ فإنّهم موادّ للمنافع ، وجلّابها في البلاد في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم اناس لمواضعها ولا يجتريون عليها « من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرفق منها على أيديهم فاحفظ حرمتهم ، وآمن سبلهم ، وخذ لهم بحقوقهم » ؛ فإنّهم سلم لا تُخاف بائنته ، وصلح لا تُحذر غائلته ، « أحبّ الأمور إليهم أجمعها للأمن وأجمعها للسلطان » ، فتفقّد أمورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك .

واعلم مع ذلك أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة ؛ فامنع الاحتكار فإنّ رسول الله ﷺ نهى عنه .

وليكن البيع والشراء بيعاً سحماً ، بموازين أعدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فن قارف حُكرة بعد نهيك فنكّل وعاقب في غير إسراف « فإنّ رسول الله ﷺ فعل ذلك » .

ثمّ الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين ، والمحتاجين ، وذوي البؤس ، والزمني^(٢) ؛ فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتزلاً ، فاحفظ الله ما

(١) المضطرب بماله : المتردّد به بين البلدان .

(٢) الزّمني : جمع زّمين ، وهو ذو الزّمانة ، والزّمانة : العامة (لسان العرب ١٣ / ١٩٩) .

استحفظك من حقّه فيها ، واجعل لهم قسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكلّاً قد استرعت حقّه ، فلا يشغلنك عنهم نظر ؛ فإنك لا تُعذر بتضييع الصغير لإحكامك الكثير المهمّ ، فلا تُشخص همك عنهم ، ولا تُصعّر خذك لهم ، « وتواضع لله يرفعك الله ، واخضع جناحك للضعفاء ، وارهبهم إلى ذلك منك حاجة » ، وتفقد من أمورهم ما لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ، ثمّ اعمل فيها بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإنّ هؤلاء أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه .

وتعهد أهل اليتيم والزمانة والرقّة في السنّ ممّن لا حيلة ، ولا ينصب للمسألة نفسه : « فأجر لهم أرزاقاً ، فإتّهم عباد الله ، فتقرّب إلى الله بتخلّصهم ووضعهم مواضعهم في أوقاتهم وحقوقهم ، فإنّ الأعمال تخلص بصدق النيّات . ثمّ إنّه لا تسكن نفوس الناس أو بعضهم إلى أنك قد قضيت حقوقهم بظهور الغيب دون مشافهتك بالحاجات » ، وذلك على الولاية ثقيل ، والحقّ كلّ ثقيل ، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا نفوسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله « لمن صبر واحتسب ، فكن منهم واستعن بالله » .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك « وذهنك من كلّ شغل ، ثمّ تأذن لهم عليك » ، وتجلس لهم مجلساً تتواضع فيه لله الذي رفعك ، وتُفقد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، « تخفض لهم في مجلسك ذلك جناحك ، وتلين لهم كنفك في مراجعتك ووجهك » ؛ حتى يكلمك متكلمهم غير مُتّمع ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن : لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير متّمع .

ثمّ احتمل الحرق منهم والعَيّ ، ونحّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب أهل طاعته ، فأعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع في

إجمال وإعذار ، « وتواضع هناك ؛ فإنّ الله يحبّ المتواضعين . وليكن أكرم أعوانك عليك أليّنهم جانباً ، وأحسنهم مراجعة ، وأظفهم بالضعفاء ، إن شاء الله » .

ثمّ إنّ أموراً من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها ؛ منها : إجابة عمّالك ما يعي عنه كتابك . ومنها : إصدار حاجات الناس في قصصهم . « ومنها : معرفة ما يصل إلى الكتاب والخزّان ممّا تحت أيديهم ، فلا تتوانَ فيما هنالك ، ولا تنغتم تأخيره ، واجعل لكلّ أمر منها من يناظر فيه ولاته بتفريغ لقلبك وهمك ، فكلّما أمضيت أمراً فأمضه بعد التروية ومراجعة نفسك ، ومشاورة وليّ ذلك بغير احتشام ، ولا رأي يكسب به عليك نقيضه » .

ثمّ أمض لكلّ يوم عمله ؛ فإنّ لكلّ يوم ما فيه . واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلّها لله إذا صحّت فيها النيّة وسلمت منها الرعيّة .

وليكن في خاصّ ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة ، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ما يجب ؛ « فإنّ الله جعل النافلة لنيّته خاصّة دون خلقه فقال : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّخْمُوداً »^(١) ، فذلك أمر اختصّ الله به نبيّه وأكرمه به ، ليس لأحد سواه ، وهو لمن سواه تطوّع ؛ فإنّه يقول :

« وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ »^(٢) .

فوقّر ما تقرّبت به إلى الله وكرمه وأدّ فرائضه إلى الله كاملاً غير مثلوب ولا منقوص ، بالغاً ذلك من بدنك ما بلغ .

فإذا قت في صلاتك بالناس فلا تطوّن ولا تكونن منقراً ، ولا مضياً ؛ فإنّ في الناس من به العلة وله الحاجة ، وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن :

(١) سورة الإسراء ٧٩ .

(٢) سورة البقرة ١٥٨ .

كيف نصلي بهم؟

فقال: صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً.

وبعد هذا فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك؛ فإنّ احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر، والاحتجاج يقطع عنهم علم ما احتجوا به، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويمسح القبيح، ويُنسب الحقّ بالباطل، وإِنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على القول سمات يعرف بها الصدق من الكذب، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلبين الحجاب؛ فإنّما أنت أحد رجلين: إمّا امرء سخت نفسك بالبذل في الحقّ فقيم احتجاجك من واجب حقّ تعطيه، أو خلق كريم تسديه؟ وإمّا مبتلى بالمنع فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أسوا من بذلك، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة عليك فيه؛ من شكايه مظلمة، أو طلب إنصاف.

«فاتنّع بما وصفت لك، واقتصر فيه على حظك ورشدك، إن شاء الله».

ثمّ إنّ للملوك خاصّة بطانة فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف، فاحسم مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأشياء، ولا تقطعن لأحد من حشمك ولا حامتك^(١) قطيعة، ولا تعتمدن في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس؛ في شرب، أو عمل مشترك يحملون مؤنتهم على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

«عليك بالعدل في حكمك إذا انتهت الأمور إليك»، وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، وافعل ذلك بقربتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما ينقل عليه منه؛ فإنّ مغبة ذلك محمودة. وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصحر^(٢) لهم بعذرک، وأعدل عنك ظنونهم بإصهارك؛ فإنّ في تلك رياضة منك

(١) الحامة: خاصّة الرجل من أهله وولده وذوي قرابته (لسان العرب ١٢ / ١٥٣).

(٢) أصحر بالأمر وأصحره: أظهره (تاج العروس ٧ / ٧٩).

لنفسك، ورفقاً منك برعيتك، وإعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحقّ في خفض وإجمال.

لا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوك فيه رضى؛ فإنّ في الصلح دعة^(١) لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكنّ الحذر كلّ الحذر من مقاربة عدوك في طلب الصلح؛ فإنّ العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، «وتحصن كلّ مخوف توفى منه، وبالله الثقة في جميع الأمور».

وإنّ لجتّ بينك وبين عدوك قضية عقدت بها صلحاً أو ألبسته منك ذمّة فخط عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جنةً دونه؛ فإنّه ليس شيء من فرائض الله جلّ وعزّ الناس أشدّ عليه اجتماعاً في تفريق أهوائهم وتشيت أديانهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوتلوا^(٢) من الغدر والختر، فلا تغدرنّ بذمّتك، ولا تخفر^(٣) بعهدك، ولا تختلن^(٤) عدوك، فإنّه لا يجترئ على الله إلّا جاهل، وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منّعته، ويستفيضون به إلى جواره، فلا خداع ولا مدالسة ولا إدغال فيه^(٥). فلا يدعوتك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله على طلب انفساخه، فإنّ صبرك على ضيق ترجو انقراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله طلبه، ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك. وإيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها؛ فإنّه ليس شيء أدعى لقتمة ولا أعظم

(١) دعة الشيء، سكن واستقرّ وصار إلى الدعة (تاج العروس ١١ / ٤٩٨).

(٢) الوبال: الوخامة وسوء العاقبة (مجمع البحرين ٣ / ١٩٠١). والمراد: استوخموا من عواقب الغدر والختر.

(٣) أخفره: نقض عهده وخاس به وغدره (لسان العرب ٤ / ٢٥٣).

(٤) الختل: تخادع عن غفلة (لسان العرب ١١ / ١٩٩).

(٥) زاد في نهج البلاغة: ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة.

لتبعة ولا أحرى لزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير الحقّ، والله مبتدئ بالحكم بين العباد فيما يتسافكون من الدماء، فلا تصوننّ سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك يخلقه (١) ويزيله، «فإيّاك والتعرّض لسخط الله؛ فإنّ الله قد جعل لولي من قتل مظلوماً سلطاناً، قال الله: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً» (٢)».

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة، لأنّ فيه قود البدن، فإن ابتليت بخطأ وأفرط عليه سوطك أو يدك لعقوبة فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلته، فلا تطمحنّ (٣) بك نخوة (٤) سلطانك عن أن تؤدّي إلى أهل المقتول حقّهم؛ «ديّة مسلمة يتقرّب بها إلى الله زلفى».

إيّاك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحبّ الإطراء؛ فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن. إيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسان، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، «أو التسرّع إلى الرعية بلسانك»؛ فإنّ المنّ يبطل الإحسان، والخلف يوجب المقت، وقد قال الله جلّ ثناؤه: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (٥).

إيّاك والعجلة بالأمر قبل أوانها، والتساقط فيها عند زمانها، واللساجة فيها إذا تنكّرت، والوهن فيها إذا أوضحت، فضع كلّ أمر موضعه، وأوقع كلّ عمل

(١) خلق الشيء وأخلق: بلي، يقال: ثوب خلّق، ودار خلّق (لسان العرب ١٠ / ٨٨).

(٢) سورة الإسراء ٣٣.

(٣) طمّح به: ذهب به (لسان العرب ٢ / ٥٣٥).

(٤) النخوة: العظمة والكبر والفخر (لسان العرب ١٥ / ٣١٣).

(٥) سورة الصفّ ٣.

موقعه .

وإيّاك والاستئثار بما للناس فيه الأسوة (١)، «والاعتراض فيما يعينك»، والتعاليّ عمّا يعنى به ممّا قد وضع لعيون الناظرين؛ فإنّه مأخوذ منك لغيرك. وعمّا قليل تُكشّف عنك أغطية الأمور، ويبرز الجبّار بعظمته، فينتصف المظلومون من الظالمين.

ثمّ املك حميّة أنفك، وسورة (٢) حدّتك (٣)، وسطوة يدك، وغرب لسانك. واحترس كلّ ذلك بكفّ الباردة، وتأخير السطوة. وارف بصرك إلى السماء عندما يحضرك منه، حتّى يسكن غضبك، فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تُكثر هومك بذكر المعاد.

«ثمّ اعلم أنّه قد جمع ما في هذا العهد من صنوف ما لم آلك فيه رشد إن أحبّ الله إرشادك وتوفيقك أن تتذكّر ما كان من كلّ ما شاهدت ممّا، فتكون ولايتك هذه من حكومة عادلة، أو سنّة فاضلة، أو أثر عن نبيّك ﷺ، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به منها، وتجتهد نفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي، واستوتقت من الحجّة لنفسك لكي لا تكون لك علة عند تسرّع نفسك إلى هواها. «فليس يعصم من السوء ولا يوفّق للخير إلاّ الله جلّ ثناؤه».

وقد كان ممّا عهد إليّ رسول الله ﷺ في وصايته تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم، فبذلك أختّم لك ما عهدت، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم».

وأنا أسأل الله سعة رحمته، وعظيم مواهبه وقدرته على إعطاء كلّ رغبة أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه؛ من الإقامة على العذر الواضح وإلى خلقه، مع حسن

(١) القوم أسوة في هذا الأمر: أي حالهم فيه واحدة (لسان العرب ١٤ / ٣٥).

(٢) سورة السلطان: سطوته واعتدائه. والشورة: الوثبة (لسان العرب ٤ / ٣٨٥).

(٣) الحجّة: ما يعتري الإنسان من النزق والغضب (لسان العرب ٣ / ١٤١).

النساء في العبادة، وحسن الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، وإنا إليه راغبون. والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلّم كثيراً^(١).

حركة الأشر إلى مصر

قال الإمام عليه السلام للأشتر إنك ممن استظهرته على إقامة الدين، وأقع به نخوة الأئمة، وأشدّ به الفخر الخوف. وكنت وليت عمّد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث ليس بذئ تجربة للحرب، ولا بمجرّب للأشياء، فأقدم عليّ؛ لننظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك. والسلام.

فأقبل مالك إلى علي عليه السلام حتّى دخل عليه، فحدّثه حديث أهل مصر، وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، أخرج رحك الله فإني إن لم أوصيك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهتكت، فاخلف الشدة باللين؛ وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعترّم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة^(٢).

شهادة الأشر بسم معاوية

ولم يدر في خلد الأشر شهادته في طريق مصر، فخرج ميمماً وجهه صوب مصر، وسارت قافلته تطوي البيداء، لا تلوي على شيء، فلما انتهت إلى «إبله»^(٣)

(١) تحف العقول ١٢٦، نهج البلاغة الكتاب ٥٣، دعائم الإسلام ١ / ٣٥٠ وذكر أنّ هذا العهد هو ممّا عهد به النبي ﷺ لعلي عليه السلام كلاهما نحوه، بحار الأنوار ٧٧ / ٢٤٠ ح ١.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٩٥، الأمالي للمفيد ٧٩ / ٤ نحوه عن هشام بن محمد وفيه إشارة إلى شهادة محمد بن أبي بكر، الفارات ١ / ٢٥٧ عن المدائني وراجع أنساب الأشراف ٣ / ١٦٧ والكمال في التاريخ ٢ / ٤١٠.

(٣) إبله: مدينة تقع على شاطئ دجلة في الطريق إلى البصرة.

التقى به نافع مولى عثمان بن عفّان، وقد أرسله معاوية لاغتياله^(١)، وكان لبقاً، فأخذ مالك يسأله:

ممن أنت؟

من أهل المدينة.

من أيّهم؟

فأخفى وضعه، وقال:

مولى عمر بن الخطّاب.

أين تريد؟

مصر.

ما حاجتك بها؟

أشبع من الخبز فإنّنا في المدينة لا نشبع منه.

فرق له قائلاً الزمني فإني سأصيبك من الخبز.

ومضى مالك في سفره، وعميل معاوية ملازم له، حتّى انتهى إلى القلزم^(٢)، فنزل ضيفاً على امرأة من جهينة فرحبت به، وقابلته بمزيد من التكريم، وسألته أي الطعام أحبّ إليه في العراق حتّى تصنعه له، فقال لها: الحيتان الطريّة، فقدّمت له ما اشتهى فلما أكل أصابه عطش شديد فأخذ يكثر من شرب الماء، فقال له نافع مولى عثمان: إن الطعام لا يقتل سمّه إلا العسل، فدعا الأشر بإحضاره من ثقله، فلم يكن فيه، فبادر نافع قائلاً: هو عندي، فقال الأشر: عليّ به، فأحضره فتناول منه، وكان قد دسّ فيه سمّاً قاتلاً، ولما انتهى إلى جوفه تقطعت أمعاؤه، وأخذ الموت يدنو منه سريعاً، وطلب الأشر إحضار نافع فوجده منهزماً، فلم يعثر عليه، وسرى

(١) وعثمان وغلماؤه ومعاوية متخصصون في الاغتيايل بالسموم وغيرها ||

(٢) القلزم: مدينة تقع على شفير البحر ليس بها زرع ولا ماء، يحمل إليها الماء من آبار بعيدة،

وتقع ما بين الحجاز ومصر على ثلاثة أيّام منها - معجم البلدان.

السمّ في جميع أوصاله ، وقد طوت حياته شربة العسل التي كان يردها معاوية « إنَّ لله جنوداً من عسل »^(١).

فات هذا الرجل العظيم الذي جاهد أعداء الله كأعظم ما يكون الجهاد ، وقد كانت شهادته على يد ابن هند المحارب للإسلام وتبين هذه الحادثة وجود جواسيس لمعاوية في جيش الإمام عليه السلام . أخبروه بحركة الأشر إلى مصر .

وفي رواية أخرى بعد ما عين الإمام علي عليه السلام الأشر والياً على مصر سنة ٣٨هـ . خاف معاوية من الأشر وأراد قتله فانتخب رجلاً من أهل الخراج فقال له : إنَّ الأشر قد وليّ مصر ، فإن أنت كفتيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فاحتل له بما قدرت عليه .

فخرج الجايستار حتّى أتى القلزم وأقام به ، وخرج الأشر من العراق إلى مصر ، فلمّا انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام ، حتّى إذا طعم أتاه بشرية من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إيّاه ، فلمّا شربها مات .

وبعد مقتله أقبل معاوية حيلة يقول لأهل الشام : إنَّ علياً وجّه الأشر إلى مصر ، فادعوا الله أن يكفيكموه . قال : فكانوا كلّ يوم يدعون الله على الأشر ، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشر ، فقام معاوية في الناس خطيباً ، فحمد الله وأنتى عليه ، وقال : أمّا بعد ، فإنّه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداها يوم صفين - يعني عمّار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم - يعني الأشر -^(٢).

(١) مالك الأشر ، محمّد رضا الحكيم ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٩٥ / ٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤١٠ نحوه وفيه « الحاسبات » بدل « الجايستار » وراجع الأمالي للمفيد ٨٢ / ٤ والغارات ١ / ٢٥٩ - ٢٦٤ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٥٥ ح ٧٢٢ ، شرح نهج البلاغة ٦ / ٧٦ ، الاختصاص ٨١ ، معجم رجال الحديث ١٤ / ١٦٣ ح ٩٧٩٦ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٩١ ح ٧٣٤ .

وقال المسعودي : وليّ علي عليه السلام الأشر مصر ، وأنفذه إليها في جيش ، فلمّا بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال : أترك خراجك عشرين سنة واحتل للأشر بالسمّ في طعامه .

فلمّا نزل الأشر العريش ، سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحبّ إليه ؟ قيل له : العسل ، فأهدى له عسلاً ، وقال : إنّ من أمره وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشر ، وكان الأشر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقرّت في جوفه حتّى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه .

وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إنَّ لله جنوداً من العسل^(١).

ترحم الإمام علي عليه السلام على الأشر

قال الإمام علي عليه السلام : مالك وما مالك ! والله ، لو كان جبلاً لكان فنداً^(٢) ، ولو كان حجراً لكان صلداً^(٣) ، لا يرتقيه الحافر ، ولا يوفى^(٤) عليه الطائر^(٥) .

رحم الله مالكا ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ^(٦) .

أما والله ليهدنّ موتك عالماً ، وليفرحنّ عالماً ، على مثل مالك فلتبك البواكي ،

(١) تاريخ يعقوبى ٢ / ١٩٤ ، مروج الذهب ٢ / ٤٢٠ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٢٠١ عن عوانة بن الحكم نحوه .

(٢) الفند : هو المنفرد من الجبال (النهاية ٣ / ٤٧٥) .

(٣) حجر صلداً : صلب أملس (لسان العرب ٣ / ٢٥٦) .

(٤) أوفى : أشرف وأتى (لسان العرب ١٥ / ٣٩٩) .

(٥) نهج البلاغة الحكم ٤٤٣ ، ربيع الأبرار ١ / ٢١٦ وليس فيه « ولو كان حجراً لكان صلداً » وراجع الكامل في التاريخ ٢ / ٤١٠ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٥٩٤ وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤ ح ٦ ، موسوعة الامام علي ، رى شهرى ج ٤ / ٤٢ .

(٦) شرح نهج البلاغة ١٥ / ٩٨ ، رجال ابن داود ١٥٧ / ١٢٥٤ وفيه ذيله .

وهل موجود كما لك^(١)!!

وصعد المنبر عليه السلام فخطب الناس ، ثم قال : ألا إن مالك بن الحارث قد قضى نجه ، وأوفى بعهده ، ولقي ربه ، فرحم الله مالكا ، لو كان جبلاً لكان فذاً ، ولو كان حجراً لكان صلداً ، لله مالك ، وما مالك ! وهل قامت النساء عن مثل مالك ! وهل موجود كما لك !

قال : فلما نزل ودخل القصر أقبل عليه رجال من قريش ، فقالوا : لشد ما جزعت عليه ، ولقد هلك . قال : أما - والله - هلاكه أعز أهل المغرب ، وأذل أهل المشرق . قال : وبكى عليه أياماً ، وحزن عليه حزناً شديداً ، وقال : لا أرى مثله بعده أبداً^(٢).

إذ كان الأشتر بطلاً مرموقاً صالحاً مؤمناً عاقلاً زعيماً لا يقوى على مواجهته المنافقون ويخافه الفاسقون فهو الذي خافه الأشعري وأخلى له دار الإمارة في الكوفة . وهو الذي خافه طلحة والزبير وباقي الطلقاء والأعراب في المدينة . فكان قوياً صلداً في إيمان وعبقرياً بحكمة .

تأيين الإمام لمالك

ولما انتهى النبا الفجيع بوفاة القائد العظيم إلى الإمام عليه السلام ذابت نفسه أسى وحزناً ، وأخذ يذرف عليه أحمر الدموع قائلاً :

« إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين .

اللهم إني أحسبته عندك ، فإن موته من مصائب الدهر ... » .

(١) رجال الكشي ١ / ٢٨٣ ح ١١٨ ، رجال ابن داود ١٥٧ / ١٢٥٤ ، جامع الرواة ٢ / ٣٧ ، الغارات ١ / ٢٦٥ ، الأمالي للمفيد ٨٣ / ٤ ، الاختصاص ٨٣ كلاهما نحوه ، بحار الأنوار ٨٢ / ١٣٠ ح ٩ .

(٢) الاختصاص ٨١ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٩١ ح ٧٣٥ ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٥ ، الغارات ١ / ٢٦٤ ، الأمالي للمفيد ٨٣ / ٤ نحوه ، شرح نهج البلاغة ٦ / ٧٧ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٩٤ .

ثم قال : « رحم الله مالكا فقد وفي بعهده ، وقضى نجه ، ولقي ربه ، مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصائب »^(١).

لقد كانت شهادة مالك من الأحداث الجسام التي مني بها العالم الإسلامي استفاد منها المنافقون من بني أمية في سبيل طمس معالم الحق .

سرور معاوية بقتل الأشتر

قال معاوية بعد شهادة مالك الأشتر - : أما بعد ، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، فقطعت إحداها يوم صقين - يعني عمار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر^(٢).

وقد كان الأشتر زعيماً لأهل اليمن ورئيساً لأهل الكوفة يحترمه الجميع . وبعد استنفار الإمام عليه السلام للناس ، وتقاعدهم عنه ، واجتماعهم على خذلانه ، وخطبة الإمام في ذلك - : تكلم الناس من كل ناحية ولغظوا ، فقام رجل فقال بأعلى صوته : استبان فقد الأشتر على أهل العراق ، لو كان حياً لقل اللغظ ، ولعلم كل امرئ ما يقول^(٣).

وقال مغيرة الضبي : لم يزل أمر علي عليه السلام شديداً حتى مات الأشتر ، وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة^(٤) . وذكر الأشتر النخعي عند معاوية ، فقال رجل من النخع للذي ذكره :

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ / ٢٩ .
(٢) الغارات ١ / ٢٦٤ عن المدائني عن بعض أصحابه ، الاختصاص ٨١ عن عبدالله بن جعفر ؛ تاريخ الطبري ٥ / ٩٦ عن يزيد بن ظبيان الهمداني ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤١٠ .
(٣) الأمالي للطوسي ١٧٤ / ٢٩٣ ، الغارات ٢ / ٤٨١ ، شرح نهج البلاغة ٢ / ٩٠ .
(٤) هو أسود من فلان : أي أجبل منه (لسان العرب ٣ / ٢٣٠) . الغارات ١ / ٢٦٤ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٥٦ ح ٧٢٢ ، شرح نهج البلاغة ٦ / ٧٧ .

اسكت ، فإنّ موته أذلّ أهل العراق ، وإنّ حياته أذلت أهل الشام ! فسكت معاوية ولم يقل شيئاً^(١).

وقال المعتزلي : لله أمّ قامت عن الأشر ! لو أنّ إنساناً يقسم أنّ الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا أستاذه عليه السلام لما خشيت عليه الإثم ! والله درّ القائل وقد سئل عن الأشر : ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام ، وهزم موته أهل العراق ! وبحقّ ما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام : كان الأشر لي كما كنت لرسول الله ﷺ^(٢).

محمد بن أبي بكر

كان محمد بن أبي بكر ربيباً لأمر المؤمنين تربى في حضنه واستلهم مبادئه وأفكاره واهتدى بهديه فكان نموذجاً حسناً من رجال المسلمين وكان الناس يعجبون لهذا الرجل الذي ترك أباه وحزبه القرشي وتولّى محمداً وآل محمد بعيداً عن العصبية القبلية والأهواء الدنيوية .

وبعد ما نكب الإمام عليه السلام بشهادة أخيه وعضده مالك الأشر أبق ابن أبي بكر على ولاية مصر وهو من ألمع الرجال في فضله وتقواه ، ومن أكثرهم حباً وولاءً للإمام عليه السلام .

عهد الإمام لمحمد بن أبي بكر

وكان الإمام عليه السلام قد كتب هذه الرسالة لمحمد حينما قلده ولاية مصر ، وهذا نصّها :

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٤١ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ١٨٦ ، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢١٤ كلاهما نحوه .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ / ٢١٣ .

فاخفض لهم جناحك ، وأنّ لهم جانبك ، وأبسط لهم وجهك ، وآس^(١) بينهم في اللحظة والنظرة ، حتّى لا يطعم العطاء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ، فإنّ الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة ، فإنّ يعذب فأنتم أظلم ، وإن يعف فهو أكرم .

ومثلت هذه الكلمات روعة العدل الذي لم يقنّ مثله في جميع ما شرّع من الشؤون السياسية ، فقد أمره الإمام عليه السلام بالمواد التالية :

أن لا يتكبر على الرعية وأن يخفض لهم جناحه . ويتخلّق بأخلاق الرسول العالية في هذا الأمر في التبسّم لهم والترحيب بهم والتوديع لهم . فالتكبر من صفات الطغاة والمتجبرين والتواضع من صفات المتقين الأخيار .

وأمره الإمام عليه السلام بالعدل بين الرعية لأنّها مفتاح الفلاح بينهم .

قال الإمام علي عليه السلام : واعلموا عباد الله ! أنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ؛ سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذته الجبابرة المتكبرون .

ثمّ انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ ؛ والمتجر الرابع . أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم . لا تردّ لهم دعوة ، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة .

فاحذروا عباد الله الموت وقربه ، وأعدّوا له عدّته ، فإنّه يأتي بأمر عظيم ، وخطب جليل ، وخير لا يكون معه شرّ أبداً ، أو شرّ لا يكون معه خير أبداً . فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها ! ومن أقرب إلى النار من عاملها ! وأنتم طرداء الموت ، إن أقنتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، وهو أزم لكم من

(١) آس : أي ساو بينهم .

ظلمكم. الموت معقود بنواصيكم؛ والدنيا تطوى من خلفكم.

فاحذروا ناراً أقرها بعيد، وحرّها شديد، وعذابها جديد.

دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرّج فيها كربه. وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله، وأن يحسن ظنكم به، فاجمعوا بينها، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه برّبّه على قدر خوفه من ربّه، وإنّ أحسن الناس ظناً بالله أشدّهم خوفاً لله.»

وعظ أمير المؤمنين عليه السلام الناس وعلى رأسهم محمّد بن أبي بكر بالخوف من الدنيا وزبرجها وهده بالنار وحرّها. وعرفه مسالك أهل اليقين ودروب أهل التوحيد المستفيدين من الدنيا أيّما استفادة والمتنعّمين بها أفضل نعمة.

فهؤلاء هم الفائزون في الآخرة لابتعادهم عن الظلم والشرك والترّف والاستكبار.

وأضاف وصي رسول ربّ العالمين: واعلم - يا محمّد بن أبي بكر - أنّي قد وليتكم أعظم أجنادي في نفسي، أهل مصر، فأنت محقّق^(١) أن تخالف على نفسك، وأن تتافح عن دينك، ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه، فإنّ في الله خلقاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره.

صلّ الصلاة لوقتها المؤقت لها، ولا تعجل وقتها فراغ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال.

واعلم أنّ كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

وتبيّن هذه الرسالة عظم حبّ علي عليه السلام لأهالي مصر (افريقيا) الطيبين العزيزين على نفسه المباركة وهي نفس رسول الله ﷺ. ثمّ أوصى الإمام عليه السلام محمّداً بأداء الصلاة في وقتها فإنّها من أفضل العبادات، ومن أعظمها عند الله تعالى قائلاً:

(١) محقّق: أي مطالب بمخالفتك شهوة نفسك.

فإنّه لا سواء، إمام الهدى وإمام الردى، وولي النبي، وعدوّ النبي. ولقد قال لي رسول الله ﷺ: «إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً؛ أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه. وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه. ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون»^(١).

فالإمام عليه السلام أشار هنا إلى خطر المنافقين على الإسلام والمسلمين. في محاولة منه عليه السلام إلى ردم أسوار المنافقين وقمع ممالكهم فنها ينبع الشرّ ومن أروضهم تولد المعاصي.

وأكثرنا غافلون عن هذه المحنة ولاهون عن هذه الفتنة.

صورة أخرى من عهد الإمام لمحمّد بن أبي بكر

وهذه صورة أخرى من عهد الإمام عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر رواها الطبري، وهذا نصّه بعد البسملة: أو أنّها رسالة واحدة في روايتين له عليه السلام:

هذا ما عهد عبده الله علي أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر حين ولّاه مصر: أمره بتقوى الله في السرّ والعلانية، وخوف الله عزّ وجلّ في المغيّب والمشهد، وأمره باللين على المسلم، والغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمّة، وبإنصاف المظلوم، وبالشدّة على الظالم، وبالغفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع، والله يجزي المحسنين، ويعذب المجرمين.

وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة، فإنّ لهم في ذلك من العاقبة، وعظيم المثوبة ما لا يقدرّون قدره ولا يعرفون كنهه.

وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل، لا يتنصّص

(١) نهج البلاغة ٣/٥١٦-٥١٨.

منه ولا يتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل .
وأن يلين لهم جناحه، وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب
والبعيد في الحق سواء .

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق، وأن يقوم بالقسط، ولا يتبع الهوى، ولا
يخف في الله عز وجل لومة لائم، فإن الله جل ثناؤه من اتقاه، وآثر طاعته، وأمره
على ما سواه . وكتب هذا العهد عبدالله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ لغزوة
رمضان سنة (٣٦هـ) (١).

وحفل هذا العهد بجميع ألوان التقوى، والتمسك بطاعة الله تعالى التي هي
الدرع الحصين لمن التجأ إليها .

فكان عهد أمير المؤمنين عليه السلام مدرسة في التقوى والورع لأبناء الأمة .

رسالة محمد بن أبي بكر إلى معاوية

وكتب محمد بن أبي بكر رسالة إلى معاوية يدعو فيها إلى الجماعة والطاعة،
ويذكر فيها فضائل الإمام عليه السلام وهذا نصها :

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر :

«سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله، أما بعد :

فإن الله بجلاله وعظمته، وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عيب منه، ولا

ضعف في قوته، ولا حاجة به إلى خلقهم؛ ولكنّه خلقهم عبيداً، وجعل منهم غوياً
ورشيذاً وشقيماً وسعيداً . ثم اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمداً ﷺ،
فاختصه برسالته، واختاره لوحيه، واثمنه على أثره، وبعثه رسولاً، ومبشراً
ونذيراً، مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة .

فكان أول من أجاب وأجاب، وآمن وصدق، وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه،
صدقّه بالغيّب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه بنفسه كلّ هول، وواساه بنفسه
في كلّ خوف وحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات
الأزل (١) ومقامات الروح، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في
فعله .

وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كلّ خير أول
الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وخير الناس زوجة،
وخير الناس ابن عم، أخوه الشاري لنفسه يوم مؤتة، وعمّه سيّد الشهداء يوم
أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله ﷺ وعن حوزته .

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تنزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل،
وتجهدان في إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبدلان فيه المال، وتؤلبان
عليه القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من
يأوي، ويلجأ إليك، من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ .
والشاهد لعلّي مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين معه الذين
ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه
كثائب وعصاب، يجالدون حوله بأسيا فهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الحق

(١) الأزل: الضيق والشدة .

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٢٣١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ٢٥ .

في أتباعه والشقاق والعصيان في خلافه ، فكيف - يالك الويل - تعدل نفسك بعلي ، وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيّه وأبو ولده ، وأوّل الناس له اتباعاً ، وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلع على أمره ، وأنت عدوّه وابن عدوّه .

فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك ، ولبيدك ابن العاص في غوايتك ، فكأنّ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف يستين لك لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنّك إنّما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده ، وأيست من روحه ، وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور والسلام على من أتبع الهدى ... (١)

جواب معاوية الشافي والكافي

وأجاب معاوية عن رسالة محمد ، بهذه الرسالة جاء فيها :

«من معاوية بن صخر إلى الزّاري (٢) على أبيه محمد بن أبي بكر .

سلام على أهل طاعة الله . أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمتهم وقدرته وسلطانه ، وما أصفى (٣) به نبيّه مع كلام كثير ألفتته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه حقّ ابن أبي طالب ، وقدم سوابقه وقرابته من نبي الله ، ونصرته له ، ومواساته إياه ، في كلّ هول وخوف ، فكان احتجاجك عليّ ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك ، فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا .

فلما اختار الله لنبيّه ما عنده ، وأتمّ له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج

حجّته (١) ، قبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه (٢) ، وخالفه على أمره . على ذلك اتّفقا واتّسقا ، ثمّ إنّهما دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما ، فهما به المهوم ، وأرادا به العظيم - أي القتل - .

ثمّ إنّهما بايعهما وسلّم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعا على سرّهما حتى قبضا وانقضى أمرهما ثمّ أقاما بعدها عثمان مهتدي بهديهما ، ويسير يسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك ، حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي ، وبطننا وظهرنا ، وكشفنا له عداوتكما وغلّكما ، حتى بلغنا منه مناكبا .

فخذ حذرک يا بن أبي بكر ، فستري وبال أمرک ، وقس شبرک بفترک ، تقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال حلمه ، ولا تلين على قسر (٣) قناته ، ولا يدرك ذو مدى أناته ، أبوك مهّد له مهاده ، وبني ملكه وشاده ، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّل ، وإن يك جوراً فأبوك أسه ، ونحن شركاؤه ، فسهيديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلمنا إليه ، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا ، فاحتدنا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعب أباك بما بدالك ، أو دع ، والسلام على من أناب ورجع من غوايته وتاب وناب (٤) .

وهاتان الرسالتان خطيرتان للغاية تبيّن حقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام الساطع في سماء الدنيا والمشهور في صفوف المؤمنين والمنافقين . وغلبة رجال السقيفة على خلافة الرسول ﷺ دون حقّ ولا إنصاف .

وسوف تبيّن هاتان الرسالتان في ذهن المخلصين مناراً للهداية في الدنيا .

- (١) أفلج حجّته : أي أظهرها .
- (٢) ابتزّه حقّه : أي سلبه حقّه .
- (٣) القسر : الاكراه .
- (٤) مروج الذهب ٢ / ٦٠ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ / ٢٨٤ .

(١) مروج الذهب ٢ / ٥٩ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ / ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) الزّاري : العائب .

(٣) أصفى : أي أثره .

شهادة محمد بن أبي بكر

وبعد ما أصبح محمد والياً لمصر قامت قيامة معاوية فأرسل جيشاً بقيادة ابن العاص لاحتلالها ، والتحم الجيشان ، فانهزم أهل الشام ، فاستنجد ابن العاص بمعاوية فأمدّه بجيش جرّار بقيادة معاوية بن خديج ، ودارت بين الجيشين معركة رهيبية استشهد فيها القائد العام لجيش محمد ، وعلى أثره انهزم الجيش وفرّ محمد ، ولم يجد مكاناً شديداً يأوي إليه ، فالتجأ إلى خربة فأقام فيها ، وخرج ابن خديج في طلبه ، فأخبره بعض علوج المصريين أنّه في الخربة فهجم عليه ، وألقى عليه القبض ، وقد بلغ منه العطش مبلغاً عظيماً ، فطلب الماء فردّ عليه السفّاك الأثيم ابن خديج قائلاً :

لا سقاني الله إن سقيتك قطرة ، إنكم منعتم عثمان الماء ، ثمّ قتلتموه وكان صائماً ، والله ! لأقتلنك يا ابن أبي بكر فيسقيك الله الجحيم ...

وتمثلت الروح الأموية القذرة التي تحمل طبيعة وخسة الأشرار بهذا الإنسان الممسوخ الذي منع الماء عن أسير عنده ، والتفت إليه البطل قائلاً :

يا ابن اليهودية التساجعة ! ... أما والله ! لو كان سيفي بيدي ما بلغتني هذا .
والتفت ابن خديج إلى محمد قائلاً :

أتدري ما أصنع بك ، أدخلك في جوف حمار ثمّ أحرقه عليك بالنار .

وأجابه البطل المؤمن : إن فعلتم ذلك بي فظالما فعلتموه بأولياء الله .

وطال الجدل بينهما فانبرى ابن خديج فانفذ فيه حكم الاعداء وألقى جسده الطاهر في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار بعد أن احتزّ رأسه الشريف ، وأرسله هدية إلى ابن آكلة الأكباد سيده معاوية ، وهو أوّل رأس طيف به في الإسلام^(١) .

ومدحه الإمام علي عليه السلام مدحاً يبيّن منزلته العالية والسامية فقال : لقد كان لي

حبيباً وكان لي ربيباً^(١) . وكان معاوية بن خديج والوليد بن عقبة وكعب الأحبار من اليهود العاملين في جهاز معاوية يكيدون الإسلام .

ابن أبي بكر وابن أبي سفيان مثالان للطهر والعهر

العوائل المهاجرة إلى المدينة المنورة عاشت في كنف النبي ﷺ الأطهر عشر سنين كاملة تنهل من حكته وأخلاقه وشريعته فارتوت بعضها واهتدت إلى شاطئ الهداية وعرفت باب الرحمة (أهل البيت) وركبت سفينتهم السماوية وأكثر هؤلاء من غير القرشيين الأصليين مثل المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وسلمان الفارسي .

والركب الثاني من المهاجرين لم يكونوا من القرشيين الأصليين أيضاً مثل أبي

بكر وعمر فهما من النسل الحبشي لكنّهم بقوا في الحزب القرشي ولد الأوّل في مؤسّسة عبدالله بن جدعان المعروفة وولد فيها أيضاً طلحة بن عبيدالله من أمّه الصعبة المشهورة وولد في هذه المؤسّسة أيضاً عمرو بن العاص من أمّه النابغة . وولد في هذه المؤسّسة صهيب الرومي .

وكان الوليد بن المغيرة المخزومي وعبدالله بن أبي زعيم المناققين في المدينة

يجبران جواربهما على الزنا لكسب المال فنزل القرآن بتحريم عملها في هذا المجال .

ومن خلال التربية البيئية والمحيطية تأثّر أولاد المهاجرين والأنصار فنشأ

بعضهم على نسيج آباؤهم وتوجّهاتهم مثل عبدالرحمن بن أبي بكر وعائشة بنت أبي

بكر وحفصة بنت عمر وعبدالله وعبيدالله ابنا عمر وعمر بن سعد بن أبي وقاص

وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري ومحمد بن طلحة بن

عبيدالله (قتل مع أبيه في معركة الجمل) والنعمان بن بشير بن سعد .

وخالف بعض الأولاد آباءهم واختطّوا طريق الفلاح والصلاح بارتباطهم

الوثيق بمحمد وأهل بيته مثل محمد بن أبي بكر ومعاوية بن يزيد بن معاوية الذي تنازل عن سلطة بني أمية المغصوبة من أهل بيت العصمة عليه السلام فأصبح محمد ومعاوية هذان مشعلان يضيئان الدرب لشباب الأمة، وقدوتان تتأسى بهما جموع الجماهير. ولم يخلد في ذهن معاوية تنكّر حفيده معاوية الثاني لمنهجه وحروبه وحكومته التي أقامها على هاجم المؤمنين ودماء المتقين.

فتوضّح للعالم منهجان واضحان في الصحابة وأولادهم يتدبّر في رسومه المسلمون فمنهم من يجيد السير على خطى المتقين ومنهم من يجيد المشي على درب الفاسقين.

فلا أحد يتأسى ولا شخص يحزن على من انتخب مشروع الشياطين وسار في ضفاف الفاسقين وحطّ في عشّ الخائنين.

ولا شخص يدهش على من فارق آباءه الخلفاء وترك كرسي الزعامة من أجل الحياة الآخرة والرضاوية الإلهية والنظرية الأخلاقية الحضارية.

رسالة الإمام إلى محمد بن أبي بكر

إنّ محمد بن أبي بكر لما بلغه أنّ علياً عليه السلام قد وجّه الأشر إلى مصر شقّ عليه، فكتب علي عليه السلام عند مهلك الأشر إلى محمد بن أبي بكر - وذلك حين بلغه موجدة (١) محمد بن أبي بكر لقدم الأشر عليه -:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر، سلام عليك. أمّا بعد، فقد بلغني وجدتك من تسريحي الأشر إلى عملك، ولم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد، ولا استزادة لك منّي في الجِدِّ، ولو نزع ما حوت يداك من سلطانتك لوليتك ما هو أيسر مؤونة عليك، وأعجب ولاية إليك، إلّا أنّ الرجل

(١) وَجَدَ عَلَيْهِ يَجِدُّ مَوْجِدَةٌ: غَضِبَ (لسان العرب ٣/ ٤٤٦).

الذي كنت وليته مصر كان رجلاً لنا مناصحاً، وعلى عدوتنا شديداً، فرحمة الله عليه، وقد استكمل أيامه، ولاقي جماعه، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب، فأصحر لعدوك، وشمّر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهتك، ويبيّنك على ما ولّك، أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته. والسلام (١).

بعد قضية الحكيم اهتمّ معاوية بمصر اهتماماً فائقاً فأراد الإمام علي عليه السلام مواجهة هذا الطموح بقائده المنتصر مالك الأشر، ولافريقيا أهمية كبيرة سابقاً وحاضراً على الأحداث وكان الفرق بين شخصية مالك الأشر ومحمد بن أبي بكر. فالأشر أمة في رجل.

ولو تمكّن الأشر من الوصول إلى مصر وتحكيم سلطته فيها لتمكّن الإمام علي عليه السلام من محاصرة معاوية، وتسريح الجيوش المصرية إليه.

جواب محمد بن أبي بكر

فكتب إليه عليه السلام محمد بن أبي بكر جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أمير المؤمنين علي من محمد بن أبي بكر، سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد، فقد انتهى إليّ كتاب أمير المؤمنين، وفهمته، وعرفت ما فيه، وليس أحد من الناس أشدّ على عدو أمير المؤمنين ولا أرف وأرقّ لوليّه منّي، وقد خرجت ففسكرت وأمنت الناس، إلّا من نصب لنا حرباً، وأظهر لنا خلافاً. وأنا متّبع أمر أمير المؤمنين، وحافظه، ولا جئ

(١) الغارات ١/ ٢٦٧، نهج البلاغة الكتاب ٣٤، بحار الأنوار ٣٣/ ٥٥٦ ح ٧٢٢ و ٥٩٣/ ٧٣٩، تاريخ الطبري ٥/ ٩٦ عن أبي مخنف، الكامل في التاريخ ٢/ ٤١٠، شرح نهج البلاغة ٦/ ٧٨ و ١٦/ ١٤٢.

إليه ، وقائم به ، والله المستعان على كلِّ حال . والسلام^(١).

هجوم ابن العاص على مصر

هجم ابن العاص في سنة آلاف رجل على مصر وكتب إلى محمد بن أبي بكر :
أما بعد ، فتفتح عني بدمك يابن أبي بكر فإني لأحب أن يصيبك مني ظفر ، إنَّ الناس
بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على أتباعك ، فهم
مسلموك لو قد التقت حلقتنا البطان^(٢) ، فأخرج منها فإني لك من الناصحين ،
والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه :

أما بعد ، فإنَّ غبَّ البغي والظلم عظيم الوبال ، وإنَّ سفك الدم الحرام لا يسلم
صاحبه من النقرة في الدنيا ومن التبعة الموبقة في الآخرة ، وإنا لا نعلم أحداً كان
أعظم على عثمان نبياً ولا أسوأ له عيباً ولا أشدَّ عليه خلافاً منك ، سعت عليه في
الساعين وسفكت دمه في السافكين ، ثمَّ أنت تظنُّ أني عنك نائمٌ أو ناسٍ لك حتَّى
تأتي فتأتمر على بلاد أنت فيها جاري ، وجلَّ أهلها أنصاري يرون رأيي ويرقبون
قولي ويستصرخوني عليك ، وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك يستسقون دمك
ويتقرَّبون إلى الله بجهداك ، وقد أعطوا الله عهداً ليمثِّلنَّ بك ، ولو لم يكن منهم إليك ما
عدا قتلك ما حدَّرتك ولا أنذرتك ، ولأحبيت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك
على عثمان يوم يُطعن بمشاقصك بين خُششائه^(٣) وأوداجه ، ولكن أكره أن أمثَّل
بقرشي ، ولن يُسلمك الله من القصاص أبداً أينما كنت . والسلام^(٤).

(١) الغارات ١ / ٢٦٩ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٥٧ ح ٧٢٢ ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٧ عن أبي مخنف ،
الكامل في التاريخ ٢ / ٤١١ .

(٢) البطان : جزم الرجل والقَب (لسان العرب ١٣ / ٥٦) .

(٣) المشقص : نصل السهم إذا كان طويلاً غير عرض (النهاية ٢ / ٤٩٠) . خششائه : هو العظم
الناثئ خلف الأذن (النهاية ٢ / ٣٤) .

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ١٠٠ ، البداية والنهاية ٧ / ٣١٤ نحوه ، شرح نهج البلاغة ٦ / ٨٣ ،

وكان عمرو بن العاص يطمع في مصر قديماً لذا اشترط على معاوية اعطائها
له طعمة له ولأولاده من بعده مقابل مشاركته في الحرب إلى جانبه .
فوافق معاوية على هذا الشرط^(١) .

لذا تحرَّك ابن العاص إلى مصر برغبة جامحة مرتكباً في هذا كلَّ الدسائس
والحيل الشيطانية ، فوعد رموز مصر المال والمناصب لينضمّوا إلى صفوفه !

ابن أبي بكر يطلب النجدة

فتوى محمد كتابيها وبعث بها إلى علي ، وكتب معها : أما بعد ، فإنَّ ابن
العاص قد نزل أداني أرض مصر ، واجتمع إليه أهل البلد جلَّهم ممَّن كان يرى
رأيهم ، وقد جاء في جيش لجب خراب ، وقد رأيت ممَّن قبلي بعض الفشل ، فإنَّ كان
لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال . والسلام عليك^(٢) .

رسالة الإمام عليه السلام الجوابية

فكتب إليه علي عليه السلام : أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أنَّ ابن العاص قد نزل
بأداني أرض مصر في لجب من جيشه خراب ، وأنَّ من كان بها على مثل رأيه قد
خرجت إليه ، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك ، وذكرت أنَّك
قد رأيت في بعض من قبلك فشلاً ، فلا تفشل وإن فشلتوا فخصن قريتك ، واضمم
إليك شيعتك واتدب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس ،

الغارات ١ / ٢٧٧ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٥٧ ح ٧٢٢ .

(١) الغارات ٢ / ٧٤٨ ، شرح النهج ٢ / ٧٠ ، ذكر اخبار اصفهان ١ / ٧٧ ، صفين ٤٤ ، جواهر

المطالب ١ / ٣٦٨ ، النجوم الزاهرة ، الأتابكي ١ / ٦٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١٠١ ، البداية والنهاية ٧ / ٣١٥ نحوه ، شرح نهج البلاغة ٦ / ٨٤ ،

الغارات ١ / ٢٧٨ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٥٨ ح ٧٢٢ وراجع أنساب الأشراف ٣ / ١٦٩ و ١٧٠ .

فإنِّي نادب إليك الناس على الصعب والذلول ، فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيتك وجاهدهم صابراً محتسباً ، وإن كانت فتنتك أقلّ الفتنين فإن الله قد يُعزّز القليل ويخذل الكثير .

وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحابين في عمل المعصية والمتوافقين المرتشيين في الحكومة ، المنكرين في الدنيا ، قد استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم ، فلا يهلك إرعادها وإيراقها ، وأجبتها إن كنت لم تجبها بما هما أهلها ، فإنك تجد مقالاً ما شئت . والسلام^(١) .

دعوة الناس لإنقاذ مصر

بعد ذكر استصراخ محمد بن أبي بكر قال الإمام علي عليه السلام : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد وآله ، ثم قال :

أما بعد ، فإنّ هذا صرخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله ، وولي من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم ، والركون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعاً منكم على حقكم هذا ، فإنهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر .

عباد الله ! إن مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عزّ لكم ، وكبت لعدوكم ، اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة^(٢) والكوفة ، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله .

(١) تاريخ الطبري ١٠٢ / ٥ ، شرح نهج البلاغة ٦ / ٨٤ ، الغارات ١ / ٢٧٨ ، بحار الأنوار ٣٣ / ٥٥٨ و٧٢٢ وراجع البداية والنهاية ٧ / ٣١٥ .

(٢) الحيرة : موضع قرب الكوفة (معجم البلدان ٢ / ١٢٧) . الحيرة : مدينة جاهلية ، تبعد عن الكوفة على نحو فرسخ ، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر (تقويم البلدان ٢٩٩) .

قال : فلما كان من الغد خرج يمشي ، فزلهما بكرة ، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك ، فلم ياته منهم رجل واحد ، فرجع . فلما كان من العشي بعث إلى أشراف الناس ، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب ، فقال :

الحمد لله على ما قضى من أمري وقدّر من فعلي وابتلاني بكم أيّتها الفرقة ؛ ممن لا يطيع إذا أمرت ولا يجيب إذا دعوت ، لا أباً لغيركم ! ما تنتظرون بصبركم والمجاهد على حقكم ! الموت والذلّ لكم في هذه الدنيا على غير الحقّ ، فوالله ، لئن جاء الموت - وليأتين - ليفرقن بيني وبينكم ، وأنا لصحبتكم قال وبكم غير ضنين ، الله أنتم لا دين يجمعكم ولا حمية تحميكم ، إذا أنتم سمعتم بعدوكم يردّ بلادكم ويشنّ الغارة عليكم ، أو ليس عجبا أنّ معاوية يدعو الجفاة الطعام فيبتعونه على غير عطاء ولا معونة ، ويحببونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء ، وأنا أدعوكم - وأنتم أولو النهى وبقية الناس - على المعونة وطائفة منكم على العطاء ، فتقومون عني وتعصوني وتختلفون عليّ؟

فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي فقال :

يا أمير المؤمنين اندب الناس فإنه لا عطر بعد عروس^(١) ، لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي ، والأجر لا يأتي إلا بالكربة . اتقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه ، أنا أسير إليها يا أمير المؤمنين .

قال : فأمر علي عليه السلام مناديه سعداً فنادى في الناس : ألا اتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب . ثم إنّه خرج وخرج معه علي عليه السلام فنظر فإذا جميع من خرج نحو أبي رجل .

(١) لا مخبأ لعطر بعد عروس ، ويروى : لا عطر بعد عروس : أول من قال ذلك امرأة من عُذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بني عمّها يقال له : عروس ، فمات عنها ... ، فقالت : لا عطر بعد عروس ، فذهبت مثلاً يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس (مجمع الأمثال ٣ / ١٥١) .

فقال: سير فوالله، ما أخالك تدرك القوم حتى ينقضني أمرهم. قال: فخرج بهم فصار خمساً. ثم بلغ الإمام عليه السلام انتصار ابن العاص وقتل محمد بن أبي بكر ففرح علي عبدالرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب فردّه من الطريق^(١). ولو تحرك الناس مع الإمام علي عليه السلام إلى الحرب وهددوا الشام مثلما أراد الإمام لما تمكّن ابن العاص من تهديد مصر، والتفوق على أنصار أمير المؤمنين عليه السلام هناك.

شهادة محمد بن أبي بكر

كان محمد بن أبي بكر ربيباً للإمام علي عليه السلام من زوجته أسماء بنت عميس الخثعمية. فتربّى محمد في حضن أمير المؤمنين عليه السلام تربية عالية فكان مثالاً للمؤمن المخلص. وقد عزل الإمام قيس بن سعد بن عباد عن ولاية مصر سنة ٣٦هـ وعيّن محمدًا بدلاً عنه^(٢).

وكانت مصر منقسمة على نفسها ففيها بعض القبائل مع هوى عثمان بن عفان وقوات محمد في مصر قليلة والقبائل اليمنية هناك قوية. فأرسل معاوية عمرو بن العاص في ثمانية آلاف من المحاربين فتحوّلت الكفّة إلى جانبه في حين كان ابن أبي بكر في النبي مقاتل فانتصرت القوات الأموية وأسر محمد بن أبي بكر^(٣).

وجرت محاورة بين ابن أبي بكر الأسير ومعاوية بن خديج السكوني فهذّده

(١) تاريخ الطبري ١٠٨/٥، الغارات ١/٢٨٩ عن جندب بن عبدالله وراجع الكامل في التاريخ ٤١٣/٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣٥٦/٢، تاريخ الطبري ٥٥٤/٤، الغارات ١/٢١٩.

(٣) الغارات ١/٢٧٦، تاريخ ابن الأثير ٢/٤١٠، تاريخ الطبري ٥/٩٥، أنساب الأشراف ٣/١٦٧، نهج البلاغة الكتاب ٣٤، مروج الذهب ٢/٤٢٠، تاريخ يعقوب ٢/١٩٣.

السكوني اليهودي بالموت فقال محمد: إني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله عليّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - يعني معاوية وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلطّي عليكم، كلّمنا خبث زادها الله سعيراً، قال له معاوية: إني إنّما أقتلك بعثمان.

قال له محمد: وما أنت وعثمان؟ إن عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ﴾^(١).

فقمنا ذلك عليه فقتلناه، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه، وجاعلك على مثاله.

قال: فغضب معاوية فقدمه فقتله، ثمّ ألقاه في جيفة حمار، ثمّ أحرقه بالنار، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وفتنت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، ثمّ قبضت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها^(٢).

ورأي محمد بن أبي بكر في عثمان يبيّن حقيقة الموقف الإسلامي في عثمان وصحبه. فمات ابن أبي بكر مدافعاً عن الحقّ وورعاً في دين الله تعالى.

حزن الإمام على مقتل ابن أبي بكر

قال علي عليه السلام: رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً، أما والله، لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مصر، والله، لو أنّه وليها لما خلى لعمر بن العاص وأعوانه العرصة، ولما قتل إلّا وسيفه في يده، بلا دمّ لمحمد بن أبي

(١) سورة المائدة ٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٣/٥، الكامل في التاريخ ٢/٤١٢ و٤١٣، الغارات ١/٢٨٢ - ٢٨٥، كلاهما نحوه وراجع أنساب الأشراف ٣/١٧١ و١٧٢.

بكر فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه .

قال : فقيل لعلي عليه السلام : لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزءاً شديداً يا أمير المؤمنين ! قال : وما يعني ؟ إنه كان لي ربيباً وكان لبني أخاً ، وكنت له والداً أعدّه ولداً^(١) .

وقد امتنع أبو بكر في حكومته من إرسال أي شخص من بني هاشم حقداً منه عليهم . لكن الإمام علياً عليه السلام لا يهتم بالنعرات الجاهلية والنعرات الحزبية والقبلية فأرسل محمد بن أبي بكر والياً على أفريقيا .

الباب الثاني سيرة الخوارج المتأرجحة

الفصل الاول : مروق الخوارج من الدين ؟

صرح ان خلكان ان عكرمة كان يرى رأي الخوارج وصاحب الملل الشهرستاني لما عدد الخوارج ابتداء بعكرمة مولى عبد الله بن عباس^(١) ، وعمران بن حطان الشاعر^(٢) .

قال ابن حجر في فتح الباري : (إنه يرى رأي الخوارج ، وكان عمران داعية إلى مذهبه ، وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله قاتل علي عليه السلام بتلك الابيات ، وقد وثقه العجلي)^(٣) . وقال السمعاني في الانساب : (إنه كان مفتي الخوارج) . وقال عبد الحق الدهلوي في رجال مشكاة المصابيح في ترجمته :

كان من الخوارج ومدح ابن ملجم لعنه الله وروى عن عمرو ، وأبي موسى ، وأبي ذر رضي الله عنه . وروى عن البخاري وأبو داود ، والنسائي ، وهو القائل في مدح ابن ملجم يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا إني لا ذكره يوماً وأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً .

ومنهم : نجدة الحروري الذي ينقل عنه البخاري في كتاب الجهاد . قال الجزري في جامع الاصول : (حروراء قرية في ظهر الكوفة كان أول اجتماع الخوارج فيها ، وكان رئيس الخوارج فيها نجدة الحروري) . ومنهم : جرير بن عثمان الحمصي

(١) ذكره الشهرستاني أول اسم تحت عنوان : (ولنختم المذاهب بذكر تمة رجال الخوارج) / ١

١٢٣ : حيث قال : من المتقدمين : عكرمة ...

(٢) أول اسم ذكره الشهرستاني عندما عدّ شعراء الخوارج انظر / ١ / ١٢٣ .

(٣) مقدّمة فتح الباري : ٥٩٧ .

(١) الغارات / ١ / ٣٠٠ ، نهج البلاغة الخطبة ٦٨ ، تاريخ الطبري ٥ / ١١٠ ، أنساب الأشراف / ٣

١٧٣ ، مروج الذهب / ٢ / ٤٢٠ ، الغارات / ١ / ٣٠١ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٤ ، نهج البلاغة

الحكمة ٣٢٥ ، موسوعة الإمام علي عليه السلام ، ري شهري ٦ / ٤٥ ، بحار الأنوار / ٣٣ / ٥٩٢

ح ٧٣٦ .

المعروف بالنصب، والعداوة، والسب لعلي أمير المؤمنين عليه السلام (١).

القائل لا أحب علياً، قتل آباي في صفين، وهو القائل: لنا إمامنا - يعني معاوية لعنة الله - ولكم إمامكم - يعني أمير المؤمنين عليه السلام. قال الذهبي في لسان الميزان (٢). (هو من رجال البخاري، وهو ثقة، وقالوا إنه ناصبي. ويزيد بن هارون، رأى الله تعالى في منامه وقال له: لا يكتب حديث جرير بن عثمان كيف يسب علياً).

ومنهم سمرة بن جندب قال في رجال المشكاة. (كان حروياً خارجياً).
ومنهم: المغيرة بن شعبة وحاله أعرف ما يكون، شريب، فاسق، معلن بالفسق، من أعداء أهل البيت عليه السلام (٣).
ومنهم: الوليد بن كثير المدني (٤).

(١) نهاية الدراية، حسن الصدر ٥٠١.

(٢) لسان الميزان لابن حجر وأما كتاب الذهبي فهو ميزان الاعتدال. لا يوجد في كلا المصدرين.

(٣) صحيح مسلم ١٢٣/٧، شواهد التنزيل، الحسكاني ٤١٤/٢، ١٨٧/١، تاريخ دمشق، ابن عساکر ٢/٨٦، روضة الواعظين، النيسابوري ٩٠، المسترشد، الطبري ٥٨٨، شرح الأخبار القاضي المغزي ١٠٤/١، الإرشاد، المفيد ١٧٥/١، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٢/٢٢٤، البحار ٣٧/١٨٨، العمدة، ابن بطريق ١٠٠، أسباب النزول، الواحدي ١٥٠ ط مصر، خصائص الوحي المبين، ابن بطريق ٨٨، بشارة المصطفى، محمد بن علي الطبري ٢٧٦، مسند أحمد ٤/٢٨١، تاريخ بغداد ٨/٢٩٠، ورواه الترمذي وابن ماجه والنسائي، الصواعق المحرقة ٤٣، سّر العالمين ٣٧/١، ذخائر العقبى ٨٢، الملل والنحل، الشهرستاني ٧٠، تفسير التعلبي ١/٢١٧، تفسير القمي، الآية، تفسير الفيض الكاشاني ٢/٥١، تفسير البرهان ١/٤٨٨، تفسير السيوطي ٢/٢٥٢، تفسير الألوسي ٦/٦١، مناقب أمير المؤمنين ٧، الكوفي ٢/٣٨٢، نزول القرآن، أبو نعيم الأصبهاني ٨٦، فرائد السمطين ١/١٥٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢١٣، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، الحبري ٤٤، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ٣٦، مجمع الهيتمي ٩/٢٠٧، كنز العمال ٦/٣٩٢.

(٤) تقريب التهذيب ٢/٣٣٥ - ٨٤. قال: (... رمي برأي الخوارج ...) وانظر مقدمة فتح الباري: ٦٢٧.

وإسحاق بن سويد العدوي (١) والحسين الواسطي (٢) وعبد الله بن سالم الأشعري (٣) وقيس بن أبي حازم (٤) وكل هؤلاء من النواصب والخوارج، كما نص عليه جماعة، منهم ابن حجر في التقریب وفتح الباري فراجع. ومنهم: أبو موسى الأشعري المعروف بالكذب. وقد روى مسلم في صحيحه (٥) في باب (الاستئذان ثلاثاً) بطرق عديدة أن عمر لم يقبل روايته وطلب منه البيّنة على إخباره.

قالت عائشة عن الخوارج: قال النبي ﷺ في الخوارج: هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة (٦).

وقد أمر النبي ﷺ بقتل ذي النديّة حرقوص بن زهير التيمي (٧).

وقال النبي ﷺ في ذي النديّة: يخرج من ضئضي هذا قوم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية يقتلهم الله على يدي أحب الخلق إليه من بعدي فقتله أمير المؤمنين علي عليه السلام (٨).

بداية تجمّع الخوارج

إنّ علياً لما بعث أبا موسى لإفّاد الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً،

(١) تقريب التهذيب ١/٥٨ - ٤٠٤. قال: (... تكلم فيه للنصب ...) وانظر مقدمة فتح الباري:

٥٥٠، موسوعة الإمام علي عليه السلام ري شهري.

(٢) تقريب التهذيب ١/١٨٤ - ٥٢٤. قال: (... رمي بالنصب ...) وانظر مقدمة فتح الباري

(حسين بن نعيم الواسطي): ٥٦١.

(٣) تقريب التهذيب ١/٤١٧ - ٣٢٢. قال: (... رمي بالنصب ...) وانظر مقدمة فتح الباري: ٥٨٠.

(٤) تقريب التهذيب ٢/١٢٧ - ١٣٢.

(٥) صحيح مسلم ب ٧ - طبعة دار الفكر ٢/٣٣٩ - ٢١٥٣، ٢١٥٤.

(٦) الصراط المستقيم كشف الغمّة ١/١٤٦، العالمي ٧٠.

(٧) سنن البخاري ٢/١٣٩.

(٨) البحار ١٦/٦، ٣١/١٦١.

فاجتمعوا في منزل عبدالله بن وهب الراسبي ، فحمد الله عبدالله بن وهب وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون بها والإيثار إليها عناء وتبار - آثر عندهم من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من وُضِرَ فإنه من يمن ويُضَرَّ في هذه الدنيا فائق ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل والخلود في جناته . فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلّة .

فقال له حرقوص بن زهير : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفتنكم عن طلب الحق ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

فقال حمزة بن سنان الأسدي : يا قوم ! إن الرأي ما رأيتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لا بد لكم من عباد وسناد وراية تحفون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، فأبى ، وعرضوها على حرقوص بن زهير ، فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشرح بن أوفى العسبي ، فأبى ، وعرضوها على عبدالله بن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا أخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدها قرعاً^(١) من الموت . فبايعوه لعشر خلون من شوال ، وكان يقال له : ذو التفات .

ثم اجتمعوا في منزل شرح بن أوفى العسبي ، فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة تجتمع فيها لإفناذ حكم الله ، فإنكم أهل الحق .

قال شرح : نخرج إلى المدائن فنزها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا .

فقال زيد بن حصين : إنكم إن خرجتم مجتمعين أتبعتم ، ولكن اخرجوا

(١) الفرق : الخوف (لسان العرب ١٠ / ٣٠٤) .

وحداناً مستخفين ، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تزلوا جسر النهران وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبدالله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثهم على اللحاق بهم ، وسير الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به .

فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم ؛ وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ، فخرج شرح بن أوفى العسبي وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) - (٢) .

بعد العودة من حرب صفين خرج الخوارج من جنده عليه السلام إلى حروراء ، فنزل بها منهم إثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم : إن أمير القتال شبت بن ربعي التميمي ، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوايشكري ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

فلما سمع علي عليه السلام ذلك وأصحابه قامت الشيعة ، فقالوا له : في أعناقنا بيعة ثانية ، نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت .

فقاتلت الخوارج : استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان^(٣) ؛ بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا ، وبايعتم أنتم علياً عليه السلام على أنكم أولياء من والى ، وأعداء من عادى .

فقال لهم زياد بن النضر : والله ، ما بسط علي عليه السلام يده فبايعناه قط إلا على كتاب الله ، وسنة نبيه ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له : نحن أولياء من

(١) سورة القصص ٢١ و ٢٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٧٤ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٨ ، الأخبار الطوال ٢٠٢ ، أنساب

الأشراف ٣ / ١٣٧ .

(٣) هما كفرسي رهان : يضرب لائتين يستبقان إلى غاية فيستويان (تاج العروس ٨ / ٣٩٤) .

واليت ، وأعداء من عاديت ، ونحن كذلك ، وهو على الحق والهدى ، ومن خالفه ضالّ مضلّ^(١).

وقد تفرّق أهل صفين حين حكم الحكمان ... فلما انصرف علي عليه السلام خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فأذنوه بالحرب ، وردّوا عليه أنّ حكم بني آدم في حكم الله عزّ وجلّ ، وقالوا : لا حكم إلّا لله سبحانه!^(٢).

قول النبي ﷺ في الخوارج

قال النبي ﷺ : لا يقوم بدين الله إلّا من حاطه من جميع جوانبه^(٣).
وقال النبي ﷺ : إيتاكم والتعمق في الدين فإنّ الله تعالى قد جعله سهلاً فخذوا منه ما تطيقون ، فإنّ الله يحبّ ما دام من عمل صالح وإن كان يسيراً^(٤).

وخالف الخوارج الإستقامة وعاثوا في الأرض الفساد بجهلهم وطيشهم .
وقال النبي ﷺ عن الخوارج : « كلّمنا قطع منهم قرن نشأ قرن ثم يخرج في بقيتهم الدجال »^(٥).

لذا هدى الله تعالى إلى العقل قائلاً : ما قسم الله تعالى للعباد شيئاً أفضل من العقل ، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل ، وإقامة العاقل أفضل من شحوص الجاهل^(٦).

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٣ ، تاريخ الطبري ٥ / ٦٣ و ٦٤ عن عمارة بن ربيعة .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٥٧ ، وراجع الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٠ .

(٣) كنز العمال ٢ / ٨٤ ، شرح الأخبار ٢ / ٣٨٩ .

(٤) كنز العمال ٣ / ٣٥ ، ٥٣٤٨ .

(٥) المستدرک ، الحاكم ٤ / ٥١١ ، مسند أحمد ٢ / ٢٠٩ ، مجمع الزوائد ٦ / ٣٣٠ ، مسند أبي

داود ٣٠٣ ، كنز العمال ١١ / ٣١٧ ، تاريخ دمشق ١ / ١٦١ .

(٦) الكافي ١ / ١٢ ، المحاسن ١ / ٣٠٨ .

مقتل ابن خباب وامرأته وهي حبلى

دخل الخوارج قرية ، فخرج عبدالله بن خباب ، ذعراً يجرّ رداءه ، فقالوا : لم تُرْعَ؟ قال : والله لقد رعتموني !

قالوا : أنت عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم . قالوا^(١) : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدّثه عن رسول الله ﷺ تحدّثناه ؟

قال : نعم ، سمعته يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، قال : فإن أدركت ذلك فكُن عبدالله المقتول - قال أيّوب : ولا أعلمه إلّا قال : ولا تكن عبدالله القاتل - .

قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك يحدّثه عن رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم .

قال : فقدموه على ضفّة النهر ، فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذقر^(٢) ، وبقروا أمّ ولده عمّاً في بطنها^(٣).

زهد الخوارج الخاوي

قال الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام : « إذا رأيتم الرجل قد حَسُن ستمته وهديه ، وتماوت في منطقته ، وتخاضع في حركاته ، فرويداً لا يغرّنكم : فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيّته ، ومهانتها ، وجبن قلبه : فنصّب

(١) في المصدر : « قال » ، والتصحيح من تاريخ الطبري .

(٢) ما ابذقرّ دمه : ما تفرّق ولا تمذّر (لسان العرب ٤ / ٥١) .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٧ / ٤٥٢ ح ٢١١٢١ ، تاريخ الطبري ٥ / ٨١ ، الطبقات الكبرى ٥ /

الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره؛ فإن تمكّن من حرام اقتحمه. وإذا وجدتموه يفتّ عن المال الحرام فريداً لا يفرّتمكم؛ فإنّ شهوات الخلق مختلفة؛ فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثّر، ويجعل نفسه على شوءاء قبيحة فيأتي منها محرّماً، فإذا وجدتموه يفتّ عن ذلك فريداً لا يفرّتمكم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجعله أكثر مما يصلحه بعقله، فإذا وجدتم عقله متيناً، فريداً لا يفرّتمكم حتى تنظروا: أعمّ هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرتاسات الباطلة وزهده فيها؟ فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أنّ لذّة الرتاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرتاسة الباطلة، حتى إذا قيل له: اتق الله، أخذته العرّة بالإثم، فحسبه جهنّم، وليس المهاد؛ فهو يخطّ خطب عشواء، يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد شقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كلّ الرجل نغمّ الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّاتها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّاتها إن اتّبع هواه يؤدّيه إلى عذاب لا انتقطاع له ولا زوال، فذلكم الرجل نغمّ الرجل، فيه فتمسّكوا وبسنّته فاقنّدوا وإلى ربّكم به فتوسّلوا؛ فإنّه لا تردّ له دعوة، ولا تخيب له طلبه»^(١).

فرهد الإنسان لا يدلّ على ماهيته وشخصيته بل للشخصية الحضارية

(١) الاحتجاج ٢ / ١٥٩ ح ١٩٢، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ٥٣ / ٢٧ كلاهما عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار ٢ / ٨٤ ح ١٠.

الإسلامية صفات راقية عديدة إذ قال النبي عليه السلام: الدين المعاملة والدين الأخلاق والخوارج مرقوا من الدين بقتلهم الأبرياء وعدم احترامهم للعقود والعهود، وبيعهم لوصي المصطفى من العقود، قال الإمام علي عليه السلام: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط أخروك كأنهم لم يسمعوا كلام الله بحيث يقول:

«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا قسداً
والتعاقبة للمتقين»^(١). بلى والله، لقد سمعوا ووعوها، ولكنهم خلبت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها»^(٢).

ولنا أن نلمس هذه الحقيقة بوضوح في تصوير شامل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث فيه عن أصناف الناس في عصره، قال عليه السلام: «ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، ووقلوب من خطوه، وشتم من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة واتخذ سنن الله ذريعة إلى المعصية»^(٣).

وقال مالك الأشتر للخوارج: «يا أصحاب الجباه السود! كنّا نظنّ صلاتكم زهادة في الدنيا، وأشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجلّ، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت، الأفيحاً بأشباه الثيب الجلّالة»^(٤).
^(٥) آية الخوارج رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدره ولما قابلهم علي بن أبي طالب عليه السلام أمر بذلك الرجل فأثمنه، فأقْب به حتى

١ / ١١٢ ح ١١٢، أسرار الخوارج ٢ / ١١٢ ح ١١٢، بحار الأنوار ٢ / ١١٢ ح ١١٢.

(١) سورة القصص ٨٣ / ١١٢، ريبنا الله، والشيطان، مسلم رجاؤه سنة ١٥١٧.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٣، الارشاد ١ / ٢٨٩، الاحتجاج ١ / ٤٥٧ ح ١٠٥، الطرائف ٤١٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٣٢، بحار الأنوار ٧٨ / ٥٤ ح ٥٤، بحار الأنوار ٢ / ١١٢ ح ١١٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ٥٠، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٨٧، وقعة طقسين ٤٩١، نهج البلاغة ١٦١.

نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعتته^(١).

ويروى أن رجلاً أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله ﷺ وهو يقسم غنائم خيبر - ولم تكن إلا لمن شهد الحديبية - فأقبل ذلك الأسود على رسول الله ﷺ، فقال: ما عدلت منذ اليوم!

فغضب رسول الله ﷺ حتى روي الغضب في وجهه، فقال عمر بن الخطاب: ألا أقتله يارسول الله؟

فقال: إني سيكون لهذا ولأصحابه نبأ.

قال أبو العباس: وفي حديث آخر: إن رسول الله ﷺ قال له: ويحك! فمن يعدل إذا لم أعدل؟

ثم قال لأبي بكر: اقتله، فمضى ثم رجع، فقال: يارسول الله، رأيته راکعاً.

ثم قال لعمر: اقتله، فمضى ثم رجع، فقال: يارسول الله، رأيته ساجداً.

ثم قال لعلي: اقتله، فمضى ثم رجع، فقال: يارسول الله، لم أره^(٢).

وكان حرقوص على عهد رسول الله ﷺ يغزو مع رسول الله ﷺ، فإذا رجع وحط عن راحلته، عمد إلى مسجد الرسول، فجعل يصلي فيه فيطيل الصلاة، حتى جعل بعض أصحاب النبي ﷺ يرون أن له فضلاً عليهم. فر يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في أصحابه. فقال له بعض أصحابه: يانبي الله، ذاك الرجل فأرسل إليه نبي الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: والذي نفسي بيده إن بين عينيه سفعة^(٣) من الشيطان. فلما وقف على المجلس قال له رسول الله ﷺ: أقلت في نفسك حين

(١) صحيح البخاري ٣ / ١٣٢١ ح ٣٤١٤، صحيح مسلم ٢ / ٧٤٤ ح ١٤٨، أسد الغابة ٢ / ٢١٤ ح ١٥٤١ كلاهما عن أبي سلمة والضحاك، مسند ابن حنبل ٢ / ٦٨٠ ح ٧٠٥٩، السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ١٣٩.

(٢) الكامل للميزد ٣ / ١١٠٨، دعائم الإسلام ١ / ٣٨٩ نحوه.

(٣) أي علامة (النهاية ٢ / ٣٧٥).

وقفت على المجلس: ليس في القوم خير مني؟

قال: نعم^(١)!

رسالة الإمام عليه السلام إلى الخوارج

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين، وعبد الله بن وهب، ومن معها من الناس.

أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله، واتبعوا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملوا بالسنة، ولم يتفذا للقرآن حكماً، فبرئ الله ورسوله منها والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا؛ فإننا سائرون إلى عدوتنا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه. والسلام».

وكتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

فلما قرأ كتابهم آيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم^(٢).

وبعث علي عليه السلام إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم، ولا تفسدوا في الأرض؛ فإنني غير هاتجكم ما لم تحدثوا حدثاً.

فساروا حتى أتوا النهروان، وأجمع علي عليه السلام على إتيان صفين، وبلغ معاوية فسار حتى أتى صفين.

وكتب علي عليه السلام إلى الخوارج - بالنهروان - : أما بعد، فقد جاءكم ما كنتم

(١) مسند أبي يعلى ٤ / ١٥٤ ح ٤١١٣، وراجع المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ١٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٧٧، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠١، الأخبار الطوال ٢٠٦ نحوه وراجع

البداية والنهاية ٧ / ٢٨٧.

وبلغ علياً عليه السلام أنّ الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه المحرورية فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجّهنا من وجّهنا ذلك إلى المحلّين. فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد فإنّه قد بلغني قولكم: لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجّهنا إلى المحلّين، وإنّ غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبّارين ملوكاً، ويتخذوا عباد الله حوّلًا.

فتنادى الناس من كلّ جانب: سير بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت^(١).

ثمّ قام علي عليه السلام فيهم [أهل الكوفة] خطيباً، فقال: أمّا بعد، فقد بلغني قولكم: لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا، فبدأنا بهم، ألا أنّ غير هذه الخارجة أهمّ على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا في الأرض جبّارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله حوّلًا، ودعوا ذكر الخوارج.

فنادى الناس من كلّ جانب: سير بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت، فنحن حزبك وأنصارك؛ نعادي من عاداك، ونشايع من أناب إليك وإلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوّك كائنًا من كان، فإنّك لن تؤثّر من قلّة ولا ضعف؛ فإنّ قلوب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك، والجدّ في جهاد عدوّك، فأبشر يا أمير المؤمنين بالنصر، واشخص إلى أيّ الفريقين أحببت، فإنّا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله، تخاف من الله في خذلانك والتخلّف عنك شديد الوبال.

فبايعوه على التسليم والرضا، وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٨٠، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٢.

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٦٦.

الفصل الثاني: معركة النهروان

الطريق إلى النهروان

وفي تلك الأيّام كان الخوارج يجذّون في العبادة في جانب وقتل المؤمنين في جانب آخر.

فإراقة الدماء أصبح ديدنهم!! وانتهاك حرمة الإمام عليه السلام والمؤمنين أضحي هدفهم!

ذكر أنّ الخوارج قتلوا عبدالله بن خنّاب وامرأته -: وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية، فبلغ ذلك علياً عليه السلام ومن معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خنّاب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتبه.

فخرج حتّى انتهى إلى النهر ليسألمهم، فخرج القوم إليه فقتلوه. وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا مخلّفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلمه بمثل ذلك - وكان الناس يرون أنّ الأشعث يرى رأيهم؛ لأنّه كان يقول يوم صفّين أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله، فلما أمر علياً بالمسير إليهم علم الناس أنّه لم يكن يرى رأيهم - فأجمع على ذلك، فنادى بالرحيل^(١).

كان الأشعث طالباً للدنيا حريصاً عليها لا تهّمه الآخرة ولا تحمكه القوانين غير متورّع ولا متقي. ويريد القضاء على دولة الإمام علي عليه السلام الحازمة في الدين

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٨٢، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٣، أنساب الأشراف ٣ / ١٤٢، الإمامة والسياسة ١ / ١٦٨ كلاهما نحوه وراجع الأخبار الطوال ٢٠٧، والبدية والنهاية ٧ / ٢٨٨.

ليصل إلى أهدافه الدنيوية . فكان يساعد الفتنة الخارجية والهجمة الأموية ليصل إلى غاياته !

زمن معركة النهروان

لم يمض على حرب صفين سنة واحدة واندلعت حرب النهروان بين الخوارج والإمام علي عليه السلام واختلف في تاريخ حدوث هذه المعركة .

١ - سنة ٣٧هـ^(١) .

٢ - سنة ٣٨هـ^(٢) .

وأشار غيرهم إلى وقوعها سنة ٣٩هـ^(٣) .

الرأي الثاني أقرب إلى الصواب ؛ والمؤرخون يؤيدون هذا .

فالظاهر أنها حدثت في شهر صفر^(٤) سنة ٣٨هـ ويرى البعض في شهر شعبان سنة ٣٨هـ^(٥) وأن شهر صفر سنة ٣٨هـ هو الصحيح ؛ لأن التحكيم كان في شهر رمضان ، ثم جهّز الإمام جيشاً نحو الشام ، فواجه الإمام التمرد الخارجي وانتصر عليه^(٦) .

(١) التنبيه والأشراق ٢٥٦ ، أسد الغابة ١ / ٧١٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٩١ / ٥ ، مروج الذهب ٢ / ٣٦١ ، تاريخ الذهبي ٣ / ٥٨٨ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٠٧ .

(٣) تاريخ يعقوبي ١٩٣ / ٢ .

(٤) أنساب الأشراف ١٣٦ / ٣ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٥٨٨ .

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٥٨٨ .

(٦) تاريخ الطبري ٨٦ / ٥ وفيه « فأهدوا في الساعة » ، الكامل في التاريخ ٤٠٦ / ٢ وفيه « فأهلكوا في ساعة » . الأخبار الطوال ٢١٠ وفيه « وقتلت الخوارج كلها ربيعة واحدة » ، الفتوح ٤ / ٢٧٤ وفيه « لم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم » ؛ تاريخ يعقوبي ١٩٣ / ٢ وفيه « التحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس ؛ فأقامت مقدار ساعتين من النهار » ، كشف الغمّة ١ / ٢٦٧ وفيه « لم يكن إلا ساعة حتى قتلوا » .

أرض المعركة

وقعت الحرب في منطقة النهروان وهي أرض سهلية بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي^(١) على بعد أربعة فراسخ من بغداد^(٢) . ففي المدائن يقع تجمع الخوارج .

والمدائن عاصمة الفرس القديمة وفيها قبر العبد الصالح سلمان الفارسي .

تعداد القوّات المشاركة

كان جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من ثمانية وستين ألفاً^(٣) . وأما جيش الخوارج فكان أربعة آلاف^(٤) ، أو ألفين وثمانمائة^(٥) .

جمع [الإمام علي عليه السلام] إليه رؤوس أهل الكوفة ، ورؤوس الأسباع ، ورؤوس القبائل ، ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل الكوفة ! أنتم إخواني ، وأنصاري ، وأعواني على الحق ، وصحابتي على جهاد عدوّي المخلّين بكم أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني بمناسبة جليّة ، خليّة من الغش ، إنكم مخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كلّ قوم ما في عشيرته من المقاتلة ، وأبناء المقاتلة

(١) معجم البلدان ٥ / ٣٢٥ .

(٢) مجمع البحرين ٣ / ١٦٨٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٨٠ / ٥ ، مروج الذهب ٢ / ٤١٥ .

(٤) مروج الذهب ٢ / ٤١٥ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٤٦ ، الفتوح ٤ / ٢٧٠ وفيه « فاستأمن إليه [الإمام علي عليه السلام] منهم ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف » ؛ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٩٣ وفيه « فرجع يومئذ من الخوارج ألفان وأقام أربعة آلاف » .

(٥) الكامل للمبرّد ٣ / ١١٠٥ ، تاريخ الطبري ٨٦ / ٥ وفيه بعد رفع راية الأمان بأمر الإمام علي عليه السلام « كان الذين بقوا مع عبدالله بن وهب ألفين وثمانمائة » .

الذين أدركوا القتال ، وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا .
فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ، ووداً
ونصيحة ، أنا أوّل الناس جاء بما سألت وبما طلبت .

وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحواً من ذلك . وقام عدي بن حاتم
وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشرف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك .

ثم إنّ الرووس كتبوا من فيهم ، ثم رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم
ومواليهم أن يخرجوا معهم ، وألا يتخلّف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه أربعين ألف
مقاتل ، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ،
وقالوا : يا أمير المؤمنين أما من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم
وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوّة والجكّد ، وأمّرتناهم بالشخص معنا ،
ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا . وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً
من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف ، وكان جميع أهل الكوفة
خمسة وستين ألفاً وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه
ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل^(١) .

وكان الخوارج أربعة آلاف ، فبقى مع عبدالله بن وهب منهم الفين وثمانمائة^(٢) .

زعامة جيش الإمام عليه السلام

القائد : الإمام علي عليه السلام .

على الميمنة : حجر بن عدي الكندي .

على الميسرة : معقل بن قيس الرياحي .

على الخيالة : أبو أيوب الأنصاري .

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٧٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٨٦ ، الإمامة والسياسة ١ / ١٦٩ نحوه وراجع أنساب الأشراف ٣ / ١٤٦ .

على الرجال : أبو قتادة الأنصاري .
على أهل المدينة : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري^(١) .

زعامة جيش الخوارج

القائد عبدالله بن وهب .

قائد الميمنة : زيد بن حصين .

قائد الميسرة : شرح بن أوفى العبسي .

قائد الخيالة : حمزة بن سنان الأسدي .

قائد الرجال : حرقوص بن زهير السعدي^(٢) .

خطبة الإمام عليه السلام للخوارج

قال خارجي : لا حكم إلّا لله . فسكت علي عليه السلام ، ثم قام آخر وآخر ، فلما
أكثروا عليه قال : كلمة حقّ يراد بها باطل ، لكم عندنا ثلاث خصال : لا تمنعكم
مساجد الله أن تصلّوا فيها ، ولا تمنعكم النّبي ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا
نبؤكم بحرب حتّى تبدؤونا به ، وأشهد لقد أخبرني النبي الصادق عن الروح الأمين
عن ربّ العالمين أنّه لا يخرج علينا منكم فرقة - قلت أو كثرت إلى يوم القيامة - إلّا
جعل الله حتفها على أيدينا ، وأنّ أفضل الجهاد جهادكم ، وأفضل الشهداء من
قتلتموه ، وأفضل المجاهدين من قتلتم ؛ فاعلموا ما أنتم عاملون ، فيوم القيامة يخسر

(١) مروج الذهب ٢ / ٤١٥ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٤٦ ، الفتوح ٤ / ٢٧٠ ؛ تاريخ يعقوبي ٢ /

١٩٣ ، تاريخ الطبري ٥ / ٨٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٥ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٨٩ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٤١٥ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٤٦ ، الفتوح ٤ / ٢٧٠ ؛ تاريخ يعقوبي ٢ /

١٩٣ ، تاريخ الطبري ٥ / ٨٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٥ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٨٩ .

والمارقين (١).

فحارب الناكثين لبيعته في معركة الجمل ، وحارب القاسطين في معركة صفين ثم حارب المارقين في معركة النهروان .

ولولا أمير المؤمنين علي عليه السلام لم يعرف الناس الحكم الشرعي مع هؤلاء ومع أسراهم وأموالهم ونساءهم وظهور هذه الفرق الثلاث في فترة قريبة يبين الفتنة العظيمة الحاكمة على العالم الإسلامي في حينها ، المتولدة من رحم السقيفة .

فالسقيفة عطلت الأخلاق السياسية وأوقفت الكثير من الأحكام الشرعية وأطلقت يد الحاكم في مخالفة الدين باسم الاجتهاد (٢).

وبعد أن فعلوا هذا بعبدالله بن خباب ذهبوا إلى نصراني يملك بستاناً بالقرب منهم ، وطلبوا منه أن يبيعهم ثمرات نخلة .

فقال : هي لكم بدون ثمن .

فقالوا : ما كنا نأخذ إلا بالثمن .

فقال : واعجباه ! أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ، ولا تقبلون جني نخلة إلا

بثمن !

ومن غرائبهم أنهم أنكروا على رجل منهم قتل خنزيراً ، وقالوا له : إنك

تسعى في الأرض الفساد ، هذا بعد أن ذبحوا صاحب رسول الله ، ومثلوا بزوجته

(١) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ، ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

(٢) سنن البيهقي ٦ / ٣٠١ ، السقيفة ، الجوهري ١٠٤ ، الشافعي ٤ / ٦٩ ، البحار ٢٩ / ٢١٧ ، الأمالي ، المفيد ٤ / ٨ ، بلاغات النساء ، ابن طيفور ١٢ ، شرح النهج ١٦ / ٢١٢ ، مروج الذهب ٢٠ / ٣١١ .

الحامل ، وقتلوا ثلاث نسوة مسلمات (١).

وصول الإمام علي عليه السلام إلى النهروان

سار علي عليه السلام حتى نزل على فرسخين من النهروان ، ثم دعا بغلامه فقال له : اركب إلى هؤلاء القوم ، وقل لهم عني : ما الذي حملكم على الخروج علي ، ألم أقصد في حكمكم ؟ ألم أعدل في قسمكم ؟ ألم أقسم فيكم فيثكم ؟ ألم أرحم صغيركم ؟ ألم أوقر كبيركم ؟ ألم تعلموا أنني لم أتخذكم خولاً ، ولم أجعل مالكم نكلاً ؟ وانظر ماذا يرذون عليك ، وإن شتموك فاحتمل ، وإنيك أن تردّ على أحد منهم شيئاً .

فأقبل غلام علي عليه السلام حتى أشرف على القوم بالنهروان ، فقال لهم ما أمره به . فقالت له الخوارج : ارجع إلى صاحبك ؛ فلسنا نجيبه إلى شيء يريد أبدأ ، وإنا نخاف أن يردنا بكلامه الحسن كما ردّ إخواننا بحروراء عبدالله بن الكواء وأصحابه ، والله تعالى يقول : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصُمُونَ﴾ (٢) ، ومولاك علي منهم ، فارجع إليه وخبره بأن اجتماعنا هاهنا لجهاده ومحاربتة ، لا لغير ذلك (٣).

علم غيب الإمام عليه السلام

وتحرّك الخوارج صوب جسر النهر وكانوا غربه ، فقال لعلي عليه السلام أصحابه :

إنهم قد عبروا النهر !

فقال : لن يعبروا .

(١) أسد الغابة ٢ / ٢٨٩ ، تاريخ بغداد ١ / ١٨٠ ، سير أعلام النبلاء ٢ / ١٦٧ ، رسائل المرتضى ٢ / ١١٠ ، الكافي ، الحلبي ٢٥١ ، الخلاف ، الطوسي ١ / ٤٢٥ ، ميزان الاعتدال ١ / ٤٦٧ ، شرائع الإسلام ، الحلبي ١ / ١٢ ، تاريخ دمشق ٤٣ / ١٢١ ، تهذيب الكمال ، المزني ١٣ / ٢٢٩ .

(٢) سورة الزخرف ٥٨ .

(٣) الفتوح ٤ / ٢٦١ .

فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه نقطة من النهر، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم، فعاد فقال: إثمهم قد عبروا النهر. فقال علي عليه السلام: والله ما عبروه، وإن مصارعهم لدون الجسر، والله لا يقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة.

وتقدم علي عليه السلام إليهم فرأهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكوا في قوله، وارتاب به بعضهم، فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا، وأخبروا علياً عليه السلام بحالهم.

فقال عليه السلام: والله، ما كذبت ولا كُذِّبت^(١).

وقبل معركة النهروان قسم الإمام عليه السلام الخوارج إلى قسمين ممن شنارك في صفين وممن لم يشارك فيها ثم بدأ بالكلام معهم: ألم تقولوا عند زحفهم المصاحب حيلة وغيلة ومكرًا وخديعة إخواننا يواهل دعوتنا استقلونا واستراحوا إلى الخشب والله الزاني القبول منهم والتفليس عنهم^(٢)؟^(٣) رأيتهم في ٤٠٠، ٤١٥، ٤١٥، ٤١٥، ٤١٥ قلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان موطنه عدوهم ولو لم يجرحهم، وآخروه ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقكم، وعضوا على الجهاد بنا جاذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق؛ إن أجيب أضل، وإن ترك ذلك...

ما صوّفنا كأنيت هذه القفلة، وقد رأيتكم أعطيتموها. والله لئن أيعبها ما وجبت علي فريضتها، ولا حملني الله ذنبها. والله، إن جئتها إني للمخوق الذي يتبع، وإن الكتاب لمعي، ما فارقته منذ صحبتته، فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء، والإخوان والترايات، فما زداد على كل مصيبة وشدة إلا...^(٤)

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٥، نهج البلاغة الخطبة ٥٩، كشف الغمّة ١ / ٢٦٧، المتناقب لابن شهر آشوب ٢ / ٢٦٣، اعلام الوری ١ / ٣٣٨، الكامل للميرزا ٣ / ١١٧٥، وراجع معروض الذهب ٢ / ٤١٦، كنز العمال ١١ / ٣٢٢ ح ٣١٦٢٥. (٢) وراجع الإرشاد ١ / ٢٧٠.

إيماناً، ومضيئاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مَضَض^(١) المجرح. ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزبغ والاعوجاج، والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعنتنا، وتنادى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبتنا فيها، وأمسكنا عما سواها^(٢).

فإن أبيت إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت، فليم تضلّلون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي، وتأخذونهم بخطي، وتكفرونهم بذنوبي؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنبي من لم يذنب! وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله، وقتل القاتل، وورث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليها من النية، ونكح المسلمات؛ فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سبهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله.

ثم أتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تبعه؛ وسبيلك في صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً النبط الأوسط، فالزموه، والزمو السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه، فإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه. فإن جرنا القرآن إليه أتبعناهم، وإن جرهم إلينا أتبعونا. فلم

(١) مَضَضِي الجرح: ألمني وأوجعني (لسان العرب ٧ / ٢٣٣).

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٢٢، الاحتجاج ١ / ٤٣٩ ح ١٠٠، بحار الأنوار ٣٣ / ٣٦٨ ح ٦٠٠، وراجع الإرشاد ١ / ٢٧٠.

آتٍ - لا أبأ لكم - مجراً^(١)، ولا ختلتكم^(٢) عن أمركم، ولا لبسته عليكم، إنما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين، أخذنا عليها ألا يتعدتا القرآن، فتاها عنه، وتركها الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواها فضيا عليه. وقد سبق استتناؤنا عليها - في الحكومة بالعدل، والصمد للحقّ - سوء رأيها، وجور حكمها^(٣).

فنظر الإمام علي عليه السلام إلى الأمور من كل وجه لينع على الخوارج انحرافهم فعاد العقلاء منهم وبقي الحمقى الذين ليس عندهم قرار ولا استقرار.

وفي أرض معركة النهروان لما شاهد الإمام جمعهم قال: الله أكبر صدق الله ورسول الله فتصافت القوم، ووقف عليهم بنفسه، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقيل له: قد رمونا.

فقال: كفوا.

فكرروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكفّ، حتى أتى برجل قتيل

متشخّط بدمه.

فقال علي: الله أكبر، الآن حلّ قتالهم، احمّلوا على القوم^(٤).

استنطقهم علي عليه السلام بقتل عبدالله بن خبّاب، فأقرّوا به.

فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة.

فتكتبوا كتائب، وأقرّت كلّ كتيبة بمنثل ما أقرّت به الأخرى من قتل ابن

خبّاب، وقالوا: ولنقتلّك كما قتلناه!

فقال علي عليه السلام: والله، لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم

به لقتلتهم. ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدّوا عليهم، فأنا أوّل من يشدّ

(١) البجر: الداهية والأمر العظيم (النهاية ١/ ٩٧).

(٢) ختله: خدعه عن غفلة (لسان العرب ١١/ ١٩٩).

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٢٧.

(٤) مروج الذهب ٢/ ٤١٦.

عليهم^(١).

حديث قيس بن سعد مع الخوارج

إنّ قيس بن سعد بن عبادة قال لهم [أهل النهروان]: عباد الله! أخرجوا إلينا طلبتنا منكم، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم، فإنّكم ركبتم عظيماً من الأمر؛ تشهدون علينا بالشرك، والشرك ظلم عظيم، وتسفكون دماء المسلمين وتعدّونهم مشركين.

فقال عبدالله بن شجرة السلمي: إنّ الحقّ قد أضأء لنا فلسنا نتابعكم، أو تأتونا بمنثل عمر.

كان الخوارج تلاميذ عمر بن الخطّاب وأبي موسى الأشعري فهو الذي وضعهم في قلوبهم يقرأون القرآن ولا يعرفون تفسيره.

ويفتون بجهلهم وغيّهم، ولما ظهر فساد الأشعري لهم تركوه وبقوا على نهج

عمر^(٢).

والعجيب في أمرهم أنّهم حاربوا معاوية وهو على مسلّك عمر وترييته.

فبقي الخوارج والأمويون يتحاربون وقدوتهم عمر بن الخطّاب.

فقال سعد: ما تعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ وقال: نشدّكم

بالله في أنفسكم أن تهلكوها: فإنّي لأرى الفتنة قد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عبدالله! إنّنا وإياكم على

الحال الأولى التي كتنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقا تلوننا؟

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨٢، بحار الأنوار ٣٣/ ٣٥٥ ح ٥٨٧، مستدرك الوسائل ١٨/ ٢١٣ ح ٢٢٥٣٤، نفس الرحمن في فضائل سلمان ٦٢ وفيهما إلى «لقتلتهم».

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤١٥، أنساب الأشراف ٣/ ١٤٦، الفتوح ٤/ ٢٧٠؛ تاريخ البعقوبي ٢/ ١٩٣ تاريخ الطبري ٥/ ٨٥، الكامل في التاريخ ٢/ ٤٠٥، البداية والنهاية ٧/ ٢٨٩.

فقالوا إنا لو بايعناكم اليوم حكتم غداً.
قال: فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل^(١).

هداية بعض الخوارج

قال أبو هارون العبيدي: كنت أرى رأي الخوارج لا رأي لي غيره حتى
جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعتة يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع
وتركوا واحدة، فقال له رجل: يا أبا سعيد فما هذه الأربع التي عملوا بها؟

قال: الصلاة والزكاة والحج والصوم.

قال: فما الواحدة التي تركوها؟

قال: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وإتيا مقترضة معهن؟

قال: نعم^(٢).

وذكر موفق بن أحمد الخوارزمي في كتاب المناقب قول النبي: لو أن الرياض
أقلام، والبحر مداد، والجن حساب والانس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي
طالب عليه السلام^(٣).

وقال المعتزلي: لو فخر أمير المؤمنين بنفسه وتعدد فضائله وساعده فصحاء
العرب كافة، لما أحصوا معشار ما نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٨٣ / ٥، الكامل في التاريخ ٤٠٤ / ٢، الأخبار الطوال ٢٠٧ نحوه.

(٢) إثبات الهداة ٢ / ٢١٥ محمد بن الحسن الحر العاملي.

(٣) إثبات الهداة ٢ / ٢٤٥، مناقب أمير المؤمنين محمد بن سليمان الكوفي ١ / ٥٥٧،
الاحتصاص، المفيد ٩٤، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٣ / ٥٠٨، بتاييع المودة،
القندوزي ١ / ٣٦٤، المناقب، الخوارزمي ٣٢.

(٤) شرح النهج ٢ / ٤٤٩، عمدة الطالب، ابن عتبة ٣٧٩، الصواعق المحرقة ٧٢.

خوض الإمام عليه السلام القتال

وخرج من الخوارج رجل بعد أن قال علي رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا
إلينا قاتل عبدالله بن خباب.

فقالوا: كلنا قتله وشرك في دمه! ثم حمل منهم رجل على صف علي عليه السلام - وقد
قال علي: لا تبتدؤوهم بقتال - فقتل من أصحاب علي عليه السلام ثلاثة وهو يقول:

أقتلهم ولا أرى علياً ولو بدا أوجرتة الخطيئة

فخرج إليه علي عليه السلام فقتله، فلما خالطه السيف قال: حبذا الروحة إلى الجنة!

فقال عبدالله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار؟

فقال رجل من بني سعد: إنما حضرت اغتراراً بهذا، وأراه قد شك!! فانخزل

بجماعة من أصحابه، ومال إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري^(١).

ثم خرج منهم آخر، فحمل على الناس، ففتك فيهم، وجعل يكرّ عليهم،
وهو يقول:

أضربهم ولو أرى أبا حسن ألبسته بصارمي ثوب عَن

فخرج إليه علي عليه السلام وهو يقول:

يا أيها المبتغي أبا حسن إليك فانظر أينا يلقى العَين

وحمل عليه علي عليه السلام وشكّه بالرمح، وترك الرمح فيه، فانصرف علي عليه السلام وهو

يقول: لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره^(٢).

عبدالله بن وهب

وهو الذي قاد الخوارج إلى حرب النهروان بعد انسحاب البعض منهم؛ فقد

(١) الكامل للمبرّد ٣ / ١١٠٥، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٧٢، وراجع شرح الأخبار ٢ / ٥٥

ج ٤١٦.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٤١٦، وراجع بحار الأنوار ٣٤ / ٤٥٠.

كان ابن الكوّاء إمام الصلاة ، وشبث بن ربعي أمير الحرب^(١) . ثم انفصلا عن الخوارج فيما بعد^(٢) ، فبقي زيد بن حصين ، وحر قوص بن زهير ، وحمزة بن سنان ، وشریح بن أوفى ، فرشحووا عبدالله بن وهب^(٣) . وهو الذي قادهم في الحرب ودعاهم للتعصب وعدم التحدث إلى الإمام^(٤) .

وقال عبدالله بن وهب الخارجي وهو يقاتلهم : ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها فإنّي أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء .

ولمّا فشلوا في جواب عبدالله بن عباس قالوا : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فإنّ هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم : «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»^(٥) .

وقالوا له : أمسك عنّا غرّب لسانك يا بن عباس فإنّه طلق ذلق غواص على موضع الحجّة .»

وقُتِلَ عبدالله بن وهب في معركة النهروان بعدما طلب من الإمام مبارزته فقتله أمير المؤمنين عليه السلام^(٦) .

اذ كان قائد جيش الخوارج عبدالله بن وهب الراسبي فوقف بين الجمعين ، ثم نادى بأعلى صوته : يا بن أبي طالب ! حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك !؟

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٦٣ ، مروج الذهب ٢ / ٤٠٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٣ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٢٧ وفيه « عليهم ابن الكوّاء » ولم يذكر شبث بن ربعي .

(٢) أنساب الأشراف ٣ / ١٣٦ ، الفتوح ٤ / ٢٥٤ .

(٣) أنساب الأشراف ٣ / ١٣٤ و ١٣٧ ، تاريخ الطبري ٥ / ٧٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩١ ، كشف الغمّة ١ / ٢٦٥ .

(٤) السنن الكبرى ٨ / ٢٩٥ ، العمدة ٤٦٤ / ٩٧٢ ، صحيح مسلم ٢ / ٧٤٨ ، سنن أبي داود ٤ / ٢٤٥ .

(٥) سورة الزخرف .

(٦) الفتوح ٤ / ٢٧٤ ، كشف الغمّة ١ / ٢٦٧ ، كشف اليقين ٢٠٥ ، المناقب ، ابن شهر آشوب ٣ / ١٩٠ .

والله ، لا نبرح هذه العرصة أبداً أو تأبى على نفسك ، فابرز إليّ حتى أبرز إليك وذر الناس جانباً .

فتبسّم علي عليه السلام ثم قال : قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه ! أما إنّه ليعلم أنّي حليف السيف وجديل الرمح ، ولكنّه أيّس من الحياة ، أو لعلّه يطمع طمعاً كاذباً .

قال : وجعل عبدالله يجول بين الصّفين وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن وهب الراسبي التاري أضرب في القوم لأخذ الثار

حتىّ تزول دولة الأشرار ويرجع الحقّ إلى الأخيار

ثمّ حمل فضربه علي عليه السلام ضربة الحقّه بأصحابه^(١) .

حرقوص بن زهير (ذو النديّة)

ثمّ حمل ذو النديّة ليقتل علياً عليه السلام ، فسبّقه علي عليه السلام وضربه ففلق البيضة ورأسه ، فحمله فرسه فألقاه في آخر المعركة في جُزفٍ دالية على شطّ النهروان^(٢) .

وبعث الإمام علي عليه السلام الأسود بن يزيد المرادي في ألبي فارس ، حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمائة فارس من خيلهم ... وأقبلت الخوارج ، فلما أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس فكان يزيد بن قيس على إصبهان فقالوا : يا يزيد بن قيس لا حكم إلّا لله وإن كرهت إصبهان ، فناداهم عباس بن شريك وقبيصة بن ضبيعة العبسيان يا أعداء الله ، أليس فيكم شريح بن أوفى المسرف على نفسه ؟ هل أنتم إلّا أشباهه !؟

قالوا : وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنّة وفينا توبة ؟

(١) الفتوح ٤ / ٢٧٤ ، كشف اليقين ٢٠٥ / ٢٠٦ ، كشف الغمّة ١ / ٢٦٧ كلاهما نحوه وراجع

المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ١٩٠ .

(٢) كشف اليقين ٢٠٥ / ٢٠٥ ، كشف الغمّة ١ / ٢٦٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ١٩٠ .

الفتوح ٤ / ٢٧٣ كلاهما نحوه .

ثمّ تتادوا: الرواح الرواح إلى الجنة! فشدّوا على الناس والخيل أمام الرجال، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم، وافتترقت الخيل فرقتين: فرقة نحو الميمنة، وأخرى نحو الميسرة، وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل، وعظفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم.

ثمّ إنّ حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك، نادى أصحابه أن انزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يتفازوا حتّى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو علي عليه السلام فأهيدوا في الساعة^(١) كأنما قيل لهم: موتوا فماتوا^(٢).

ثقافة ذي النديّة الاعرابية

كان الخوارج جهلاء بالإسلام وغير عقلاء وغير متحضّرين.

قال ذو النديّة المنافق للنبي عليه السلام: والله ما تعدل.

فقال النبي عليه السلام مغضباً: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل؟

وهمّ الصحابة أن يقتلوه فنعهم النبي عليه السلام وحكى لهم صورة عن مستقبله وأنبأهم بأنّه ورفاقه بعيدون عن الحقّ قائلاً: «سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتّى يخرجوا منه».

وقال عليه السلام: إنّهُ يخرج هذا في أمثاله وفي أشباهه وفي ضربائه يأتبهم الشيطان من قبل دينهم يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية لا يتعلّقون من الإسلام بشيء. وبعد حديث الإمام عليه السلام مع الخوارج عاد الكثير منهم إلى صفوف جيشه

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٨٦، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٦، البداية والنهاية ٧ / ٢٨٩ كلاهما نحوه من «ثمّ تتادوا».

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٦٩.

أسباب مروق الخوارج من الدين؟

منهم شبث بن ربعي وعبدالله بن الكوّاء وحر قوص هو الذي قال لرسول الله عليه السلام في غزوة حنين: اعدل يا عمّ^(١)، وكان قد أمره عمر بن الخطّاب بقمع التمرّد الذي قام به الهرمزان في خوزستان، فنجح في مهمّته^(٢).

وشارك في الثورة على عثمان. وهم أصحاب الجمل بقتله، لكنّه استطاع الفرار من أيديهم^(٣). وان عنصر التناق والمروق من الدين بارزاً في مظهره فهو بذى اللسان وسئ السريرة وقبيح الطالع، يشكّك في الأنبياء والمرسلين ويعتقد بأفضليّته عليهم.

وهو من أصحاب النهروان^(٤)، لكنّه كان على رجالتهم في تلك المعركة^(٥). ثمّ قتله الإمام عليه السلام فيها^(٦).

العثور على جسد ذي النديّة

وكان رسول الله عليه السلام قد أخبر بهلاكه في النهروان. وبعد معركة النهروان قال الإمام عليه السلام: اطلبوه، فلم يجده، فقال عليه السلام مؤكداً: ارجعوا، فوالله ما كذبت ولا كذبت مرّتين أو ثلاثاً ثمّ وجدوه في خربة^(٧).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٧٦، أسد الغابة ١ / ٧١٤ ح ١١٢٧ و ٢ / ٢١٤ ح ١٥٤١ وفيه «اسمه الآخر: ذو الخوّبصرة، وذو النديّة»، الإصابة ٢ / ٤٤ ١٦٦٦ وفيه «عدّ هذين اسمين لشخصين». ولمزيد الاطلاع على مختلف الأقوال في هذه المسألة راجع فتح الباري ١٢ / ٢٩٢، صحيح البخاري ٣ / ١٣٢١ ح ٣٤١٤، صحيح مسلم ٢ / ٧٤٤ ح ١٤٨.

(٢) أسد الغابة ١ / ٧١٤ ح ١١٢٧، الإصابة ٢ / ٤٤ ح ١٦٦٦، تاريخ الطبري ٤ / ٧٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ٧٢.

(٥) تاريخ الطبري ٥ / ٨٥، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٥، الأخبار الطوال ٢١٠، البداية والنهاية ٧ / ٢٨٩.

(٦) كشف الغمّة ١ / ٢٦٦، الفتح ٤ / ٢٧٣.

(٧) صحيح مسلم ٢ / ٧٤٩ ح ١٥٧، تاريخ بغداد ١٠ / ٣٠٥ ح ٥٤٥٣، البداية والنهاية ٧ / ٢٨٩.

قال أبو كثير مولى الأنصار: كنت مع سيدي علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قتل أهل النهروان، فكان الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم.

فقال علي عليه السلام: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فهم رجلاً أسود مُخَدَجٌ (١) اليد، إحدى يديه كئدي المرأة، لها حلمة كحلمة ندي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتسوه، فإني أراه فيهم.

فالتسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه.

فكبر علي عليه السلام فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، وإني لتتقصد قوساً له عربية، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مُخَدَجَتِهِ ويقول: صدق الله ورسوله، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون (٢).

الكل انتظر مقتل ذي التديّة طبقاً لحديث النبي ﷺ فكان العثور على جسد ذي التديّة مقتولاً بيد رجال الإمام علي عليه السلام آية أخرى من آيات النبوة العديدة حدثت بعد ثلاثين سنة على شهادة رسول الله ﷺ.

الفصل الثالث: مرض العصيان

عصيان الخوارج المستمر

واستمروا الخوارج في العصيان والنوضى وإثارة النزعات الطائفية وقتل المسافرين.

٢٩٢

(١) مُخَدَجٌ اليد: ناقص اليد (لسان العرب ٢ / ٢٤٨).

(٢) مسند ابن حنبل ١ / ١٩١ ح ٦٧٢، البداية والنهاية ٧ / ٢٩٤، وراجع تاريخ بغداد ١ / ١٩٩ ح ٣٨.

فخرج أشرس بن عوف الشيباني في الدسكرة بمائتين وسار إلى الأتبار. فوجه إليه الإمام عليه السلام الأبرش بن حسان في ثلاثمائة فقتله في ربيع الأول سنة ٥٣٨هـ.

وخرج بعده هلال بن علفه من تيم الرباب فأتى ماسبدان (مدينة في محافظة لرستان الإيرانية) فوجه إليه الإمام علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وذلك في شهر جمادى الأولى.

ثم خرج الأشهب بن بشر في مائة وثمانين رجلاً فجاء أرض المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلّى عليهم ودفن من قدر عليه منهم.

فوجه إليهم علي عليه السلام جارية بن قدامة السعدي، وقيل: حجر بن عدي، فأقبل إليهم الأشهب، فاقتتلا بجزجرايا (١) من أرض جوخا (٢)، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين.

وكان الخوارج يجوبون البلاد لإغفال المسلمين تحت راية لا حكم إلا لله.

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي - من تيم الله بن ثعلبة - في رجب بالبنديجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان (٣) - وهي من المدائن على فرسخين - فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين.

ثم خرج أبو مريم السعدي التيمي، فأتى شهرزور (٤)، وأكثر من معه من

(١) جزجرايا: بلدة قريبة من دجلة بين بغداد وواسط، من توابع النهروان السفلى (راجع تقويم البلدان ٣٠٥).

(٢) جوخا: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، وهو بين خانتقين وخوزستان (معجم البلدان ٢ / ١٧٩).

(٣) كذا في المصدر، والصحيح كما في أنساب الأشراف ومعجم البلدان «دُرْزِنْجَان» وهي قرية كبيرة تحت بغداد على ثلاثة فراسخ منها على دجلة بالجانب الغربي، وهي من مدن الأكاسرة، وإحدى المدائن السبع. وأصل اسمها درزبندان (راجع معجم البلدان ٢ / ٤٥٠).

(٤) شَهْرُزُور: بلدة بين الموصل وهمدان بناها زور بن الضحّاك، وتعرف اليوم باسم زوردر جنوب شرقي السليمانية قرب الحدود العراقية الإيرانية (راجع تقويم البلدان ٤١٣).

الموالي، وقيل: لم يكن معه من العرب غير ستّة نفر هو أحدهم، واجتمع معه مائتا رجل، وقيل: أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة. فأرسل إليه علي عليه السلام يدعو إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب.

فبعث إليه علي عليه السلام شرح بن هاني في سبعمائة، فحمل الخوارج على شرح وأصحابه فانكشفوا، وبقي شرح في مائتين، فأنحاز إلى قرية، فترجع إليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة.

فخرج علي عليه السلام بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة علي عليه السلام وحذرهم القتل فلم يجيبوا، ولحقهم علي عليه السلام أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه، فقتلهم أصحاب علي عليه السلام ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم.

وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى، فأمر علي عليه السلام بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤوا، وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين؛ وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج، ولجراتهم قاربوا الكوفة^(١).

ورغم أعماهم العنينة وقتلهم الناس على العصبية كان الإمام عليه السلام يعتني بجرحاهم ويهديهم إلى الحق بأخلاق عالية^(٢).

عصيان الخريت الخارجي

وكان الخريت شهد وأصحابه مع علي عليه السلام صفين، وجاء إلى علي عليه السلام في ثلاثين راكباً من أصحابه، يمشي بينهم حتى قام بين يدي علي عليه السلام فقال له: والله لا

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٢٣، أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٩ - ٢٤٨.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤١٥، أنساب الأشراف ٣/ ١٤٦، الفتوح ٤/ ٢٧٠؛ تاريخ العقبوي ٢/ ١٩٣، تاريخ الطبري ٥/ ٨٥، الكامل في التاريخ ٢/ ٤٠٥، البداية والنهاية ٧/ ٢٨٩.

أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإني غداً لمفارق لك. قال: وذلك بعد وقعة صفين، وبعد تحكيم الحكيم.

فقال له علي عليه السلام: ثكلتك أمك! إذن تنقض عهدك، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك! أخبرني لم تفعل ذلك؟

قال: لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جدّ الجدّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك رادّ، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين. فقال له علي عليه السلام: ويحك! هلمّ إليّ أدارسك الكتاب، وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن منك، وتستبصر ما أنت به الآن عنه عم وبه جاهل.

فقال الخريت: فإني عائد عليك غداً، فقال له علي عليه السلام: اغد ولا يستهويك الشيطان، ولا يتقحمّن بك رأي السوء، ولا يستخفّتك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله لئن استرشدتني واستصحتني وقبلت مني لأهديك سبيل الرشاد، فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله.

قال عبدالله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً، وكان لي من بني عمّه صديق، فأردت أن ألقى ابن عمّه في ذلك، فأعلمه بما كان من قوله لأمر المؤمنين، وما ردّ عليه، وأمر ابن عمّه ذلك أن يشتدّ بلسانه عليه، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أنّ ذلك خير له في عاجل الدنيا وأجل الآخرة.

قال: فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقامت عند باب داره وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي عليه السلام، فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال لأمر المؤمنين وما ردّ عليه، ثمّ قال لهم: يا هؤلاء! إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل، وقد فارقت علي أن أراجع إليه من غدٍ ولا أراني إلا مفارقه، فقال أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه، فإنّ أذاك بأمر تعرفه قبله منه، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه! فقال لهم: نغمّ ما رأيتم.

الموالي، وقيل: لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم، واجتمع معه مائتا رجل، وقيل: أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة. فأرسل إليه علي عليه السلام يدعو إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب.

فبعث إليه علي عليه السلام شرح بن هاني في سبعمائة، فحمل الخوارج على شرح وأصحابه فانكشفوا، وبقي شرح في مائتين، فانحاز إلى قرية، فترجع إليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة.

فخرج علي عليه السلام بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة علي عليه السلام وحذرهم القتل فلم يجيبوا، ولحقهم علي عليه السلام أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه، فقتلهم أصحاب علي عليه السلام ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم.

وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى، فأمر علي عليه السلام بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى يروا، وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين؛ وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج، ولجراتهم قاربوا الكوفة^(١).

ورغم أعمالهم العنيفة وقتلهم الناس على العصية كان الإمام عليه السلام يعتني بجرحهم ويهديمهم إلى الحق بأخلاق عالية^(٢).

عصيان الخريت الخارجي

وكان الخريت شهد وأصحابه مع علي عليه السلام صفين، وجاء إلى علي عليه السلام في ثلاثين راكباً من أصحابه، يمشي بينهم حتى قام بين يدي علي عليه السلام فقال له: والله لا

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٤٢٣، أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٩ - ٢٤٨.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤١٥، أنساب الأشراف ٣/ ١٤٦، الفتوح ٤/ ٢٧٠؛ تاريخ يعقوبي ٢/ ١٩٣، تاريخ الطبري ٥/ ٨٥، الكامل في التاريخ ٢/ ٤٠٥، البداية والنهاية ٧/ ٢٨٩.

أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإني غداً لمفارق لك. قال: وذلك بعد وقعة صفين، وبعد تحكيم الحكيم.

فقال له علي عليه السلام: نكلتك أمك! إذن تنقض عهدك، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك! أخبرني لم تفعل ذلك؟

قال: لأنك حكمت في الكتاب، وضعت عن الحق إذ جد الجِدِّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك رادّ، وعليهم ناظم، ولكم جميعاً مباين. فقال له علي عليه السلام: ويحك! هلّم إلي أدارسك الكتاب، وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكسر، وتستبصر ما أنت به الآن عنه عم وبه جاهل.

فقال الخريت: فإني عائد عليك غداً، فقال له علي عليه السلام: اغد ولا يستهويك الشيطان، ولا يتقحمن بك رأي السوء، ولا يستخفك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهديك سبيل الرشاد، فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله.

قال عبدالله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً، وكان لي من بني عمه صديق، فأردت أن ألقى ابن عمه في ذلك، فأعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين، وما ردّ عليه، وأمر ابن عمه ذلك أن يشتدّ بلسانه عليه، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أنّ ذلك خير له في عاجل الدنيا وأجل الآخرة.

قال: فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقامت عند باب داره وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي عليه السلام، فوالله ما رجعت ولا ندم على ما قال لأمير المؤمنين وما ردّ عليه، ثم قال لهم: يا هؤلاء! إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل، وقد فارقت علي أن أراجع إليه من غدٍ ولا أراي إلا مفارقه، فقال أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه، فإن أتاك بأمر تعرفه قبله منه، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه! فقال لهم: نعم ما رأيتم.

قال: ثم استأذنت عليهم فأذنوا لي، فأقبلت على ابن عمّته وهو مدرك بن الريان الناجي، وكان من كبراء العرب، فقلت له: إن لك عليّ حقاً لإخانتك وودّك، ولحقّ المسلم على المسلم: إن ابن عمّك كان منه ما قد ذكر لك، فأخّل به واردد عليه رأيه، وعظّم عليه ما أتى، واعلم أنّي خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته.

ولما طلبوا من الإمام عليه السلام أن يسجنه قال عليه السلام: لو فعلنا هذا لكلّ من تهمه من الناس ملأنا السجون منهم، ولا أراي يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتّى يظهر لنا الخلاف^(١).

وخرج الحرّيت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه، فجردوا السيوف بالكوفة، فقتلوا جماعة، وطلبهم الناس، فخرج الحرّيت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يميّرون ببلد إلا انتهوا بيت ماله حتّى صاروا إلى سيف عمان.

وكان علي عليه السلام قد وجّه الحلّو بن عوف الأزدي عاملاً على عمان، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وارتدّوا عن الإسلام، فوجّه علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي إلى البلد [عمان]، فقتل الحرّيت بن راشد وأصحابه، وسبى بني ناجية^(٢).

السياسة الشرعية في جرحي وغنائم الخوارج

بعد انتصار الإمام علي عليه السلام على الخوارج في حرب النهروان طلب الإمام عليه السلام من به رمق منهم فوجدوهم أربعائة رجل.

فأمر بهم علي عليه السلام فدفعوا إلى عشائرتهم قائلاً: احملوهم معكم فداووهم، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة وخذوا ما في عسكرهم من شيء.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١١٣- ١١٦، الغارات ١/ ٣٣٢، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٤١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩٤، مروج الذهب ٢/ ٤١٨ نحوه وفيه «الحارث بن راشد الناجي» بدل «الحرّيت بن راشد الناجي».

وأما السلاح والدواب وما شهدوا عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين، وأما المتاع والعييد والإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله^(١).

شمر بن ذي الجوشن

وهو تلميذ المغيرة والاشعري والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولاة عمر وعتمان، أي هو تلميذ عمر وعتمان.

وهو قاسي وظالم يقتل على ابسط الامور.

كان شمر بن ذي الجوشن في جيش أمير المؤمنين يوم صفين، ونقل صاحب كتاب «سفينة البحار» عن كتاب «المثالب» هشام بن السائب ان أم شمر المحصنة مرّت براعي معزى فواقعها، فحملت بشمر.

ثم قال صاحب السفينة: لذا قال له الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء: «يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً»^(٢).

شيث بن ربيعي

وهو نسخة من الاشعث ورفيقه في الحياة واحد تلاميذ الأشعري.

وكان شيث علماً للباطل قال صاحب السفينة عن ابن حجر في كتاب «التقريب» ان شيث بن ربيعي كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة، ثم اظهر الإسلام، واعان على عثمان، ثم انضم إلى جيش أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين، وارتد عليه مع من خرج من الخوارج، ثم بايع الحسين عليه السلام ودعاه الى الكوفة ثم انضم إلى جيش ابن زياد يقاتل الحسين عليه السلام في كربلاء وهكذا أفعال متضاربة غير مستقرة

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٨٨، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٤٠٧، مروج الذهب ٢/ ٤١٨، الإمامة والسياسة ١/ ١٦٩.

(٢) الإرشاد ٢/ ٩٦، البحار ٥/ ٤٥ ط لبنان، تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٢.

قال: ثم استأذنت عليهم فأذنوا لي، فأقبلت على ابن عمّته وهو مدرك بن الرّبان الناجي، وكان من كبراء العرب، فقلت له: إن لك عليّ حقاً لإخائك وودّك، ولحقّ المسلم على المسلم؛ إن ابن عمّك كان منه ما قد ذكر لك، فأخّل به واردد عليه رأيه، وعظّم عليه ما أتى، واعلم أنّي خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته.

ولما طلبوا من الإمام عليه السلام أن يسجنه قال عليه السلام: لو فعلنا هذا لكلّ من نتهمه من الناس ملأنا السجون منهم، ولا أراني يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتّى يظهروا لنا الخلاف^(١).

وخرج الحرّيت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه، فجزّوا السيوف بالكوفة، فقتلوا جماعة، وطلبهم الناس، فخرج الحرّيت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يميّزون ببلد إلّا انتهوا بيت ماله حتّى صاروا إلى سيف عمان.

وكان علي عليه السلام قد وجّه الحلون بن عوف الأزدي عاملاً على عمان، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وارتدّوا عن الإسلام، فوجّه علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي إلى البلد [عمان]، فقتل الحرّيت بن راشد وأصحابه، وسبى بني ناجية^(٢).

السياسة الشرعية في جرحي وغنائم الخوارج

بعد انتصار الإمام علي عليه السلام على الخوارج في حرب النهروان طلب الإمام عليه السلام من به رمق منهم فوجدوهم أربعائة رجل.

فأمر بهم علي عليه السلام فدفعوا إلى عشائرتهم قائلاً: املوهم معكم فداووهم، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة وخذوا ما في عسكرهم من شيء.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١١٣-١١٦، الغارات ١/ ٣٣٢، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٤١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩٤، مروج الذهب ٢/ ٤١٨ نحوه وفيه «الحارث بن راشد الناجي» بدل «الحرّيت بن راشد الناجي».

وأما السلاح والدواب وما شهدوا عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين، وأما المتاع والعييد والإماء فإنّه حين قدم رده على أهله^(١).

شمر بن ذي الجوشن

وهو تلميذ المغيرة والاشعري والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولاة عمر وعثمان، أي هو تلميذ عمر وعثمان.

وهو قاسي وظالم يقتل على ابسط الامور.

كان شمر بن ذي الجوشن في جيش أمير المؤمنين يوم صفين، ونقل صاحب كتاب «سفينة البحار» عن كتاب «المطالب» لهشام بن السائب ان أم شمر المحصنة مرّت براعي معزى فواقعها، فحملت بشمر.

ثم قال صاحب السفينة: لذا قال له الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء: «يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً»^(٢).

شيث بن ربعي

وهو نسخة من الاشعث ورفيقه في الحياة واحد تلاميذ الأشعري.

وكان شيث علماً للباطل قال صاحب السفينة عن ابن حجر في كتاب «التقريب» ان شيث بن ربعي كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة، ثم اظهر الإسلام، واعان على عثمان، ثم انضم إلى جيش أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين، وارتد عليه مع من خرج من الخوارج، ثم بايع الحسين عليه السلام ودعاه الى الكوفة ثم انضم إلى جيش ابن زياد يقاتل الحسين عليه السلام في كربلاء وهكذا أفعال متضاربة غير مستقرة

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٨٨، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٤٠٧، مروج الذهب ٢/ ٤١٨، الإمامة والسياسة ١/ ١٦٩.

(٢) الإرشاد ٢/ ٩٦، البحار ٥/ ٤٥ ط لبنان، تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٢.

على قرار.

قول علي عليه السلام في الخوارج

قال الإمام علي عليه السلام: إني فقات عين الفتنة، ولم يكن ليجتري عليها أحد

غيري.

ولما قالوا للإمام عليه السلام هلك القوم بأجمعهم قال: «كلاً والله إني نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلاً نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصواً سلابين»^(١).وقال الإمام عن الجهلة من أمثال الخوارج: «لا ترى الجاهل إلا مفراطاً أو مفراطاً»^(٢).وقال الإمام عليه السلام فيهم: ثم أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تيمه، وسهلك في صنقان، محب مفراط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفراط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً النط الأوسط فالزموه»^(٣). ووصفهم الإمام عليه السلام: سفهاء الأحلام^(٤).وحينما سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً من الحرورية الخوارج يتهجّد ويقراً قال: نوم علي يقين خير من صلاة علي شك»^(٥).وقال الإمام عليه السلام فيهم: قطع ظهري إثنان عالم متهتك وجاهل متنسك^(٦).

(١) نهج البلاغة ١ / ١٠٨، البحار ٣٣ / ٤٣٣، شرح النهج ١٤ / ٥.

(٢) تهذيب الأحكام ٢ / ٣٦٨، الكافي ٢ / ٤٠٥، من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٥٧.

(٣) البحار ٣٣ / ٣٧٣، نهج البلاغة، خطبة ١٢٧.

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ٨٥.

(٥) نهج البلاغة الحكمة ٩٧، عيون الحكم والمواعظ ٤٩٧، غرر الحكم ٩٩٥٨.

(٦) منية المرید ١٨١، غرر الحكم ٩٦٦٥، تنبيه الخواطر ١ / ٨٢.

الخوارج في نظر الشرع

سئل الإمام عليه السلام عن أهل النهروان^(١) أمشركون؟

قال: من الشرك فوّوا، فقيل: يا أمير المؤمنين فنافقون؟

قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، فقيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا، فنصرنا الله عليهم^(٢).

وقالوا للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، هؤلاء الذين نقاتلهم، أكفار هم؟

فقال علي: من الكفر هربوا، وفيه وقعوا.

قال: أفنافقون؟

فقال علي: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قال: فما هم يا أمير المؤمنين حتى أقاتلهم على بصيرة ويقين؟

فقال علي عليه السلام: هم قوم مرقوا من دين الإسلام، كما مرق السهم من الرمية؛ يقرؤون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه^(٣).

قال الإمام عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي.

فقام ابن الكواء الخارجي فقال: من

«الَّذِينَ تَدُلُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ»^(٤)؟

(١) نهروان: هي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدّها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدّة بلاد متوسطة، وكان بها وقعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج مشهورة (معجم البلدان ٥ / ٣٢٤).

(٢) الجعفریات ٢٣٤، مسند زيد ٤١٠ وفيه «أهل الجمل وصقّين وأهل النهروان» بدل «أهل النهروان»، السنن الكبرى ٨ / ٣٠٢ ح ١٦٧٢٢ عن شقيق بن سلمة، المصنّف لابن أبي شيبة ٨ / ٧٤٣ ح ٦٢ عن طارق بن شهاب، تفسير القرطبي ١٦ / ٣٢٣ عن الحارث الأعور وفيه «أهل البغي من أهل الجمل وصقّين» بدل «أهل النهروان»، البداية والنهاية ٧ / ٢٩٠ عن علقمة بن عامر والأربعة الأخيرة من دون إسناد إلى المعصوم وكلّها نحوه.

(٣) الفتوح ٤ / ٢٧٢.

(٤) سورة إبراهيم ٢٨.

قال : منافقوا قريش .

قال : فن «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»^(١)؟

قال عليه السلام : منهم أهل حرّوراء^(٢) - (٣).

قرأوا بحضرة عليه السلام : «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»^(٤) فقال علي عليه السلام : أهل حرّوراء منهم^(٥).

الأشعري مرتبي القراء الخوارج

القراء السطحيون المعرفة ضغطوا على الإمام عليه السلام لوقف الحرب تبعاً لمقولتهم لا حكم إلا لله ، وضرورة احترام القرآن المرفوع فوق رماح جند الشام ، وألحوا على الإمام عليه السلام بوجوب تعيين مرتبهم أبي موسى الأشعري حكماً من قبل أهل العراق .

فربّي القراء أبو موسى الأشعري في البصرة والكوفة ومؤسس مذهبهم عمر بن الخطاب الذي منع عنهم التفسير وصرهم بمنهجه .

ولمّا خان أبو موسى الأشعري في قضية التحكيم لم يفتن الخوارج إلى بطلان

(١) سورة الكهف ١٠٤ .

(٢) حرّوراء : قيل : هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : موضع على ميلين منها ؛ نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب عليه السلام ، فنسبوا إليها (معجم البلدان ٢ / ٢٤٥) .

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٢ / ٣٨٣ ح ٣٣٤٢ ، السنّة لابن أحمد بن حنبل ٢٧٨ / ١٤٤٣ نحوه ، المتناقب لابن المغازلي ٥٨ / ٨٤ وفيه «ويك هم أهل حرّورا» ، العمدة ٤٦١ / ٩٦٧ كلّها نحوه ، وراجع تفسير الطبري ٩ / الجزء ١٦ / ٣٤ .

(٤) سورة الكهف ١٠٣ و ١٠٤ .

(٥) الكامل للمبرّد ٣ / ١١٠٧ ، المعيار والموازنة ٢٩٩ ، تفسير الطبري ٩ / الجزء ١٦ / ٣٤ عن أبي الطفيل نحوه ؛ بحار الأنوار ٣٣ / ٣٥٢ .

مذهبهم بل ألحوا في طغيانهم فقالوا للإمام عليه السلام : نحن كفرنا بفعلنا هذا وإنّا تائبون منه ، وأنت كفرت أيضاً فعليك أن تعترف بكفرك وتتوب مثلنا ، وتتكت ما عاهدت عليه معاوية ، وتعود إلى مقاتلته .

فهم في شكّ وجهل رهيبين وهذا واضح في هذه الحادثة : «لما هلك أحدهم في النهروان قال : حبّذا الروحة إلى الجنّة .

فقال قائدهم عبدالله بن وهب : ما أدري إلى الجنّة أم النار ؟

فقال رجل من بني أسد كان يرى هذا المشهد : إنّما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شكّ ، فانعزل بجاعة من أصحابه ومال إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري .
لذا ساءهم الإمام الصادق عليه السلام بالشكّ^(١) .

وكان قد كثر عدد القراء في زمن عمر بن الخطاب في الشام والكوفة والبصرة والمدينة ويسمّون بالقراء أو أصحاب البرانس^(٢) .

هل كان الأشعري مؤسساً لفرقة الخوارج ؟

قصة صبيغ تبين منع عمر ورجال الحزب القرشي تفسير القرآن وتقتل الساعي لتفسير القرآن .

فصبيغ قتلته الدولة معنوياً وعدّته عذاباً لم يفعله النبي ﷺ مع طلقاء مكّة ومرتكبي الزنا .

فكانت نظرية رجال السقيفة منع تفسير القرآن المستسببة في ظهور طائفة القراء الجهلة الذين يقرأون القرآن ولا يفهموه .

فتمكّن عمر من تأسيس فرقة القراء المحافظة للقرآن والجاهلة بما فيه .

(١) تهذيب الأحكام ٦ / ١٤٥ .

(٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ٢ / ٣٥٤ ، شرح النهج ٨ / ١٢٣ ، تاريخ الطبري ٣ / ٩٩ ، جوامع السيرة النبوية ، ابن حزم ٢٠٣ ، البحار ٦٨ / ٢٨٩ .

وكان عمر يعلم بظهور هذه الطائفة مستقبلاً كأمر حتمي لهذا الجهل المستشري في صفوفها أولاً.

وثانياً أحاديث النبي ﷺ المنذرة من ظهور طائفة المارقين عن الدين من وسط طبقة القراء الذين لا يفهمون تفسير القرآن .

وعن الحسن لما قدم أبو موسى الأشعري البصرة كتب إليه عمر يقرأ الناس القرآن؟

فكتب إليه بعدة ناس قرأوا القرآن فحمد الله عمر . ثم كتب إليه في العام القابل بعدة هي أكثر من العدة الأولى . ثم كتب إليه في العام الثالث . فكتب إليه عمر يحمد الله على ذلك ، وقال : إن بني إسرائيل إنما هلكت حين كثرت قراؤهم^(١) .

لقد أدرك عمر (وهو أحد دهاة العرب) بأن كثرة القراء يؤدي إلى إختلاف الأمة وهلاكها ! وفعلاً حدثت فتنة الخوارج !!

ابن الكواء الخارجي

أحد الخوارج العنادة الذين باعوا أنفسهم للشيطان فباعوا دينهم بسعر بخس . والملاحظ في سيرة ابن الكواء الخارجي يلاحظ منهجاً إبليسياً في التعامل مع الأحداث وطرح الأسئلة لا يراد منها الهداية بل يراد بها امتحان الطرف المقابل .

فقال للإمام عليه السلام : «لَيْسَ أَشْرَكَتَ لَيْخِطَنَّ عَمَلُكَ»^(٢) .

فيجيبه الإمام الممتحن بقوله تعالى :

«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ»^(٣) .

وقد جرت بين الإمام عليه السلام وابن الكواء عدة مناظرات لم يكن غرض ابن

(١) كنز العمال ١٠ / ٢٦٨ / حديث ٢٩٤٠٣ .

(٢) سورة الزمر ٦٥ .

(٣) سورة الروم ٦٠ .

أسباب مروق الخوارج من الدين ؟

الكواء الوقوف على الواقع والتعرف على الحق ، وإنما غرضه امتحان الإمام وإزعاجه ، ومن بين تلك المناظرات ما يلي :

ابن الكواء : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار؟

وعن أعمى بالليل وأعمى بالنهار .

وعن أعمى بالليل بصير بالنهار .

وعن أعمى بالنهار بصير بالليل؟

الإمام : « سل عما يعينك ولا تسأل عما لا يعينك . ويليك !

أما بصير بالليل وبصير بالنهار : فهو رجل آمن بالرسول والأوصياء الذين مضوا وبالكتب والتبيين وآمن بالله ونبيه محمد ﷺ وأقر لي بالولاية ، فأبصر في ليله ونهاره .

وأما بصير بالليل أعمى بالنهار : فرجل آمن بالأنبياء والكتب ، وجحد

النبي ﷺ وأنكر حقاً فأبصر بالليل وعمي بالنهار .

وأما أعمى بالليل أعمى بالنهار : فرجل جحد الأنبياء والأوصياء والكتب

التي مضت ، وأدرك النبي ﷺ فلم يؤمن به ، ولم يقر بولايته ، فجحد الله عز وجل

ونبيه فعمي بالليل وعمي بالنهار .

وأما أعمى بالليل وبصير بالنهار ، فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا

والأوصياء والكتب ، وأدرك محمداً ﷺ فأمن بالله وبرسوله محمد ﷺ ، وآمن

بإمامتي ، وقبل ولايتي ، فعمي بالليل وأبصر بالنهار .

ويملك يابن الكواء ! نحن بنو أبي طالب ، بنا فتح الله الإسلام ، وبنا يختمه»^(١) .

ولم يكن يبغى ابن الكواء في هذه المناظرة الوقوف على الواقع والانتهاك من

غير علوم الإمام ، وإنما كان يبغى التبكيت بالإمام وامتحانه .

(١) الاحتجاج ١ / ٣٢٩ .

كان إمام المتقين^(١) على المنبر يخاطب الناس ويوعظهم، ويرشدهم إلى طريق الحق، فانبرى إليه ابن الكوّاء فقال له:

أخبرني عن ذي القرنين أنبيأ كان أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كانا أم من فضة؟

فأجابه الإمام: «لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضة، ولكنه كان عبداً أحبّ الله فأحبه الله، ونصح الله فنصح الله له، وإنما سمي «ذا القرنين» لأنه دعا قومه إلى الله عزّ وجلّ فضربوه على قرنيه فغاب عنهم حيناً ثم عاد إليهم، فضرب على قرنيه الآخر، وفيكم مثله»^(٢).

يعني نفسه الشريفة، فقد ضربه عمرو بن عبد ودّ على قرنيه الأوّل، وضربه الزعيم الفاجر ابن ملجم ضربة أخرى على هامته ففلقها، وكانت بها شهادته.

روى الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند الإمام عليه السلام فجاء ابن الكوّاء، فقال للإمام: من البيوت في قول الله عزّ وجلّ: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا»^(٣)؟

فقال الإمام عليه السلام: «نحن البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها، ونحن باب الله وبيوته التي يؤتى منها، فمن تابعتنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها».

فقال ابن الكوّاء: «وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَّاً بِسِيَمَاهُمْ»^(٤)؟

فأجابه الإمام: «نحن أصحاب الأعراف نعرف أنصارنا بسياهم، ونحن

(١) المستدرک، الحاكم ٣/١٣٧، كنز العمال ٣/١٥٧، مجمع الزوائد، الهيثمي ٩/١٢١، حلية الأولياء ١/٦٣-٦٤، تاريخ بغداد ١١/١١٢، الإصابة، ابن حجر ٤/١٧٠-١٧١.

(٢) المصدر السابق ١/٣٤١.

(٣) سورة البقرة ١٨٩.

(٤) سورة الأعراف ٤٦.

الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار، ولا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، وذلك بأن الله عزّ وجلّ لو شاء عرف للناس نفسه حتى يعرفوه وحده، ويأتوه من بابه، ولكنه جعلنا أبوابه وصراطه وبابه الذي يؤتى منه، فقال - فيمن عدل عن ولايتنا وفضل علينا غيرنا فإتهم

﴿عَنْ الصِّرَاطِ لَنَا كَيْبُونَ﴾^(١)»^(٢).

كان الإمام عليه السلام على المنبر يخاطب الناس، فانبرى إليه ابن الكوّاء فقال له:

يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذرواً؟

قال عليه السلام: «الرياح».

ما الحاملات وقرأ؟

قال عليه السلام: «السحاب».

ما الجاريات يسراً؟

قال عليه السلام: «السنن».

ما المقسمات أمراً؟

قال عليه السلام: «الملائكة».

وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

قال عليه السلام: «تكلتلك أئمتك يا بن الكوّاء! كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، ولا

ينقض بعضه بعضاً سل عمّا بدا لك».

سمعته يقول: «بِرِّبِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»^(٣).

ويقول: «وَرَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»^(٤).

(١) سورة المؤمنون ٧٤.

(٢) الاحتجاج ١/٣٣٧-٣٣٨.

(٣) سورة المعارج ٤٠.

(٤) سورة الرحمن ١٧.

وقال في آية أخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(١).

«يا بن الكوّاء! هذا المشرق وهذا المغرب». وأوماً إلى جهة المشرق

والمغرب.

«وأما قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ فإنّ مشرق الشتاء على حدة

ومشرق الصيف على حدة، أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها؟

وأما قوله: ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾، فإنّ لها - أي الشمس - ثلاثمائة

وستين برجاً، تطلع كل يوم من برج وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلّا من قابل في

ذلك اليوم».

ابن الكوّاء: كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟

قال عليه السلام: «تكلتك أمك يا بن الكوّاء! سل متعلماً ولا تسأل متعتتاً، من

موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل - مخلصاً -: لا إله إلّا الله».

ما ثواب من قال: لا إله إلّا الله؟

«من قال: لا إله إلّا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من

الرقق الأبيض، فإن قال ثانية: لا إله إلّا الله مخلصاً خرقت أبواب السموات

وصفوف الملائكة حتّى تقول الملائكة اخشعوا لعظمة الله، فإذا قال ثالثة: لا إله إلّا

الله - مخلصاً - تنتهي دون العرش، فيقول الجليل: لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه، ثمّ تلا

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَصْعَدُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).

ابن الكوّاء: أخبرني عن قوس قزح؟

قال عليه السلام: «لا تنقل: قوس قزح، فإنّ قزحاً اسم شيطان، ولكن قل: قوس

الله إذا بدا يبدو الخصب والريف».

ابن الكوّاء: أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ؟

قال عليه السلام: «عن أي أصحاب رسول الله تسألني؟».

قال ابن الكوّاء: أخبرني عن أبي ذرّ الغفاري؟

قال عليه السلام: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت

الغبراء، ذاهجة أصدق من أبي ذرّ».

أخبرني عن سلمان الفارسي؟

«بخ يخ سلمان منّا أهل البيت، ومن لكم بمنزل لقمان الحكيم؟ عَلِمَ عِلْمَ الْأَوَّلِ

وَالْآخِرِ».

أخبرني عن حذيفة بن اليماني؟

«ذاك امرؤ علم أسماء المنافقين، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً».

أخبرني عن عمار بن ياسر؟

«ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النار أن تمسّ شيئاً منها».

أخبرني عن نفسك؟

«كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتدثت».

أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(١)؟

«كفرة أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحقّ فابتدعوا في

أديانهم، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا».

ثمّ نزل الإمام عن المنبر، وضرب بيده على منكب ابن الكوّاء، وقال له: «

يا بن الكوّاء! ما أهل النهروان منك ببعيد!».

فقال ابن الكوّاء: ما أريد غيرك، ولا أسأل سواك.

ولم تمض الأيام حتّى كان ابن الكوّاء في مقدّمة المحاربين للإمام يوم النهروان،

فقيل له: بالأمس تسأل أمير المؤمنين وأنت اليوم تقاتله؟

(١) سورة المزمل ٩.

(٢) سورة فاطر ١٠.

وانبرى إليه رجل فطمعه برمحه فهلك عدو الله^(١).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه :

« سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله عزوجل ، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ونهار إلا وقد أقرنيتها رسول الله ﷺ وعلمني تأويلها » .

فقام إليه ابن الكواء فقال له : فما كان ينزل عليه وأنت غائب ؟

قال عليه السلام : « كان رسول الله ينزل عليه من القرآن وأنا غائب عنه حتى أقدم عليه ، فإذا قدمت عليه فيقرأني ، ويقول لي : يا علي ، أنزل الله عليّ بعدك كذا وكذا ، وتأويله كذا ، فيعلمني تنزيله وتأويله »^(٢).

الدلائل والعبير

ابتدع عمر صلاة التراويح جماعة وحرّمها الإمام علي عليه السلام رعاية لمدرسة القانون ، وضحّ الناس في الكوفة وبكوا على صلاة التراويح ، فقال علي عليه السلام : دعوهم وما يريدون^(٣).

وقد ضحّ الناس عند اغلاق رسول الله ﷺ أبوابهم وأبقى باب علي عليه السلام^(٤).

فتعاقفة صلاة التراويح أوجدها عمر في ليالي شهر رمضان وتعود عليها الناس إلى حدّ إصرارهم عليها رغم معرفتهم كونها بأوامر عمرية غير نبوية .

وهؤلاء هم القراء الذين أصرّوا على قول لا حكم إلا لله ، الذي لا يعرفون مغزاه .

وسمّح الإمام هؤلاء بإقامة تلك الصلاة البدعة ولم يقتلهم ولم يسجنهم بل

(١) الاحتجاج ١ / ٣٨٦ - ٣٨٨ . وفي رواية أنه ترك الخوارج وعاد إلى الكوفة وهو الصحيح .

(٢) الاحتجاج ١ / ٣٨٦ - ٣٨٨ .

(٣) السرائر ، ابن إدريس ٣ / ٦٣٨ ، الحدائق الناضرة ١١ / ٨٥ .

(٤) علل الشرائع ١ / ٢٠٢ .

أعطاهم حرية كاملة في عباداتهم وأقوالهم .

وهذه الحرية لم تكن موجودة في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ، إذ ملا رجال السقيفة فم الحباب بن المنذر (أحد زعماء الانصار) تراباً في السقيفة لمخالفته بيعة أبي بكر .

وعلم الحزب القرشي الناس على ثقافتهم في عدم احترام محمد ﷺ وعلي عليه السلام ومخالفة القانون الإسلامي .

لذا قال علي عليه السلام : اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم فإتهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً هولي^(١).

والخوارج حركة خارجة عن الإطار الإسلامي وبعيدة عن جوهره وروحه . وهي مخالفة لتعاليم النبي محمد ﷺ وعن وصاياه الخالدة .

فالنبي محمد ﷺ أوصى بتفسير القرآن الكريم وألح على هذا الباب ليصل المسلمون إلى غاياتهم في فهم كتاب الله تعالى والحصول على المعارف الإلهية .

لكنّ أبا بكر منع هذا الباب طبقاً لنظرية وضعها رجال السقيفة .

وعندما جاء عمر بن الخطاب إلى السلطة اشتدّ في هذا الباب فعاقب عقوبات صارمة كلّ من سأل عن تفسير القرآن وعلى رأس هؤلاء صبيغ .

فعقوبة الدولة لصبيغ كانت من الشدة بمكان بحيث تمّ الموت على الحياة .

وحذّر عبدالله بن عباس عمر من هذا التوجّه الداعي إلى إسقاء القراءة

القرآنية ومنع التفسير مستشهداً بما حلّ باليهود في هذا المجال .

لكنّ عمر استمرّ في هذا المجال مع إدراكه لخطورته ، وأوصى الأشعري بإبقاء

مسيرة القراء كما هي دون تفسير قرآني .

فأصبحت النتيجة ، تجمّع الآلاف من القراء في البصرة والكوفة يقرأون

(١) المعيار والموازنة ، الاسكافي ٤٧ .

القرآن كثيراً ولا يفهمون ما فيه وهذه المجموعة الغوغاء كثر ادّعاؤها في الدين مع فراغ بين في المعرفة .

ولما رفع عمرو بن العاص المصاحف على الرماح في صفين أصرّ هؤلاء على التحكيم إلى كتاب الله وعددهم أكثر من عشرين ألف مقاتل .

هذا هو إصرارهم الأول . وإصرارهم الثاني كان على تولية مربيهم الأشعري في قضية التحكيم ، لأنه هو الذي ربّاهم وشجّعهم على هذا الطريق بأمر عمر .

فكان هذا هو الخطأ الثاني لهم في منهجيتهم المنحرفة .
والجدير بالذكر أن أبا موسى الأشعري مثلما ربّاهم على الولوج بالقراءة القرآنية بعيداً عن التفسير النبوي للقرآن ربّاهم على بغض أهل بيت محمد وعدم أهميتهم .

فنظرية النبي ﷺ تمثّلت في : إنّي تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

ونظرية عمر وصحبه تمثّلت في : حسبنا كتاب الله .

فنشأ القراء على نظرية عرجاء خالية من أهل بيت محمد ﷺ ولطول فترة حكم الفسقة في البصرة والكوفة فقد عظمت المصيبة .

إذ حكم في هذين المصرين المهتمين المغيرة والأشعري والوليد بن عقبة اليهودي وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر الأموي .

وهؤلاء الزموا الناس هناك بالقراءة الحاوية بعيداً عن الحديث النبوي ، فنشأت طوائف الناكثين والقاسطين والمارقين (١) .

فالناكثون لم يعد عندهم فرق بين حكم عثمان وعلي عليه السلام مع أن عثمان ارتكب

(١) الفرائد ، الحموني ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ، ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

الموبقات وقتل الصحابة دون ذنب ولم يخطأ علي عليه السلام .

وعندما خاطب الإمام علي عليه السلام الخوارج وبيّن لهم الحقيقة عاد الكثير منهم إلى الصف الإسلامي وبقيت آلاف قليلة .

ورغم مقتل هذه العدة في النهروان بقيت ثقافة الخوارج في المجتمع الإسلامي ، وانتشرت بذور هذه الثقافة في العراق وإيران وأفريقيا .

وراح ضحية هذه الموجات الشاذة الكثير من الأبرياء وأحدثت عصبية مقيتة في وسط المسلمين .

وحركة الوهابية نشأت في ساحة الثقافة الخارجية تلك وإعلانها نفس إعلان السقيفة : حسبنا كتاب الله . وتسير على مشروعها في تكفير الآخرين وتمجيد نفسها .

والمتدبر في مطالب الخوارج يدرك عمق غاياتهم وضحالة ثقافتهم وتزلزل إيمانهم . فلم يطالبوا الإمام عليه السلام بعزل والٍ أو إرجاع مال أو معاقبة ظالم .

وعادة الانتفاضات والحروب تقوم لمطالب مادية أو معنوية ممكنة وعقلانية .

وفي الثورة الإسلامية المعارضة لأعمال عثمان طالب الثوّار بعزل الولاة الفسقة كسعيد بن العاص وعبدالله بن أبي سرح والي مصر وعبدالله بن عامر والي البصرة وعزل وزيره الفاسق مروان بن الحكم .

ولو استجاب عثمان لبعض مطالبهم لأتحلت عرى الثورة ، لكنّه لم يتراجع عن أمر واحد ... فقتله الثوّار .

ومن الأصول الإسلامية مراعاة الحاكم للرعية في مطالبها وإعطائها حقوقها وتطبيق العدالة في صفوفها .

ولما خطب الإمام علي عليه السلام الخوارج وفند مزاعمهم وأسقط حججهم تراجع الآلاف منهم إلى صفوف المسلمين .

وفي أيماننا هذه يرفع الكثير من العلمانيين شعارات الخوارج بصور شتى وألوان مختلفة بعيداً عن العقل والحكمة .
 واستغل اليهود والصليبيون هذه الثغرة لقتل كل مسلم مطالب بحقوقه تحت راية الإرهاب .
 ولا تتمكن أي مجموعة استغلال الظروف الزمانية والمكانية لتحطيم الشعوب والأمم الأخرى تحت عناوين شتى .
 فعلى المسلمين الأتحد والتمسك بالدين والقيادة الإسلامية وعدم السماح للأعداء باللعب بمقدراتهم مهما كانت الظروف .
 ولا يجوز لأي دولة أو جماعة نصب نفسها قيّمة على البلدان والأمم الأخرى .
 ولا يحيا الاسلام الا بالثقلين القرآن وأهل البيت .

الباب الثالث : الغارات الهمجية

الفصل الاول : غارة ابن الحضرمي على البصرة

وتشجع معاوية بن أبي سفيان بعد احتلاله مصرراً لإرسال الجيوش إلى الولايات التابعة للإمام علي عليه السلام لاحتلالها وضمتها إلى مملكته فأرسل ابن الحضرمي إلى البصرة .

وفي البصرة أعداء الإمام علي عليه السلام ممن حاربوا في معركة الجمل في صفوف عائشة .

فزل ابن الحضرمي في قبيلة بني تميم ، وكان ابن عباس قد ذهب إلى الكوفة ووكل زياد بن أبيه .

فأرسل زياد إلى حصين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال : أنتم يامعشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاته وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون فامنعوني حتى يأتييني رأي أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال حصين نعم ، وتردد مالك .

فلما رأى زياد ذلك أرسل إلى صبرة بن شيان الحداني طالباً أن يجيره .

قال : بلى إن حملته إليّ ونزلت داري .

قال : فإني حامله ، فحمله وخرج زياد حتى أتى الحدان ونزل في دار صبرة بن شيان ، وحول بيت المال والمنبر فوضعه في مسجد الحدان ، وتحول مع زياد خمسون رجلاً منهم أبو أبي حاضر .

وكان زياد يصلي الجمعة في مسجد الحدان ويطعم الطعام .

فقال زيد لجابر بن وهب الراسي : يا أبا محمد إني لا أرى ابن الحضرمي يكفّ ، ولا أراه إلا سيقاً تلکم ، ولا أدري ما عند أصحابك فأمرهم وانظر ما عندهم ، فلما صلى زيد جلس في المسجد ، واجتمع الناس إليه فقال جابر : يا معشر الأزدي ، تقيم تزعم أنهم هم الناس وأنهم أصبر منكم عند البأس ، وقد بلغني أنهم يريدون أن يسيروا إليكم حتى يأخذوا جاركم ويخرجوه من المصر قسراً ، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أخرجتموه وبيت مال المسلمين؟!

فقال صبرة بن شيان ، وكان مفخماً : إن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء الحنات جئت ، وإن جاء شيبان فبيننا شيبان .

فكان زيد يقول : إني استضحكت ونهضت ، وما كدت مكيدة قط كنت إلى الفضيحة بها أقرب مني للفضيحة يومئذ لما غلبني من الضحك .

قال : ثم كتب زيد إلى علي عليه السلام : إن ابن الحضرمي أقبل من الشام فنزل في دار بني تميم ، ونعى عثمان ودعا إلى الحرب وبايعته تميم وجلّ أهل البصرة ، ولم يبق معي من أمتع به ، فاستجرت لنفسي وليبت المال صبرة بن شيان ، وتحولت فنزلت معهم ، فشيعة عثمان يختلفون إلى ابن الحضرمي .

فوجه علي عليه السلام بن ضبيعة المجاشعي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي ، فانظر ما يكون منه ، فإن فرق جمع ابن الحضرمي فذلك ما تريد ، وإن ترقّت بهم الأمور إلى التمادي في العصيان فانهض إليهم فجاهدهم ، فإن رأيت ممن قبلك تتأقلاً وخفت أن لا تبلغ ما تريد ، فدارهم وطاولهم ثم تستمع وأبصر ، فكأن جنود الله قد أظلتك تقتل الظالمين .

فقدم أعين فأتى زياداً فنزل عنده ، ثم أتى قومه وجمع رجالاً ونهض إلى ابن الحضرمي ، فدعاهم فشتموه وناوشوه فانصرف عنهم ، ودخل عليه قوم فقتلوه .

فلما قتل أعين بن ضبيعة أراد زياد قتالهم ، فأرسلت بنو تميم إلى الأزدي : إننا لم نعرض لجاركم ولا لأحد من أصحابه ، فإذا تريدون إلى جارنا وحرينا ؟ فكرهت

الأزد القتال وقالوا : إن عرضوا لجارنا منعناهم ، وإن يكفّوا عن جارنا كفنا عن جارهم فأمسكوا .

وكتب زياد إلى علي عليه السلام : أن أعين بن ضبيعة قدم فجمع من أطاعه من عشيرته ، ثم نهض بهم بجذّ وصدق نية إلى ابن الحضرمي ، فحثهم على الطاعة ودعاهم إلى الكفّ والرجوع عن شقاقهم ، ووافقتهم عامة قوم فهاهم ذلك ، وتصدّع عنهم كثير ممن كان معهم يمتّهم نصرته .

وكانت بينهم مناوشة ، ثم انصرف إلى أهله فدخلوا عليه فاغتالوه فأصيب رحم الله أعين ، فأردت قتالهم عند ذلك فلم يخفّ معي من أقوى به عليهم ، وتراسل الحياتن فأمسك بعضهم عن بعض .

فلما قرأ علي عليه السلام كتابه دعا جارية بن قدامة السعدي فوجهه في خمسمائة رجل ، وبعث معه شريك بن الأعور وكتب إلى زياد كتاباً يصوّب رأيه فيما صنع وأمره بمعونة جارية بن قدامة والإشارة عليه ، فقدم جارية البصرة ، فأتى زياداً فقال له : احتفز واحذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك ، ولا تتفقن بأحد من القوم .

فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب علي عليه السلام ووعدهم ، فأجابه أكثرهم ، فسار إلى ابن الحضرمي فحصره في دار سنبل ثم أحرق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلاً وتفرّق الناس ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى علي عليه السلام مع ظبيان بن عمارة (وكان ممن قدم مع جارية) :

إن جارية قدم علينا فسار إلى ابن الحضرمي حتى اضطّره إلى دار من دور بني تميم في عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار والدعاء إلى الطاعة ، فلم ينيبوا ولم يرجعوا ، فأضرم عليهم الدار فأحرقهم فيها وهدمت عليهم ، فبعداً لمن طغى وعصى (١) .

(١) تاريخ الطبري ١١٠ / ٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤١٥ نحوه وراجع الغارات ٢ / ٣٧٣ -

وهكذا انتهت غارة معاوية على البصرة بالخبيبة والخسران بيد رجال أقوياء مثل جارية بن قدامة (١).

غارة النعمان بن بشير المنافق

وفي السنة ٣٩هـ فرّق معاوية جيوشه في العراق في أطراف علي عليه السلام، فوجّه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر، وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي عليه السلام في ألف رجل، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه إلا مائة رجل، فلما سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين يخبره ويستمده.

فخطب علي عليه السلام الناس، وأمرهم بالخروج إليه، فتشاققوا.

وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه، وهو قريب منه، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال، فوجّه مخنف ابنه عبدالرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جفون سيفهم واستقتلوا فلماً رأهم أهل الشام انهزموا عند المساء، وظنّوا أنّ لهم مدداً، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر.

ولما تناقل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك، صعد علي عليه السلام المنبر فخطبهم،

ثم قال:

يا أهل الكوفة! كلّما سمعتم بجمع من أهل الشام أظنّكم انجركم كلّ امرئ منكم في بيته، وأغلق عليه بابه انجحر الضبّ في جحره، والضيع في وجارها، المغرور من غررتومه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان عند النجاء! ماذا مُنيت به منكم؟ عُمي لا يبصرون، وبكم لا ينطقون، وصم لا يسمعون! إنّنا لله وإنا إليه راجعون (٢).

(١) الغارات ٢ / ٣٧٣، البحار ٨ / ٦٧٦، تاريخ الطبري ٦ / ٦٣، تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٤٣.
(٢) تاريخ البعقوبي ٢ / ١٩٥، شرح النهج ٢ / ٣٠٣، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٢٥، تاريخ الطبري

ويحكم! اخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب، فإنّ النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً! ثمّ نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينهضوا ويحتوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً (١).

والنعمان بن بشير بن سعد كان أبوه أيضاً من المنافقين المعادين لاهل بيت محمد ﷺ، وسار على نهجه النعمان فباع دينه إلى معاوية بن أبي سفيان بثمن بخس.

غارة سفيان بن عوف الغامدي

أرسل معاوية بن أبي سفيان في سنة ٣٩هـ ستة آلاف رجل مع سفيان بن عوف الغامدي قائلاً:

إنّي باعنتك في جيش كثيف ذي أداة وجلادة فالزم لي جانب الفرات حتّى تمرّ بهيت (٢) فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم وإلا فامض حتّى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّى تغير على المدائن ثمّ أقبل إليّ، واتق أن تقرب الكوفة، واعلم أنّك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنّك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات ياسفيان على أهل العراق ترهب قلوبهم وتجري كلّ من كان له فينا هوىّ منهم ويرى فراقهم، وتدعو إلينا كلّ من كان يخاف الدوائر، وخرّب كلّ ما مررت به من القرى، واقتل كلّ من لقيت ممن ليس هو على رأيك،

الطبري ٥ / ١٣٣، البداية والنهاية ٧ / ٣٢٠، الغارات ٢ / ٤٤٧ - ٤٥٧ كلّها نحوه وراجع

أنساب الأشراف ٣ / ٢٠٥ - ٢٠٧ ونهج البلاغة الخطبة ٦٩.

(١) الغارات ٢ / ٤٥١ وراجع نهج البلاغة الخطبة ٦٩.

(٢) هيئت: مدينة على الفرات فوق الأنبار (تقويم البلدان ٢٩٩).

وأحرب^(١) الأموال ، فإنه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب^(٢) .

فأتى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم أتى الأنبار وفيها مسلحة لعلي عليه السلام تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم إلا مائتا رجل ، وكان سبب تفرقهم أنه كان عليهم كميل بن زياد ، فبلغه أن قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار إليهم بغير أمر علي عليه السلام .

فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها ، فأغضب ذلك علياً عليه السلام على كميل ، فكتب إليه ينكر ذلك عليه . وطمع سفيان في أصحاب علي عليه السلام لقتلهم فقاتلهم ، فصر أصحاب علي عليه السلام ثم قتل صاحبهم ، وهو أشرس بن حسان البكري ، وتلاثون رجلاً ، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر علياً فأرسل في طلبهم فلم يدركوا^(٣) .

وتبعه سعيد إلى عانات فلم يلحقه وأرسل الإمام علي عليه السلام معقل بن قيس التيمي فلم يعد حتى أصيب الإمام عليه السلام^(٤) .

غارة عبدالرحمن بن قباث

وفيها سار معاوية عبدالرحمن بن قباث بن أشيم إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر - جد الكرماني الذي كان بخراسان - وكان شبيب بنصيبين^(٥) ،

(١) الخرب: نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له (النهاية ١ / ٣٥٨) .

(٢) الغارات ٢ / ٤٦٤ ، شرح نهج البلاغة ٢ / ٨٥ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢ / ٤٢٥ ، تاريخ الطبري ٥ / ١٣٤ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٢٠ وزاد في آخرهما « بلغ الخبر علياً عليه السلام فخرج حتى أتى النخيلة ، فقال له الناس : نحن نكفيك ، قال : ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم ، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت ، فلم يلحقهم فرجع » ، الفتح ٤ / ٢٢٥ كلها نحوه وراجع أنساب الأشراف ٣ / ٢٣١ ودعائم الإسلام ١ / ٣٩٠ ، الكافي ٥ / ٤ ، البيان والتبيين ٢ / ٥٣ .

(٤) الأمالي ، الطوسي ١٧٣ / ٢٩٣ ، الغارات ٢ / ٤٧٩ .

(٥) نصيبين : مدينة عامرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام على تسعة فراسخ من

فكتب إلى كميل بن زياد ، وهو بهيت ، يعلمه خبرهم . وذلك في سنة ٣٩ هجرية . فسار كميل إليه نجدة له في ستائة فارس ، فأدركوا عبدالرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي ، فقاتلها كميل وهزمها ، فغلب على عسكريها ، وأكثر القتل في أهل الشام ، وأمر أن لا يتبع مدبر ولا يُجهز على جريح ، وقتل من أصحاب كميل رجالان .

وكتب إلى علي عليه السلام بالفتح فجزاه خيراً ، وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه ، وكان ساخطاً عليه ...

وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلاً قد أوقع بالقوم فهتأه بالظفر ، وأتبع الشاميين فلم يلحقهم ، فعبر الفرات ، وبثّ خيله ، فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك^(١) .

فوجه معاوية إليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقة^(٢) ، فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ، ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه ، وعاد إلى نصيبين وكتب إلى علي عليه السلام .

فكتب إليه علي عليه السلام ينهيه عن أخذ أموال الناس إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به ، وقال : رحم الله شبيباً ، لقد أبعده الغارة وعجل الانتصار^(٣) .

فالإمام علي عليه السلام لا يريد حملات جاهلية رعناء كما يفعل معاوية لأنه يريد نشر الأخلاق الإسلامية الفاضلة لا الوصول إلى النصر بالجور والظلم .

طاسنجان . وقد بنيت هذه المدينة على أيدي الروم ، وافتتحها أنوشيروان (راجع معجم البلدان ٥ / ٢٨٨) .

(١) بعلبك : مدينة قديمة من مدن لبنان ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام (معجم البلدان ١ / ٤٥٣) .

(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام (معجم البلدان ٣ / ٥٩) .

(٣) الكامل في التاريخ ٢ / ٤٢٨ ، أنساب الأشراف ٣ / ٢٣١ ، الفتح ٤ / ٢٢٧ و ٢٢٨ كلاهما نحوه .

غارة عبدالله بن مسعدة

وجّه معاوية في سنة ٣٩هـ أيضاً عبدالله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعائة رجل إلى تيماء^(١)، وأمره أن يُصدّق من مرّ به من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطاء صدقة ماله، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز، يفعل ذلك، واجتمع إليه بشر كثير من قومه.

فلما بلغ ذلك علياً عليه السلام وجهه المسيّب بن نجبة الفزاري، فسار في ألفي رجل من طي وهمدان حتى لحق ابن مسعدة بتيماء. فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالاً شديداً، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات، كلّ ذلك لا يلتبس قتله ويقول له: النجاء النجاء^(٢)!

فدخل ابن مسعدة وعامة من معه الحصن، وهرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إيل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره ومن كان معه المسيّب ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب على الباب، وألقى النيران فيه، حتى احترق.

فلما أحسّوا بالهلاك أشرّفوا على المسيّب فقالوا: يا مسيّب! قومك! فرق لهم، وكره هلاكهم، فأمر بالنار فأطفئت، وقال لأصحابه: قد جاء تني عيون فأخبروني أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشام، فانضمّوا في مكان واحد.

فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام، فقال له عبدالرحمن بن شبيب: سير بنا في طلبهم، فأبى ذلك عليه، فقال له: غششت أمير المؤمنين، وداهنت في أمرهم^(٣).

(١) تيماء: بلدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام. ولما سيطر رسول الله ﷺ على قلاع خيبر ووادي القرى رضي أهل تيماء بدفع الجزية. وفي الزمان الحاضر توجد قرية بين دمشق ومكة تعرف بـ «تيماء» (راجع معجم البلدان ٢ / ٦٧).

(٢) أي انجو بنفسك (انظر النهاية ٥ / ٢٥).

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ١٣٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٢٦، البداية والنهاية ٧ / ٣٢٠.

ولو قضى المسيّب على جيش الشام بأكملهم لتصدّعت قوّات معاوية وتقرّرت قوّات الإمام عليه السلام.

الغارات التي أرسلها معاوية صوب العراق والحجاز أعادت المسلمين إلى عهد الجاهلية حيث غزوات الأعراب على بعضهم البعض لسبي النساء وقتل الأطفال وحرق البيوت وسلب الأموال وقتل الأبرياء.

وما كان النبي محمد ﷺ يقوم بهذه الأعمال الدنيئة المخالفة للإسلام والحضارة.

وسار الإمام علي عليه السلام على نظرية رسول الله ﷺ في هذا المجال فلم يحرق الحقول ولم يقتل الأبرياء ولم يسب المؤمنين المحصنين.

وكان التاكثون والقاسطون والمارقون قد ساروا على هذه النظرية العقيمة والكافرة للوصول إلى غاياتهم.

غارة الضحّاك بن قيس

دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سير حتى تمرّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة^(١) أو خيلاً فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيم لحيل بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل.

فأقبل الضحّاك يأخذ الأموال، ويقتل من لقي من الأعراب حتى مرّ بالثعلبية فأغارت خيله على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي - وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ - فقتله في

(١) المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو. والجمع: مسالح (النهاية ٢ / ٣٨٨).

طريق الحاج عند القطفطانة^(١) وقتل معه ناساً من أصحابه .

قال أبو روق : فحدثني أبي أنه سمع علياً عليه السلام وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر : يا أهل الكوفة ! اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس ، وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف ! اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم ، إن كنتم فاعلين .

قال : فردوا عليه ردّاً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال :

والله ، لو ددت أن لي بكلّ مائة منكم رجلاً منهم ، ويحكم اخرجوا معي ، ثم فزوا عني إن بدل لكم ، فوالله ما أكره لقاء ربي على تبيتي وبصيرتي ، وفي ذلك روح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العميدة ، والثياب المتهرة ، كلّمها خيطت من جانب تهتكت على صاحبها من جانب آخر ، ثم نزل . فخرج يمشي حتّى بلغ الغريين^(٢) ، ثم دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعقد له راية على أربعة آلاف ، ثم سرّحه^(٣) .

فخرج حتّى مرّ بالسماوة ، فلم يزل مغدّاً في ملاحقة الضحّاك حتّى لقيه بناحية تدمر فاقتلوا ساعة . فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلاً وقتل من أصحاب حجر رجلان فضى الضحّاك . فلمّا أصبحوا لم يجدوا له ولا أصحابه أثراً^(٤) .

غارّة بسر بن أرطأة

ثمّ أرسل معاوية بسر بن أرطأة في جيش فساروا من الشام حتّى قدموا

(١) القطفطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية (معجم البلدان ٤ / ٣٧٤) .

(٢) الغريان : تشية الغري ، وهما بناءان كالصومعنين بظاهر الكوفة (معجم البلدان ٤ / ١٩٦) .

(٣) سرّحت فلاتاً إلى موضع كذا : إذا أرسلته (لسان العرب ٢ / ٤٧٩) .

(٤) الغارات ٢ / ٤٢١ ، أنساب الأشراف ، البلاذري ٣ / ١٩٧ ، الإرشاد ١ / ٢٧١ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٢٦ ، تاريخ الطبري ٥ / ١٣٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٥ .

الغارات المهجينة

المدينة ، وعامل علي عليه السلام على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري ، ففرّ منهم أبو أيوب فأقى علياً بالكوفة .

ودخل بسر المدينة ، فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد ، فنأدى على المنبر : يادينار ، ويانجّار ، ويازريق ، شيخي شيخي ! عهدي به بالأمس ، فأين هو ! يعني عثمان . ثمّ قال : يا أهل المدينة ! والله ، لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بها محتلاً إلاّ قتلته ، ثمّ بايع أهل المدينة .

وأرسل إلى بني سلمة ، فقال : والله ، ما لكم عندي من أمان ، ولا مبايعة حتّى تأتوني بجابر بن عبدالله . فانطلق جابر إلى أمّ سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها : ماذا ترين ؟ إني قد خشيت أن أقتل ، وهذه بيعة ضلالة .

قالت : أرى أن تبايع ؛ فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع ، وأمرت ختني عبدالله بن زعمة - وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبدالله بن زعمة فأتاه جابر فبايعه .

فخافه أبو موسى أن يقتله ، فقال له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك ، فخلّى عنه .

وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن : إنّ خيلاً مبعوثه من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أبي أن يقرّ بالحكومة .

قالت : إذا فبايع ؛ فإنّ التقيّة حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الضُّلُب ، ويحضرون الأعياد مع قومهم .

وهدم بسر دوراً بالمدينة ، ثمّ مضى حتّى أتى مكّة ، ثمّ مضى حتّى أتى اليمن . وبلغ علياً الخبر ، فقام خطيباً فقال : أيها الناس ! إنّ أوّل تقصم ذهاب أوّل النهي والرأي منكم ؛ الذين يحدّثون فيصدقون ، ويقولون فيفعلون ، وإني قد دعوتكم عوداً وبدءاً ، وسراً وجهراً ، وليلاً ونهاراً ؛ فما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً ، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة .

أما والله ، إنِّي لعالم بما يصلحكم ، ولكن في ذلك فسادى ، امهلوني قليلاً ، فوالله ، لقد جاءكم من يجزئكم ويعذبكم ويعذب الله بكم .

إن من ذلّ الإسلام وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأثمّار فيجيبون ، وأدعوكم ، وأنتم لا تصلحون ، فتراعون ، هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكّة والمدينة .

فقام جارية بن قدامة السعدي فقال : يا أمير المؤمنين ! لا عدنا الله قريك ، ولا أرانا فراقك ، فنعم الأدب أدبك ، ونعم الإمام والله أنت ، أنا لهؤلاء القوم فسرّحني إليهم !

قال : تحبّه ؛ فإنك ما علمتكم رجل في الشدّة والرخاء ، المبارك الميمون النقيبة . ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال : أنا أنتدب يا أمير المؤمنين .

قال : انتدب ، بارك الله عليك .

فخرج جارية في ألفين ، وهب بن مسعود في ألفين ، وأمرهما علي عليه السلام أن يطلبها بسرأ حيث كان حتى يلحقاه ، فإذا اجتمعا فرأس الناس جارية .

فخرج جارية من البصرة ، حتى قدم اليمن ، وقد تنحى عبيدالله بن عباس عن اليمن ، واستخلف بها عبدالله بن المدان الحارثي ، فأتاه بسر فقتله ، وقتل ابنه مالك بن عبدالله ، وقد كان عبيدالله خلف ابنه عبدالرحمن وطم عند جوريرة ابنة فارط الكنانية - وهي أمّهما - وخلف معها رجلاً من كنانة .

فلما انتهى بسر إليها دعا ابني عبيدالله ليقتلها ، فقام الكناني فانتضى سيفه وقال : والله لأقتلنّ دونها فألاقي عدراً لي عند الله والناس ، فضارب بسيفه حتى قتل ، وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن : يا بسر ! هكذا الرجال يقتلون ، فما بال ولدان؟! والله ما كانت الجاهلية تقتلهم ، والله إن سلطاناً لا يشتدّ إلا يقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء .

فقال بسر : والله ، لقد هممت أن أضع فيكّنّ السيف ، وقدمّ الطفيلين فدججهما .

وأوصى معاوية بسرأ بالقتل والحرق والسطو والتخويف والتدمير ولما عاد بسر قبيل معاوية بن أبي سفيان أعمال بسر وشجّع قائلاً له : الله فعل ذلك لا أنت (١) .

ثمّ جمع بسر أهل نجران فقال : يا إخوان النصارى ! أما والذي لا إله غيره لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرنّ قتلاكم . ثمّ سار نحو جيشان - وهم شيعة لعلي - فقاتلهم ، فهزمهم ، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، ثمّ رجع إلى صنعاء .

وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى نجران وطلب بسرأ ، فهرب منه في الأرض ، ولم يبق له ، وقتل من أصحابه خلقاً ، وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكّة ، ومرّ بسر حتى دخل الحجاز لا يلوي على شيء (٢) .

وهدف معاوية إعادة الخوف والجاهلية الى المجتمع الاسلامي .

جبن قيادات معاوية وشجاعة قيادات الإمام عليه السلام

في كلّ غارات معاوية على المدن الإسلامية كانوا يقتلون الأطفال ويسبون النساء ويقتلون على التهمة والشكّ ويسرقون الدواب والأمتعة ويحرقون الأرض والزرع ، في حين لم يسمح الإمام علي عليه السلام لأتباعه بهذه الأفعال البربرية الناجمة من الرحم الجاهلي .

فكانوا لا يقتلون أعداءهم إلا إذا قاتلوهم ، فهذه هي الأخلاق الفاضلة الراقية التي يدعو إليها الإسلام العظيم .

وكانت قيادات معاوية الغاشمة الظالمة تهرب من جيوش الإمام عليه السلام هرباً مخزياً .

فقد هرب النعمان بن بشير بن سعد .

وهرب الضحّاك بن قيس النهري .

(١) الغارات ٢ / ٦٣٩ ، شرح النهج ٢ / ١٧ .

(٢) الغارات ٢ / ٦٠٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٧ ، الفتوح ٤ / ٢٣١ .

وهرب بسر بن أرطأة هرباً مضحكاً ينم عن جبنهم في الحروب .
لكنهم يستأسدون على النساء والأطفال والعجزة مثلهم مثل سيدهم معاوية
الجبان عن منازلة الرجال والتقدير في الدسائس والمؤامرات .
وأخذ جارية بن قدامة السعدي البيعة من أهالي مكة والمدينة وطلب أبا
هريرة المناق (والي معاوية على المدينة) ليقتله فهرب منه .
فبايع الناس للإمام عليه السلام .

وكان بسر بن أرطأة الجبان يهرب من جارية ويحرق ما في طريقه فسُمي
محرقاً^(١) .

وأوصى الإمام علي عليه السلام جارية: بتقوى الله ولا تقاتل إلا من قاتلك ولا تجهز
على جريح ولا تسخرن دابة ، ولا تستأثر على أهل المياه بمباهم ولا تشرين إلا
فضلمهم عن طيب نفوسهم ولا تشتمن مسلماً أو مسلمة ولا تظلمن معاهداً أو
معاهدة .

واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق ومن تاب فاقبل توبته والصدق الصدق
فلا رأي لكذوب^(٢) .

بينما قتل بسر بن أرطأة في طريقه ثلاثين الفاً وحرق قوماً بالنار وسبي نساء
مسلمات وباعهن في السوق .

وأوصى معاوية بسراً بالقتل والحرق والسطو والتخويف والتدمير ولما عاد
بسر قبيل معاوية بن أبي سفيان أعمال بسر وشجعه قائلاً له :
الله فعل ذلك لا أنت^(٣) .

(١) الغارات ٢/٦٠٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٧ ، الفتوح ٤/٢٣١ .

(٢) الغارات ٢/٦٠٧-٦٣٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٧ ، الفتوح ٤/٢٣١ ، الاستيعاب ١
٢٤٣/ ، شرح النهج ٢/١٧ .

(٣) الغارات ٢/٦٣٩ ، شرح النهج ٢/١٧ .

الفصل الثاني : ثقافة الغزو والغنائم والتجنيد الاجباري

خطاب الامام في كسل الناس وركونهم الى الراحة

قال الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة :-

«أيها الناس ! إنني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم [أي أهل الشام] فلم تنفروا
، وأسعتكم فلم تجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، شهود كالغيب ، أتلو عليكم
الحكمة فتعرضون عنها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها ، كأنكم حُمُر
مستنفرة فرّت من قسورة ، وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي
حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ ، ترجعون إلى مجالسكم تتربعون حلقاً ، تضربون
الأمثال وتناشدون الأشعار ، وتحسسون الأخبار ، حتى إذا تفرقتم تسألون عن
الأسعار ، جهلة من غير علم ، وغفلة من غير روع ، وتتبع في غير خوف ، نسيتم
الحرب والاستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالأعاليق
والأباطيل . فالعجب كلّ العجب ! وما لي لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ،
وتخاذلكم عن حثكم !

يا أهل الكوفة ! أنتم كأُمّ مجالدٍ ، حملت فأملصت^(١) ، فبات قيماً ، وطال
تأييها ، وورثها أبعدها .

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إن من ورائكم للأعور الأديب ، جهنم الدنيا ،

(١) إملاص المرأة الجنين : هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة . وكلّ ما زلق من اليد فقد ملص
(النهاية ٤/٣٥٦) .

لا يُبقي ولا يذر، ومن بعده النهاس الفزاس الجموع المنوع، ثم ليتوارثتكم من بني أمية عدة، ما الآخر بأرأف بكم من الأول، ما خلا رجلاً واحداً^(١)، بلاء قضاء الله على هذه الأمة لا محالة كائن، يقتلون خياركم، ويستعبدون أراذلكم، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حجالكم^(٢)، نعمة بما ضيعتم من أموركم، وصلاح أنفسكم ودينكم.

يا أهل الكوفة! أخبركم بما يكون قبل أن يكون؛ لتكونوا منه على حذر، ولتندروا به من اتعظ واعتبر: كأني بكم تقولون: إن علياً يكذب، كما قالت قريش لنبينا ﷺ وسيدنا نبي الرحمة محمد بن عبدالله حبيب الله، فيا ويلكم! أفعل من أكذب؟! أعلى الله؟ فأنا أول من عبده ووحده، أم على رسوله؟ فأنا أول من آمن به وصدقه ونصره! كلاً، ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء...^(٣)

﴿لَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٤).

وذلك إذا صيركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم.

فقبلاً لكم بأشباه الرجال ولا رجال، حُلوم^(٥) الأطفال، وعقول ربات الحِجال، أم والله أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، ما أعز الله نصر من دعاكم، ولا استراح قلب من فاساكم، ولا قرّت عين من آواكم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب.

(١) قال المجلسي: المراد بالنهاس الفزاس إبن هشام بن عبد الملك؛ لاشتهاره بالبخل، أو سليمان بن عبد الملك، والأول أنسب. والمراد بالرجل الواحد هو عمر بن عبدالعزيز (بحار الأنوار ٣٤ / ١٤٠).

(٢) الحِجال: جمع الحَجلة؛ وهي بيت كالفِبة يُستر بالثياب، وتكون له أزوار كبار (النهاية ١ / ٣٤٦).

(٣) الغارات ٢ / ٦٣٩، شرح النهج ٢ / ١٧.

(٤) سورة ص ٨٨.

(٥) الحُلوم: جمع الحُلْم وهو اللانة والعقل (لسان العرب ١٢ / ١٤٦).

يا ويحكم! أي دار بعد داركم تمنعون! ومع أي إمام بعدي تقاثلون! المغرور - والله - من غررتموه من فاز بكم فاز بالسهم الأخبب، أصبحت لا أطعم في نصركم، ولا أصدّق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم من هو شرّ لكم مني.

إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، والله لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم.

والله لوددت أني لم أعرفكم ولم تعرفوني؛ فإنها معرفة جرّت ندماً. لقد ورّيتم صدري غيظاً، وأفسدتم عليّ أمري بالخذلان والعصيان، حتى لقد قالت قريش: إن علياً رجل شجاع لكن لا علم له بالحروب، لله درهم! هل كان فيهم أحد أطول لها براساً مني! وأشدّها مقاساة؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ثمّ ها أنا ذا قد ذرّفت^(١) على الستين، لكن لا أمر لمن لا يطاع.

أم والله، لوددت أن ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وإنّ المنية لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها - وترك يده على رأسه وحيتته - عهد عهده إليّ النبي الأمي، وقد خاب من افترى، ونجا من اتقى وصدّق بالحسنى.

يا أهل الكوفة! دعوتكم إلى جهاد هؤلاء ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهوم؛ فإنّه ما غزى قوم في عُقر دارهم إلا ذلّوا، فنواكلتم وتحاذلتم، وتقل عليكم قولي، واستصعب عليكم أمري، واتخذتموه وراءكم ظهرية، حتى شئت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات تُسبّكم وتصبّحكم، كما فعل بأهل المثلاث^(٢) من قبلكم، حيث أخبر الله تعالى عن الجباية والعتاة الطغاة، والمستضعفين الغواة، في قوله تعالى:

(١) أي زدت عليها (النهاية ٢ / ١٥٩).

(٢) المثَلَّة: العقوبة والجمع المثَلات (الصالح ٥ / ١٨١٦).

﴿يَذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١).

أم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد حلّ بكم الذي توعدون.

عابتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم، وأذبتكم بالدرّة فلم تستقيموا، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعوا، ولقد علمت أنّ الذي يصلحك هو السيف، وما كنت متحرّياً صلاحك بفساد نفسي، ولكن سيسلط عليكم من بعدي سلطان صعب، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم، ويؤذّننكم، ويجترنكم^(٢) في المغازي، ويقطعن سبيلكم، وليحببنكم على بابه، حتّى يأكل قوتكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلّا من ظلم منكم، ولقلبا أدير شيء ثم أقبل، وإني لأظنكم في فترة، وما عليّ إلّا النصح لكم.

يا أهل الكوفة! مئيت منكم بثلاث واثنتين: صمّ ذوو أسماح، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار، لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء. اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسمتهم وسموني.

اللهم لا ترض عنهم أميراً، ولا ترضهم عن أمير، وأميت قلوبهم كما يمات الملح في الماء.

أم والله، لو أجد بُدّاً من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت، ولقد عابتكم في رشدكم حتّى لقد شممت الحياة، كلّ ذلك تراجعون بالهزم من القول فراراً من الحقّ، وإلحاداً إلى الباطل الذي لا يُعزّ الله بأهله الدين، وإني لأعلم أنّكم لا تريدوني غير تخسير، كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اتأقلمت إلى الأرض، وسأتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول.

إن قلت لكم في القيظ: سيروا، قلت: الحرّ شديد، وإن قلت لكم في البرد:

(١) سورة البقرة ٤٩.

(٢) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحسبهم عن العود إلى أهلهم (النهاية ٢٩٢/١).

سيروا، قلت: الحرّ شديد، كلّ ذلك فراراً عن الجسّة. إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة! قد أتاني الصريح يخبرني أنّ أخوا غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلاً في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يُغار على الروم والحزّر، فقتل بها عاملي ابن حسان وقتل معه رجالاً صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوأ الله لهم جنّات النعيم، وأتته أباحها، ولقد بلغني أنّ العصابة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيهتكون سترها، ويأخذون القناع من رأسها، والخُرُص من أذنها، والأوضاع^(١) من يديها ورجليها وعَضُدِهَا، والخلخال والمتزر من سوقها، فما تمتع إلّا بالاسترجاع والنداء: يا للمسلمين فلا يُغيثها مغيث، ولا ينصرها ناصر.

فلو أنّ مؤمنات مات من وذن هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي باراً محسناً.

واعجباً كلّ العجب، من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقّكم! قد صرتم غرضاً يُرمى ولا ترمون، وتغزّون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون، تربت أيديكم بأشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب^(٢).

ثقافة العصا والمال

أثر النفاق الداخلي وسط جيش الإمام عليه فضعت عزيمتهم وخارت قواهم وتوجّهوا للراحة والترّف، وسمّوا من فقدان الغنيمة.

(١) الخُرُص: الحلقة الصغيرة من الحلبي، وهو من حلبي الأذن (النهاية ٢ / ٢٢). الأوضاح: نوع من الحلبي يعمل من الفضة، سمّيت بها لبياضها (النهاية ١٩٦ / ٥).

(٢) الإرشاد ١ / ٢٧٨، الاحتجاج ١ / ٤٠٩ ح ٨٩ نحوه، بحار الأنوار ٣٤ / ١٣٥ ح ٩٥٦.

قال علي عليه السلام: يامعشر المهاجرين:

﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

خَائِبِينَ﴾^(١).

فتلكوا، وقالوا: البرد شديد، وكان غزاتهم في البرد.

فقال عليه السلام: إن القوم يجدون البرد كما تجدون.

فلم يفعلوا وأبوا، فلما رأى ذلك منهم قال: أفت لكم! إيتها ستّة جرت عليكم^(٢).

إذ لما كره القوم المسير إلى الشام عقب واقعة النهروان أقبل بهم أمير المؤمنين، فأنزلهم النخيلة، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقيموا زيارة النساء وأبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوّهم، وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه، لكنهم لم يفعلوا، وأقبلوا يتسلّلون ويدخلون الكوفة، فتركوه عليه السلام وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل، وبقي المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة.

قال نصر بن مزاحم: فخطب الناس بالكوفة، وهي أول خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج، فقال:

«أيها الناس! استعدوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله عزّ وجلّ، ودرك الوسيلة عنده: قوم حيارى عن الحق لا يصفرونه موزعين^(٣) بالمجور والظلم لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نُكِب عن الدين، يعمهون^(٤) في الطغيان،

(١) سورة المائدة ٢١.

(٢) الغارات ٢٦/١، شرح نهج البلاغة ١٩٣/٢ نحوه.

(٣) موزّع به: أي مولى به، وقد أوزع بالشيء: إذا اعتاده، وأكثر منه (النهاية ١٨١/٥).

(٤) من العمّة: التحير والتردد. والعمّة في الرأي، والعمى في البصر (لسان العرب ١٣/٥١٩).

ويتسكعون في غمرة الضلال، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً.

قال: فلم ينفروا ولم ينشروا، فتركهم أياماً، ثمّ خطبهم فقال^(١): أفت لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً، وبالذلّ من العزّ خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يُرَجّ عليكم جوارى فتعمهون، فكأنّ قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر^(٢) عزّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلا كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

لبئس - لعمر الله - سغر نار الحرب أنتم! تكادون ولا تكيدون، وثنتقتص أطرافكم فلا تمتعضون، لا ينأ عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون! وإيم الله إني لأظنّ بكم أن لو حمس الوغى، واستحزّ الموت، قد انفرجت عن ابن أبي طالب انفراج الرأس.

والله إنّ امرأً يمكّن عدوّه من نفسه يعرّق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت على جوانح صدره.

أنت فكّن ذاك إن شئت؛ فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرباً بالمشرفيّة تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء. أيها الناس، إنّ عليكم حقّاً، ولكم عليّ حقٌّ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم،

(١) يقال: جاء القوم نُشراً؛ أي منتشرين متفرّقين (النهاية ٥٥/٥).

من هنا إلى آخر الخطبة نقلناه من نهج البلاغة الخطبة ٣٤.

(٢) زوافر: جمع زافرة، وزافرة الرجل: أنصاره وخاصته (النهاية ٢/٣٠٤).

والطاعة حين أمركم .

أنتم أسود الثرى في الدّعة ، وتعالب رواغة حين البأس . إن أخا الحرب اليقظان ، ألا إن المغلوب مقهور ومسلوب»^(١).

فكان جواسيس معاوية في داخل الجيش من أمثال الأشعث يعتذرون بأعذار شتى طلباً للراحة ومنه أخذ الكثير فالأشعث سعى في جانب النفاق الداخلي وتفتيت الجبهة الداخلية فأولد الخوارج .

ولأنهم يعيشون في الكوفة فلقد أتر هذا على الجبهة الداخلية لجيش الإمام عليه السلام والأمر الآخر الذي سعى له الأشعث وأضرابه هو الراحة وطلب السلم . الذي يمنع الناس من الجهاد وتحمل الحرّ والبرد في سبيل ذلك^(٢).

شعب لا يصلح إلا بالسيف

وقال الإمام علي عليه السلام : إنكم والله لكثير في الباحات ، قليل تحت الرايات ، وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ، ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يقول للناس بالكوفة : يا أهل الكوفة ، أتروني لا أعلم ما يصلحكم؟! بلى ، ولكنّي أكره أن أصلحكم بفساد نفسي .

وقال الإمام علي عليه السلام : أيها الناس ! إنّي قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم ، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم ، وأدّببتكم

(١) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٩٣ و ١٨٩ ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٠ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٥٣ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٨ ، الإمامة والسياسة ١ / ١٧٠ ، الغارات ١ / ٢٩ و ٣٣ كلّها نحوه ، نهج البلاغة الخطبة ٣٤ ، بحار الأنوار ٣٤ / ٤٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٩٣ و ١٨٩ ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٠ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٥٣ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٠٨ ، الإمامة والسياسة ١ / ١٧٠ ، الغارات ١ / ٢٩ و ٣٣ كلّها نحوه ، نهج البلاغة الخطبة ٣٤ ، بحار الأنوار ٣٤ / ٤٨ .

بسوطي فلم تستقيموا ، وحدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا^(١) . الله أنتم ! أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ، ويرشدكم السبيل^(٢)؟

وأضاف عليه السلام : قد عاتبتمك بدرّي التي أعاتب بها أهلي فلم تبالوا ، وضربتكم بسوطي الذي أقيم به حدود ربّي فلم ترعوا^(٣) ، أتريدون أن أضربكم بسيفي؟! أما إنّي أعلم الذي تريدون ويقيم أودكم ، ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي ، بل يسلّط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم ! فلا ندياً استمتعتم بها ، ولا آخرة صرتم إليها ، فبُعداً وسُحقاً لأصحاب السعير^(٤).

وقال عليه السلام : ولقد علمت أنّ الذي يصلحكم هو السيف ، وما كنت متحرّياً صلاحكم بفساد نفسي ، ولكن سيّسلّط عليكم من بعدي سلطان صعب^(٥).

وقالوا للإمام عليه السلام : إنّ أهل العراق لا يصلحهم إلاّ السيف ! فقال : إن لم يصلحهم إلاّ فسادي فلا أصلحهم الله^(٦)!

موعظة الإمام عليه السلام لأهل الكوفة

واستمّر الإمام عليه السلام في تقرّبهم ووعظهم إذ قال الإمام عليه السلام : أما والذي نفسي بيده ، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ؛ ليس لأنهم أولى بالحقّ منكم ، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم ، وإيطائكم عن حقّي . ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي .

(١) الأمالي للمفيد ٢٠٧ / ٤٠ عن هشام ، استوسق عليه أمرهم : أي اجتمعوا على طاعته (النهاية ٥ / ١٨٥) .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٢ ، ينابيع المودة ٣ / ٤٤٣ ح ١٢ و ٢٨ / ٢ ح ١ .

(٣) الإرعاء : الكفّ والازجاء ، وقيل : هو التدم والانصراف عن الشيء (النهاية ٢ / ٢٣٦) .

(٤) الكافي ٨ / ٣٦١ ح ٥٥١ ، بحار الأنوار ٧٧ / ٣٦٤ ح ٣٣ .

(٥) الإرشاد ١ / ٢٨١ ، الاحتجاج ١ / ٤١٤ ح ٨٩ .

(٦) عيون الحكم والمواظ ١٦٤ / ٣٤٨٨ ، غرر الحكم ٣٧٥٨ .

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغيباب، وعبيد كأرباب! أتلوا عليكم الحكمة فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سباً^(١)، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقوكم غدوة، وترجعون إلى عشية، كظهر الحية^(٢)، عجز المقوم، وأعضل المقوم.

أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطبع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت الله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم؛ فأخذ مني عشرة منكم، وأعطاني رجلاً منهم!

يا أهل الكوفة! مُتيت منكم بثلاث واثنتين: صُمُّ ذوو أسماع وبكمِّ ذوو كلام، وعُمِّي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء؛ تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلِّباً جمعت من جانب تفرقت من آخر، والله لكأني بكم فيما إخالكم^(٣) أن لو حَسَّ الوغى، وحمي الضراب، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قُبْلِها، وإني لعلى بيثة من ربي، ومنهاج من نببي، وإني لعلى الطريق الواضح أَلْقَطُهُ لَقَطاً^(٤).

وأضاف عليه السلام: ألا ترون يامعاشر أهل الكوفة، والله لقد ضربتكم بالدرّة التي أعظ بها السفهاء، فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسياط التي أقيم بها الحدود،

(١) أيادي سباً: مثل يضرب للمتفرقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ: ﴿وَمَرَّقْنَاَهُمْ كُلَّ مَمَرَّقٍ﴾ (شرح نهج البلاغة ٧/ ٧٤).

(٢) الحية: القوس (لسان العرب ١٤/ ٢٠٣).

(٣) إخالك: أظنك (لسان العرب ١١/ ٢٢٦).

(٤) انفراج المرأة عن قُبْلِها يكون عند الولادة أو عندما يُشرع عليها سلاح. وفيه كناية عن العجز والدناءة في العمل. نهج البلاغة الخطبة ٩٧.

فأراكم ترعونون، فما بقي إلا سبي، وإني لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله، ولكي لا أحب أن ألي تلك منكم.

والعجب منكم ومن أهل الشام، أن أميرهم يعصي الله وهم يطيعونه، وأن أميركم يطيع الله وأنتم تعصونه! إن قلت لكم: انفروا إلى عدوكم، قلت: القرّ يعننا! أفترعون عدوكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ ولكنكم أشبهتم قوماً قال لهم رسول الله ﷺ: انفروا في سبيل الله، فقال كبراًؤهم: لا تنفروا في الحرّ، فقال الله لبيته: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(١).

والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما يبغضني، ولو صببت الدنيا بحذافيرها على الكافر ما أحببني، وذلك أنه قضى ما قضى على لسان النبي الأمي أنه لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك كافر، وقد خاب من حمل ظلماً وافترى.

يامعاشر أهل الكوفة! والله لتصبرنّ على قتال عدوكم، أو ليسلطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحقّ منهم، فليعذبنكم، وليعذبنهم الله بأيديكم أو بما شاء من عنده، أفن قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش؟! فاشهدوا أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: موتة على الفراش أشدّ من ألف ضربة بسيف^(٢).

ما أظنّ هؤلاء القوم - يعني أهل الشام - إلا ظاهرين عليكم، فقالوا له: بماذا

يامير المؤمنين؟

قال: أرى أمورهم قد علت ونيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين وأراكم واثنين، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين وأراكم لي عاصين.

(١) سورة التوبة ٨١.

(٢) الغارات ١/ ٤٢ عن فرقد البجلي، شرح نهج البلاغة ٢/ ١٩٥ عن رفيع بن فرقد البجلي نحوه.

أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدتهم أرباب سوء من بعدي لكم، لكأنّي أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيكم، وكأنّي أنظر إليكم تِكْشُونَ^(١) كشييش الضباب؛ لا تأخذون حقاً ولا تمنعون لله حرمة، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحكم، ويخيفون قراءكم، ويحرمونكم ويحبسونكم، ويدنون الناس دونكم، فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة، ووقع السيف، ونزول الخوف، لقد ندمتم وخسرتم على تفریطكم في جهادهم، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفّض^(٢) والعافية حين لا ينفعكم التذكار^(٣).

قال الإمام عليه السلام: أيها الناس! فإنكم دعوتوني إلى هذه البيعة فلم أردكم عنها، ثمّ بايعتموني على الإمارة ولم أسألكم إيّاها، فتوتّب عليّ متوتّبون، كفى الله مؤونتهم، وصرعهم لحدودهم، وأتعس جدودهم، وجعل دائرة السوء عليهم. وبقيت طائفة تُحدّث في الإسلام أحداثاً؛ تعمل بالهوى، وتحكم بغير الحق، ليست بأهل لما ادّعت، وهم إذا قيل لهم: تقدّموا قدماً، تقدّموا، وإذا قيل لهم: أقبلوا أقبلوا، لا يعرفون الحق كعرفتهم الباطل، ولا يُبطلون كإبطالهم الحق.

أما إنّي قد سئمت من عتابكم وخطابكم، فبيّتوا لي ما أنتم فاعلون؛ فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ما أطلب وأحبّ، وإن كنتم غير فاعلين فاكشفوا لي عن أمركم أرى رأيي. فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوهم حتّى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لأدعون الله عليكم، ثمّ لأسيرنّ إلى

(١) الكشييش: الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة وكشييش الأقمى: صوتها من جلدتها لا من فمها. يقوّع عليه أصحابه بالجن والفسل ويقول لهم لكأنّي أنظر إليكم وأصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذي قد اعتراكم فهي أشبه شيء بأصوات الضباب المجتمعة (شرح نهج البلاغة ٧ / ٣٠٤).

(٢) الخفّض: الدعة والسكون (النهاية ٢ / ٥٤).

(٣) الإرشاد ١ / ٢٧٤، الغارات ٢ / ٥١١ عن عمرو بن محصن، الإمامة والسياسة ١ / ١٧٢ كلاهما نحوه.

عدوّكم ولو لم يكن معي إلا عشرة.

أجلاف أهل الشام وأعرابها أصبر على نصرته الضلال، وأشدّ اجتماعاً على الباطل منكم على هداكم وحقّكم؟ ما بالكُم؟ ما دواؤكم! إن القوم أمثالكم لا يُنثرون إن قتلوا إلى يوم القيامة^(١).

وأضاف الإمام علي عليه السلام: اتّقوا الله عباد الله وتحاووا على الجهاد مع إمامكم؛ فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر؛ إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهنتم نهضوا معي، لأستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه؛ فإنّه الجهاد المفروض^(٢).

وأضاف الإمام علي عليه السلام: وددت والله أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من أهل الشام وأنّي صرفتكم كما يُصرف الذهب، ولوددت أنّي لقيتهم على بصيرتي فأراحني الله من مقاساتكم ومداراتكم كما يُدارى البكارُ العميدة والثياب المنهثة كلّما خيبت من جانب تهتكت من جانب^(٣).

وقال: أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم؛ فأخذ منّي عشرة منكم، وأعطاني رجلاً منهم^(٤).

(١) أنساب الأشراف ٣ / ٢٣٥.

(٢) الإرشاد ١ / ٢٦٣، الاحتجاج ١ / ٤٠٨ ح ٨٨، بحار الأنوار ٣٢ / ٣٩٠ ح ٣٦٠.

(٣) البكار: جمع بكار؛ وهو الفتى من الإبل. العميدة: من العمدة: الورم والدبّر. وقيل: العميدة: التي كسرهما نقل حملها (النهاية ٣ / ٢٩٧). أنساب الأشراف ٣ / ١٩٨، وراجع تاريخ دمشق ١

/ ٣٢١ وكنز العمال ١١ / ٣٥٦ ح ٣١٧٢٧.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٩٧، الاحتجاج ١ / ٤١١ و ٤١٢ / ٨٩ نحوه.

أسباب التقاعس في جيش الكوفة

هناك دواعي كثيرة لهذا التهاون :

١- تربية البطش السابقة .

إذ ربّي أبو بكر وعمر وعثمان الناس على القوّة في أخذهم للحرب وسحبهم للجهاد ومن يتخامل منهم يتعرّض للعقوبة .

ولم يرغب الإمام عليه السلام في إجبارهم على السيف والعصا لهذا الباب من الجهاد ، واكتفى بالصيحة والوعظ .

في حين تعوّد جيش العراق على هذه الثقافة غير الإسلامية ! فسلطان الروم يبطش وسلطان المسلمين يبطش كذلك فما الفرق بين الاثنين ؟

٢- ثقافة الغنائم وسبي النساء .

تعوّد المسلمون على ثقافة الغنائم فهم فتحوا العراق وغنموا الكثير فيه وفتحوا مصر وغنموا الأموال الطائلة وفتحوا إيران وغنموا كنوز الفرس وهكذا .

في حين كانت حروب الجمل وصفّين والنهروان ليس فيها غنائم لأنهم مسلمون .

فألمّ جيش الإمام عليه السلام عليه في حرب الجمل لسبي نساء وأطفال وأموال أهالي البصرة المسلمين .

ولمّا بين لهم الإمام عليه السلام بطلان رغبتهم شرعاً أثر هذا في نفوسهم .

وهذا التأثير العميق تبيّن في الحروب اللاحقة :

في حرب صفّين والنهروان لم يحصل أهالي الكوفة على غنائم ولم يتعرّضوا للقوّة لإجبارهم على الحرب أيضاً .

وهذا يختلف عن ثقافتهم السابقة في حروبهم للفتح الإسلامي فلو قسم الإمام علي عليه السلام نساء الخوارج على عسكره لفرحوا كثيراً وتحرّكوا نحو الحروب اللاحقة .

فبدأوا يفكّرون في السلم أكثر من تفكيرهم في الحرب الخالية من الغنائم .
ولماذا لا يفكّرون في السلم ما دام الإمام علي عليه السلام لا يستخدم السيف في إجبارهم على الحرب . فالإمام يستخدم المشروع الإسلامي بتامه في حرّية كاملة ودعوة للتوابع الأخرى ومراعاة الشرع وحبس النزعات الجاهلية البالية .
أما جيش معاوية فبقيت ثقافته كما هي :

فحملة الضحّاك بن قيس إلى الثعلبية والواقصة وأطراف الكوفة فيها غنائم ، لأنّ معاوية لا يفرّق بين مسلم وكافر في حروبه وغارات النعمان بن بشير على المدائن والأنبار وهيت فيها غنائم مفرحة للجنود الغازي . وأباح معاوية المسلمات لهم .

وغارات بسر بن أرطاة على المدينة ومكّة والطائف واليمن واليمامة فيها غنائم كثيرة . كما فيها أفراس دنيوية جاهلية تتمثل في قتل أعدائهم والثأر من أهلهم كأفعال الجيوش الرومية والكسروية . فلقد قتل بسر بن أرطاة طفلي عبيدالله بن عباس !!

فجيش معاوية ينهض للحرب هذه الأغراض الدنيوية ويتحمّس لها .
والتخلّف عن جيش الشام يتعرّض لعقوبات صارمة لا رحمة فيها ولا شفقة .
لذا فجيوش الشام لا تحتاج إلى موعظة للسير للحروب .

العطاء الاسلامي للناس لماذا؟

كان الناس في عهد النبي عليه السلام قد عاصروا نظرية رسول الله عليه السلام الجديدة المتمثلة في العطاء فكانوا يأخذون العطاء السنوي الكافي لمعيشتهم مقابل أهبتهم للحرب وطاعتهم للجهاد .

وكانوا يكسبون في الحروب الغنائم أيضاً فتوزّع عليهم وأهالي الكوفة كانوا يأخذون العطاء السنوي ويرفضون الطاعة للجهاد !!

وهذا أمر غريب وعجيب فهؤلاء يحبون الراحة والرفاهية مع العطاء ويريدون الحروب مع الغنائم وأعمال النهب والسلب ولما منعمهم الإمام عليه السلام من الأعمال المحرمة خلدوا للراحة .

دعاء الإمام عليه السلام على أهالي الكوفة

وقف علي عليه السلام يخطب وقد وضع المصحف على رأسه حتى تقعق على رأسه . فقال : اللهم قد منعتني ما فيه فأعطني ما فيه ، اللهم قد أبغضتهم وأبغضوني ، ومللتهم وملوتني ، وحملوني على غير خلقي وطبيعتي وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم مت^(١) قلوبهم كما يُمات الملح في الماء^(٢) .

أم والله لوددت أن ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه ، وإن المنتية لترصدني ، فما يمنع أشقاها أن يحضها ؟ - وترك يده على رأسه ولحيته - عهد عهده إلى النبي الأمي ، وقد خاب من افتري ، ونجا من اتقى وصدق بالحسنى^(٣) . وقال عليه السلام : يا أهل الكوفة ! خذوا أهبتكم لجهاد عدوكم معاوية وأشياعه . قالوا : يا أمير المؤمنين ، أمهلنا يذهب عنا القم^(٤) .

فقال : أم والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم . الملاحظ إن السلاطين قبل الإمام عليه السلام وبعد الإمام عليه السلام كانت تأخذ الرجال للحرب في الشتاء والصيف والجبال والسهول تجتدهم بالقوة وتوعددهم الغنائم

(١) مات : ذاب (مجمع البحرين ٣ / ١٧٣٤) .

(٢) الغارات ٢ / ٤٥٨ ، أنساب الأشراف ٣ / ١٥٦ ، تاريخ دمشق ٤٢ / ٥٣٤ ، نهج البلاغة الخطبة ١٨٠ ، تاريخ الطبري ١٠٧ / ٥ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤١٣ ، الفتوح ٤ / ٢٣٧ .

(٣) الإرشاد ١ / ٢٨٠ ، الاحتجاج ١ / ٤١٣ ح ٨٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٦٠٦ ، الطبقات الكبرى ٥ / ٩٣ .

(٤) البحار ٨ / ٧٠١ ، الإرشاد ، المفيد ٢٧٧ .

فكانوا يلتحقون بجيوشهم بسرعة كبيرة . لكن هؤلاء استكانوا إلى الحرية الكاملة التي أعطاها لهم الإمام وعدم إقدامه على قتلهم فلم يطيعوه في خطبه^(١) .

آخر خطبة للإمام عليه السلام

خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جمعة بن هبيرة الخزومي ، وعليه مدرعة من صوف وحماثل سيفه ليف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكان جبينه ثفنة بعير . فقال عليه السلام :

« الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق ، وعواقب الأمر . نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه ، ونوامي فضله وامتنانه ، حمداً يكون لحقه قضاء ، ولشكره أداءً ، وإلى ثوابه مقرّباً ، ولحسن مزیده موجّباً . ونستعين به استعانة راج لفضله ، مؤمّل لنفعه ، واثق بدفعه ، معترف له بالطول ، ومدعن له بالعمل والقول . ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً ، وأتاب إليه مؤمناً ، وخنع له مذعناً ، وأخلص له موخداً ، وعظّمه مجدداً ، ولاذ به راغباً مجتهداً .

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً ، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً . ولم يتقدّمه وقت ولا زمان . ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان ، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم .

فن شواهد خلقه خلق السموات موطّادات بلا عمد ، قائمات بلا سند . دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات ، غير متلكنّات ولا مبطنّات . ولولا إقرارهنّ له بالربوبية وإذاعتهنّ بالطواعية لما جعلهنّ موضعاً لعرشه ، ولا مسكناً لملائكته ، ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه . جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها

(١) أنساب الأشراف ٣ / ٢٣٥ .

الحيران في مختلف فيجاج^(١) الأقطار. لم يمنع ضوء نورها ادلهام سجع الليل المظلم. ولا استطاعت جلايبب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السموات من تلالؤ نور القمر.

فسبحان من لا يخفى عليه سواد غَسَقِ داجٍ ولا ليل ساجٍ في بقاع الأرضين المتطأطات، ولا في فيجاج الشُّع^(٢) المتجاورات. وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء، ويعلم مسقط القطرة ومقرّها، ومسحب الذرة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأُنثى في بطنها.

الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش، أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس، لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم. ولا يشغله سائل، ولا يتقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحذّ بأين. ولا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج. ولا يدرك بالحواس. ولا يقاس بالناس. الذي كلّم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً. بلا جوارح ولا أدوات، ولا نطق ولا لهوات.

بل إن كنت صادقاً أمّيا المتكلّف لو صف ربك فصف جبرائيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدس مرجحتين^(٣)، متوهّة عقولهم أن يحذّوا أحسن الخالقين. فإنّما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء؛ فلا إله إلا هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كلّ نور.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش. ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلماً، أو إلى دفع الموت سيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سخّر له ملك الجنّ والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة، فلمّا استوفى

(١) الفجاج: جمع فجع؛ وهو الطريق الواسع (النهاية ٣ / ٤١٢).

(٢) الفيّاج: المرتفع من كلّ شيء. والمراد بها الجبال.

(٣) ارجحجن الشيء: إذا مال من ثقله وتحرك (النهاية ٢ / ١٩٨).

طعمته، واستكمل مدّته، رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمسكن معطّلة، وورثها قوم آخرون، وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة! أين العالقة وأبناء العالقة! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة! أين أصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيّين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبارين؛ وأين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالألوف. وعسكروا العساكر ومدّوا المدائن.

ومنها: قد لبس للحكمة جنّتها، وأخذها بجميع أديها من الإقبال عليها، والمعرفة بها، والتفرّغ لها؛ فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها؛ فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب^(١) ذنبه، وألصق الأرض بجيرانه^(٢). بقية من بقايا حجّته، خليفة من خلائف أنبيائه.

ثمّ قال عليه السلام: أيّها الناس! إنّي قد بنّيت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أمّهم، وأديت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبّتكم بسوطي فلم تستقيموا. وحدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا^(٣). لله أنتم! أتتوقّعون إماماً غيري يظأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل؟ ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمع^(٤) الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى.

ما ضرّ إخواننا الذين شفكت دماؤهم وهم بصفين ألا يكونوا اليوم أحياء؟ سيسغون الغصص ويشربون الرّثق^(٥). قد - والله - لقوا الله فوقأهم أجورهم،

(١) عسيب الذنب: منبته من الجلد: العظم (لسان العرب ١ / ٥٩٩).

(٢) الجران: مقدّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر، والبعير أقلّ ما يكون نفعه عند بروكه، وإلصاق جرائه بالأرض كناية عن الضعف.

(٣) استوسق: استجمع وانضمّ. واستوسق عليه أمرهم: أي اجتمعوا على طاعته (النهاية ٥ /

١٨٥).

(٤) أزمع: عدا وخفّ (لسان العرب ٨ / ١٤٣).

(٥) مارتق: كدر (لسان العرب ١٠ / ١٢٧).

وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم .

أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التّمّان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة .

قال: ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثمّ قال عليه السلام: أوّه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكوه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة وأمانوا البدعة. دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبموه .

ثمّ نادى بأعلى صوته: الجهاد الجهاد عباد الله! ألا وإني معسكر في يومي هذا؛ فن أراد الرواح إلى الله فليخرج! .»

قال: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر وهو يريد الرجعة إلى صفّين، فما دارت الجمعة حتّى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكتنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان^(١).

الفصل الثالث: عمرو بن العاص

نسبه

ولد عمرو في سنة ٤٠ قبل الهجرة الشريفة التي هاجرها رسول الله بصحبه رفيقه عبدالله بن بكر الديلي^(١).

وقد ذكر ابن الكلبي (هشام بن محمد) المتوفّي في سنة ٢٠٤ هجرية نسبه في كتابه مثالب العرب^(٢) قائلاً: وأمّا النابغة أمّ عمرو بن العاص -هي حبشية- فإنها كانت بغيّة، قدمت مكّة ومعها بنات لها فوقع عليها العاص بن وائل في عدّة من قريش، منهم: أبو لهب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان، فولدت عمراً فتخاصم القوم جميعاً فيه، كل يزعم أنّه ابنه.

ثمّ أضرب عنه ثلاثه، وأكبّ عليه اثنان وهما: العاص بن وائل وأبو سفيان ابن حرب، فحكّم أمّه فيه، فقالت: للعاص. فقيل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعت؟ وأبو سفيان أشرف من العاص؟

فقالت: إنّ العاص كان ينفق على بناتي، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليّ العاص شيئاً، وخفت الضيعة.

وزعم ابنها عمرو بن العاص أنّ أمّه من عنزه بن أسد بن ربيعة، كما ذكره سبط بن الجوزي^(٣)

وروى معظم المفسرين أنّ آية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قد نزلت فيه^(٤). فبيّن القرآن نسبه الوضيع ونسب أبنائه أيضاً؛ فيكون ابناؤه ليس من صلبه وأيد ذلك

(١) راجع كتاب صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر للمؤلف.

(٢) مثالب العرب، باب تسمية ذوي الرايات، هشام بن محمد الكلبي.

(٣) التذكرة ١١٧، السيرة الحلبية ٤٧/١، العقد الفريد ١٦٤/١.

(٤) الطبقات، ابن سعد ١١٥/١، المعارف، ابن قتيبة ١٢٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣٠/٧.

غاثة وقد قال الإمام علي عليه السلام عنه: الأبتَر بن الأبتَر^(١).

اذ قالت غاثة بنت غانم لعمر: إني والله لعارفةٌ بعيوبك وعيوب أمك، وإني أذكر لك ذلك عيباً عيباً؛ ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء، تسول من قيام، وتعلوها اللثام، إذا لامسها الفحل كانت نطقها أنفذ من نطقته، ركبتها في يوم واحد أربعون رجلاً؛ وأما أنت فقد رأيتك غاوباً غير راشد ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت^(٢).

وروى أبو عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩هـ^(٣): أن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان، والعاص بن وائل وفي ذلك قال حسان بن ثابت: أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك من بيِّنات الدلائل وقال الإمام الحسن لعمر بن العاص بمحضر معاوية وواعوانه: أمّا أنت يا ابن العاص فان أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزأها الأهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثم قام أبوك فقال: أنا شافني محمد الأبتَر، فأنزك الله فيه ما أنزل^(٤).

(١) جمهرة الرسائل ٤٨٦/١.

(٢) المحاسن والأضداد، الجاحظ ١٠٢-١٠٤، المحاسن والمساوي، البيهقي ٦٩/١-٧١، وذكرت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب نسب معاوية وعمر بن العاص الوضيع أيضاً، بلاغات النساء ص ٢٧، العقد الفريد ١٦٤/١، روض المناظر ٤/٨، ثمرات الاوراق ١٣٢/١، دائرة المعارف لفريد وجدي ٢١٥/١.

وقال ابن عباس لعمر: إنك من اللثام الفجرة... دخلت في قريش ولست منها، فانت الساقط بين فراشين لا في بني هاشم رحلك ولا في بني عبد شمس رحلتك، فانت الاثيم الزنيم، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٠٣/٣.

(٣) كتاب الأنساب، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٠/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠١/٢.

أفعاله

وشارك عمرو في محاولة قتل النبي ﷺ قبل الهجرة ومحاولة قتل المسلمين في الحبشة وشارك في إجهاض زينب ربيبة النبي ﷺ ومحاولة قتل فاطمة بنت محمد ﷺ.

وقال النبي ﷺ في ابن العاص: اللهم إن عمرو بن العاص هجاني وأنت تعلم أنني لست بشاعر فالعنه مكان كل بيت هجاني لعنة^(١).

وأسلم عمرو مع خالد بن الوليد سنة ٨ هجرية عندما شاهد توسع الدولة الإسلامية رغبة منه في المال والسلطة.

وقد كان عمرو بن العاص من دهاة العرب لا يقل مكرأ عن كعب الاحبار، وبينما كان كعب يخدم اليهودية كان ابن العاص يخدم الكفر!

وقد مرّت علاقة ابن العاص مع عمر بحالات قوة وفتور، ففي زمن الرسول ﷺ وبالذات في معركة ذات السلاسل كانت فاترة، وفي السقيفة التحق ابن العاص (المتربّب للفرص) بركب أبي بكر، وعندما شاهد اشكالا في علاقة الانصار مع الحكومة، تقدّم مسرعاً للنيل من الانصار ما استطاع الى ذلك سبيلاً^(٢). فأصبحت علاقته مع الدولة جيدة، فأرسله أبو بكر قائداً لجيش، ففتح مصر واصبح والياً عليها بأمر عمر. وقيل: إن ابن العاص هو الذي لُقّب عمر بأمر المؤمنين وليس المغيرة.

ولمّا ضعفت العلاقة بينهما حيناً قال ابن العاص: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر. والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية لا تجاوز مابض ركبتيه، وعلى عنقه حزمة حطب^(٣).

وكانت بين عمر بن الخطاب وعمر بن العاص هتات، ذكرها الحاكم في

(١) الاحتجاج ٣٦ / ٢، الإيضاح ٨٤، شرح النهج ٢٨٢ / ٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩/٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٨/١.

كتاب المغازي^(١) قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وفهم أبو بكر وعمر، فلما انتهوا إلى مكان الحرب، أمرهم عمرو أن لا ينزروا ناراً، فغضب عمر بن الخطاب، وهم أن ينال منه، فنهاه أبو بكر وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر^(٢).

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وكان عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: سلام عليك، فإنه بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك، فاكتب إلي من أين أصل هذا المال؟ ولا تكتمه.

فكتب إليه عمرو بن العاص: إلى عبد الله أمير المؤمنين سلام عليك فأبى أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي وإنه يعرفني قبل ذلك لا مال لي، وإني أعلم أمير المؤمنين أنني في أرض السعير فيها رخيص، وإني أعالج من الحرقة والزراعة ما يعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة، والله لو رأيت خياتك حلالاً ما خنتك، فاقصر أيها الرجل، فإن لنا أحساباً، هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها، ولعمري إن عندك من تدوم معيشته ولا تدوم له، فأبى كان ذلك، ولم يفتح قفلك ولن نشرك في عملك.

فكتب إليه عمر: أما بعد: فأبى والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر، ونسقت الكلام في غير مرجع لا يغني عنك أن تزكي نفسك، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة، فشاطره مالك، فأنتم أيها الامراء، جلستم على عيون المال لم يزعجكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام. فلما قدم عليه محمد بن مسلمة، صنع له عمرو طعاماً كثيراً، فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئاً، فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟

(١) كتاب المغازي، الحاكم ٤٣/٣.

(٢) أخرجه الذهبي في التلخيص.

فقال: لو قدمت إلي طعام الضيف أكلته، ولكنك قدمت إلي طعاماً هو مقدمة شر، والله لا أشرب عندك ماءً، فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكفه، فشاطره ماله باجمعه، حتى بقيت نعلاه فأخذ أحدها وترك الأخرى، فغضب عمرو بن العاص فقال: يا محمد بن سلمة قبح الله زماناً أصبح فيه عمرو بن العاص واليا لعمر بن الخطاب، والله إنني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الخطب، وعلى ابنه مثلها، وما منها إلا في غمرة لا تبلغ رسغيه، والله ما كان العاصي بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مززراً بالذهب.

قال له محمد: أسكت والله عمر خير منك وأما أبوك وأبوه في النار، والله لولا الزمان الذي سبقته فيه لألقت معقل شاة يسرك غزرها ويسرك بكرها.

فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله، فلم يخبر بها عمر.

وكان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يضرب في كلامه (يخلط) قال: أشهد أن الذي خلقتك وخلق عمرو بن العاص واحد^(١). والظاهر أن عمر قد كان معجباً بكلام عمرو بن العاص وتوجهاته، والنص السابق شاهد على ذلك، مثلما كان معجباً بمعاوية فوصفه بكسرى العرب. والملاحظ من سيرة عمر أنها مليئة بالمكائد والحيل فقد أرسله أهل قريش إلى الحبشة لأرجاع المسلمين لقتلهم والانتقام منهم. وفي سفره إلى الحبشة مع عمارة بن الوليد بن المغيرة نراه قد أقدم على قتل رفيق سفره بمكيدة شيطانية^(٢).

وبعد وفاة النبي ﷺ حاول ابن العاص الحصول على منصب عالٍ في الدولة، فأعلن عن انضمامه إلى حزب قريش المعادي لأهل البيت ﷺ والأنصار. وعلى الأثر ولآه عمر فلسطين ثم ولآه على جيوش مصر. ولما عزل عثمان

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ٥٨٧/٥، وقال ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً

(٢) الإصابة ٣/٥.

(٢) نسب قريش ٣٢٢.

أقام الدنيا ولم يقعدھا عليه.

وعندما قُتِلَ عثمان قال عمرو بن العاص: قتلته وأنا في الشام^(١). وبعد فترة قصيرة وعلى أثر اتفاقه مع معاوية على إستلام ولاية مصر مقابل دعمه لمعاوية أعلن عمرو المطالبة بدم عثمان فكانت صفقة لبيع دين بدنياه^(٢).

وقال ابن العاص لمعاوية: لا اعطيك ديني حتى آخذ من دنياك، قال معاوية: لك مصر طعمة^(٣).

وقد قال خالد بن سعيد بن العاص (والي الرسول ﷺ على اليمن): يا معشر قريش إنَّ عمراً دخل في الإسلام حين لم يجد بداً من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه^(٤).

وكان عمر قد انتحل الإسلام انتحالاً مستتبناً الكفر بعد قول ملك الحبشة له: ويحك يا عمرو أظنني وأتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده^(٥).

وقال علي بن أبي طالب عن ابن العاص ومعاوية واعوانهم: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منا، الا أنهم لم يدعوا الصلاة^(٦).

ولما قال معاوية لعمرو: اتبعني.

قال: لماذا، للأخرة؟ فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون

شريكك فيها. قال: فانت شريكي فيها^(١).

ولما رحل عمرو بن العاص إلى المعاوية قال ابنه عبد الله بن عمرو: بال الشيخ على عقيبه، وباع دينه بدنياه^(٢). وقال عتبة بن أبي سفيان لمعاوية:

أعط عَثْرًا إِنَّ عَثْرًا تارك دِينَهُ اليوم لدنيا لم تُحْزَ

وبعد خروج عمرو من رحل معاوية سأله ابنه: ما صنعت؟

قال: أعطانا مصر.

قالا: وما مصر في ملك العرب.

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر^(٣).

وقال عمار لابن العاص: بعث دينك بمصر، تياً لك، وطالماً بغيت الإسلام عوجاً، والله ما قصدك وقصد عدو الله ابن عدو الله بالتعلل بدم عثمان إلا الدنيا^(٤).

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي أن المعتزلة تصف عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان بالالحاد^(٥).

ونقل أبو يعلى قائلًا: كنا مع النبي ﷺ فسمع صوت غناء، فقال: انظروا، فصعدت فنظرت، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت فأخبرت النبي ﷺ فقال: اللهم إركسهما في الفتنة ركساً، اللهم دعهما إلى النار دعاً.

وقد أخرج الحديث أحمد بن حنبل، وأبيد السيوطي، وقال: وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير عنه قائلًا: سمع النبي ﷺ صوت رجلين يتغنيان وهما يقولان:

(١) العقد الفريد ١٤٤/٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦٣/٢ خطبة ٢٦.

(٣) وقعة صفين ص ٣٤-٤٠، شرح نهج البلاغة ٦١/٢-٦٧ خطبة ٢٦، تاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢-١٨٦، رغبة الأمل في كتاب الكامل مع ٢/ج ٣، ٢١٠/٣، قصص العرب ٣٦٨/٢ رقم ١٤٩.

(٤) التذكرة، ابن الجوزي ص ٩٢، وقعة صفين ص ٣٢٠.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٣٧/٤.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٣/٢، تاريخ الطبري ٥٥٩/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٠/٣.

(٣) وقعة صفين ص ٣٤-٣٩، تاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢-١٨٦، تاريخ ابن خلدون ٦٢٥/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٢/٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٣١٩/٣.

(٦) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢١٥.

ولا يزال جواد يتلوح عظامه ذوي الحرب عنه أن يجن فيقبرا
فسأل عنها فقيل له: معاوية وإبن العاص فقال عليه السلام: اللهم إركسهما في الفتنة
ركساً، ودعها إلى النار دعاً.
وهذا القول شاهد على كفرهما، وهو يضاف إلى أقواله السابقة عليه السلام في بني
أمية.

ولما أرسل عثمان ابن العاص إلى ثوار العراق ومصر قالوا له: لا سلم
الله عليك! إرجع يا عدو الله ارجع يا ابن النابغة! فلست عندنا بأمين ولا مأمون^(١).
واراد ابن العاص فتح الاسكندرية للغنيمه! فكذب على عثمان بن عفان
وآدعى أنهم تقضوا عهدهم مع المسلمين. فعهد إليه، فحارب أهلها وافتتحها، وقتل
المقاتلة، وسبي الذرية، فنقم ذلك عليه عثمان، ولم يصحّ عنده تقضهم العهد، فأمر برد
السبي الذين سبوا من القرى إلى مواضعهم، وعزل عمراً من مصر^(٢).
ولما أتاه خبر مقتل عثمان قال: أنا أبو عبد الله إذا تكأت قرحة أدميتها وقال:
أنا أبو عبد الله قتلته وأنا يوادى السباع. ثم قال لمعاوية: أم والله إن قاتلنا معك
نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله
وقرابتة، (علياً عليه السلام)، ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية وعطف عليه^(٣).
وعندما قال عمرو بن العاص: أشهد ان لا إله إلا الله، قال له عمار بن ياسر: اسكت
فقد تركتها في حياة محمد ومن بعده يا عمرو بعت دينك تباً لك^(٤).
وقال خالد بن سعيد بن العاص: يا معشر قريش إن عمراً (ابن العاص)

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ١١١/٥-١١٢.

(٢) الاستيعاب ٤٣٥/٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٢/٢.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري ٧٤/٥-٨٧، تاريخ الطبري ١٠٨/٥-١٢٤، الكامل في التاريخ،
ابن الأثير ٦٨/٣، تذكرة السبط ٤٩، جمهرة رسائل العرب ٢٨٨، شرح نهج البلاغة، ابن
أبي الحديد ١٠٢/٢.(٤) التذكرة، سبط ابن الجوزي ٥٣، كتاب صفين، نصرب بن مزاحم ١٧٦، شرح نهج البلاغة، ابن
أبي الحديد ٣٧٣/٢.

دخل في الإسلام حين لم يجد بداً من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيد به كاده
بلسانه، وإن من كيد الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار^(١).
وابن العاص الذي اتفقت الآراء على كفره، ولعنه النبي عليه السلام، كيف يتولى
ولاية مصر طيلة حكم عمر بن الخطاب؟! وقد قال ابن العاص: إنما أردنا هذه
الدنيا^(٢).

وقال ابن عمر: وأما انت يا عمرو فظنون^(٣).

وكان عمرو يؤذي رسول الله عليه السلام بمكّة، ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة،
إذ كان عليه السلام يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة، وكان عمرو يجعل له الحجارة في
مسلكه ليعترض بها، وكان ابن الخطاب يؤذي النبي عليه السلام أيضاً قبل اسلامه.
وعمر وأحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله عليه السلام لما خرجت
مهاجرة من مكّة إلى المدينة، فروّعوها وقرّعوا هودجها بكعوب الرماح، حتى
أجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن الربيع بعلمها، فلما بلغ ذلك رسول الله عليه السلام نال
منه وشقّ عليه مشقة شديدة ولعنهم^(٤)، وقتل عمر وعمرو وآخرون محسن بن
فاطمة عليه السلام.

والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية: إذا
قرأت كتابي فأقبل معزولاً، فباطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمر
كنت أوظئه وأهيينه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك! قال: أوقد فعلت؟
قال: نعم.

قال: ارجع إلى عملك.

فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٢/٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٠/٣.

(٣) وقعة صفين ص ٦٣.

(٤) روى ذلك الواقدي، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٨٢/٦.

غبي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن (البصري): فن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة^(١).

اغتيال ابن العاص بيد معاوية

ولم يحكم عمرو في مصر بعد مقتل الإمام علي عليه السلام إلا ثلاث سنين فتوفي في سنة ٤٣ هـ وقال قبل وفاته لابنه: أصلحت لمعاوية ديناه، وأفسدت ديني آثرت دنياي وتركت آخري، عُمي علي رشدي حتى حضرني أجلي، كأني بمعاوية قد حوى مالي، وأساء فيكم خلافتي.

ثم استصفي معاوية) مال عمر.. وولى أخاه عتبة ابن أبي سفيان مصر^(٢) وعزل ابن عمرو بن العاص عن الحكم وكان معاوية قد عاهد ابن العاص على إعطائه مصر طعمه له ولعائلته، لكنه سرعان ما نقض اتفاقه المذكور!

وعن الأعمال الدنيوية المعادية لله سبحانه وتعالى قال الحسن البصري: أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، وعندما حارب عمرو بن العاص علياً عليه السلام في معركة صفين وبيده لواء رسول الله ﷺ قال علي عليه السلام: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ وقال: «مَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ؟»

فقال عمرو: وما حقه يا رسول الله؟

فقال: لا تفرّ به من كافر، ولا تُقاتل به مسلماً، فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ، وقد قاتل به المسلمون اليوم^(٣).

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١/٢٠٥.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢/٢٢٢.

(٣) الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ط. الحلبي وشركاه ٥/١٧٤.

بنو أمية الشجرة الملعونة في القرآن وعلى لسان النبي ﷺ

قال أبو ذرّ لعثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً^(١).

وعن أبي بركة الأسلمي، قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وذكره الهيثمي في مجمعته قال: رواه أبو يعلى^(٢).

وعن عمر بن الخطاب، في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾^(٣).

قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية، قال: أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه^(٤).

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير في ذيل تفسير الآية:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(٥).

والآية تقصد بني أمية وفيهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان والحكم بن أبي العاص ومروان وأولاده، وفعلًا كانت أفعالهم سيئة طبقاً للآية القرآنية.

(١) ذكره المتقي أيضاً في كنز العمال ٦ / ٣٩ وقال: ومال الله دخلاً، وقال: أخرجه ابن عساكر. المستدرک على الصحيحين ٤ / ٥٢٥ - ٥٢٦ ح ٨٤٧٥ و ٨٤٧٦، كنز العمال ١١ / ١٦٥ ح ٣١٠٥٨.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٤ / ٥٢٨ ح ٨٤٨٢، مجمع الزوائد ١٠ / ٧١، المعجم الكبير للطبراني ١٨ / ٢٢٩ ح ٥٧٢، وانظر أيضاً الحديث الذي ذكره المؤلف في ص ٢٨٧ عن أبي سعيد الخدري، مجمع الهيثمي ١٠ / ٧١.

(٣) ابراهيم ٢٨.

(٤) تفسير الطبري ٨ / ٢١٩، الدر المنثور ٥ / ٤١، تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٣٧٧، كنز العمال ٢ / ٤٤٤ ح ٤٤٥٢.

(٥) الإسراء ٦٠.

ورأى رسول الله ﷺ في المنام إن ولد مروان يتداولون منبره، فقص رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته معها، فلما تفرقوا سمع رسول الله ﷺ الحكم يخبر برؤيا رسول الله ﷺ فاشتد ذلك عليه وأتهم عمر في إفشاء سره. وكان الحكم يتسمع اليهم فنفاه رسول الله ﷺ، إلى أن قال: ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنه الله (١).

فالمدهش هنا إفشاء عمر لسر النبي ﷺ إلى الحكم بن أبي العاص المنافق ثم إقدام عمر على إعطاء الحكم إلى بني أمية يوم أوصى إلى عثمان الأموي.

فهرس الكتاب

٣	الباب الأول
٣	الإدارة عند أمير المؤمنين
٥	الفصل الأول: نظرية الامام الادارية
٥	إدارة الإمام عليه السلام لشؤون الناس
٨	متابعة مظالم الناس
٩	الولاية والإدارة عند الإمام عليه السلام
٩	ومراعاة الدين
١٠	تحقيق الحق
١١	مراقبة الولاية
١٢	عزل من ثبتت خيانتته من العمال
١٣	محاسبة الولاية
١٥	شرط الورع
١٦	محاسبة الولاية والعمال
١٦	اعطاء الرواتب للعمال ومحاسبتهم
١٧	المحسن والمسيء في قاموس الإمام عليه السلام
١٨	تربية عماله
١٩	فتنة الولاية من وراؤها؟
٢٠	الفصل الثاني: الولاية
٢٠	قدامة بن عجلان
٢٢	المنذر بن الجارود

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠ / ٢٣٧ .

٢٢	المسيء زياد بن أبيه
٢٣	خيابة زياد
٢٤	نسب زياد بن أبيه وأعماله في البصرة
٢٦	كتابه عليه السلام إلى زياد
٢٨	شرح القاضي
٣٠	سهل بن حنيف والي المدينة
٣١	عثمان بن حنيف
٣٢	رسالة الإمام الحضارية الأخلاقية
٣٦	رسالة ثانية من الإمام لعثمان
٣٧	أبو الأسود الدؤلي والي البصرة
٤٠	رسالة الإمام إلى أهل البصرة
٤١	رسائله عليه السلام إلى أحد ولاته المنحرفين
٤٢	محاسبة عبدالله بن عباس
٤٥	اتهامه بسرقة بيت المال
٤٨	الاعتذار عن الخيانة
٤٩	قثم بن العباس والي مكة
٥١	رسالة أخرى إلى قثم
٥٢	عبيدالله بن العباس
٥٣	عمر بن أبي سلمة والي البحرين
٥٤	النعمان بن عجلان
٥٦	مخنف بن سليم والي أصبهان
٥٧	الشيثاني والي الإمام عليه السلام على أردشير خزره
٥٨	كميل بن زياد على هيت

	الفصل الثالث: الملتحقون بمعوية من المناقطين
٦٠	المهاريون الى معاوية
٦٠	هروب مصقلة الى معاوية
٦١	هروب اللصّ القعقاع بن شور
٦٢	هروب مولى للإمام عليه السلام إلى معاوية
٦٢	هروب النعمان بن العجلان
٦٣	هروب يزيد بن حبيّة
٦٤	فيمن لحق بمعوية من أهل المدينة
٦٥	سقوط بسبب المادّة
٦٥	من وراء الاختلافات الداخلية
٦٧	ومن ضعاف الإيمان جرير بن عبدالله البجلي
٦٧	ومن المناقطين وائل بن حجر
٦٨	هروب شاعر الكوفة الفاسق إلى معاوية
٧٠	هروب طارق بن عبدالله إلى الشام
٧١	هروب حنظلة الكاتب إلى معاوية
٧١	هروب عبدالله بن عبدالرحمن
٧٢	الفصل الرابع: مالك الأشتر وابن ابي بكر رسالة الإمام عليه السلام إلى أهالي مصر
٧٢	مالك الأشتر والي مصر
٧٦	عهد الإمام عليه السلام للأشتر
٧٧	دستور الدولة الإسلامية (العهد إلى مالك)
٩٦	حركة الأشتر إلى مصر
٩٧	شهادة الأشتر بسمّ معاوية
١٠٠	ترحم الإمام عليه السلام على الأشتر

١٠١	تأيين الإمام للملك
١٠١	سرور معاوية بقتل الأشتر
١٠٢	محمد بن أبي بكر
١٠٣	عهد الإمام لمحمد بن أبي بكر
١٠٥	صورة أخرى من عهد الإمام لمحمد بن أبي بكر
١٠٧	رسالة محمد بن أبي بكر إلى معاوية
١٠٨	جواب معاوية الشافي والكافي
١١٠	شهادة محمد بن أبي بكر
١١١	ابن أبي بكر وابن أبي سفيان مثالان للطهر والعهر
١١٢	رسالة الإمام إلى محمد بن أبي بكر
١١٣	جواب محمد بن أبي بكر
١١٤	هجوم ابن العاص على مصر
١١٥	ابن أبي بكر يطلب النجدة
١١٥	رسالة الإمام للجوابية
١١٦	دعوة الناس لإنقاذ مصر
١١٨	شهادة محمد بن أبي بكر
١٢٠	حزن الإمام على مقتل ابن أبي بكر
	الباب الثاني: سيرة الخوارج المتأرجحة
١٢١	الفصل الاول: مروق الخوارج من الدين؟
١٢٣	بداية تجمع الخوارج
١٢٦	قول النبي ﷺ في الخوارج
١٢٧	مقتل ابن خباب وامراته وهي حبل
١٢٧	زهد الخوارج الحواوي

١٣١	رسالة الإمام عليه السلام إلى الخوارج
١٣٢	وصول عسكر الإمام إلى النخيلة
١٣٣	اضطرار الإمام عليه السلام لحرب الخوارج
	الفصل الثاني: معركة النهروان
١٣٥	الطريق إلى النهروان
١٣٦	زمن معركة النهروان
١٣٦	أرض المعركة
١٣٧	تعداد القوّات المشاركة
١٣٨	زعامة جيش الإمام عليه السلام
١٣٩	زعامة جيش الخوارج
١٣٩	خطبة الإمام عليه السلام للخوارج
١٤٠	توبة بعض الخوارج بعد خطبة الإمام عليه السلام
١٤١	تعبد الخوارج المنحرف
١٤٣	وصول الإمام علي عليه السلام إلى النهروان
١٤٣	علم غيب الإمام عليه السلام
١٤٦	حديث قيس بن سعد مع الخوارج
١٤٧	هداية بعض الخوارج
١٤٨	خوض الإمام عليه السلام القتال
١٤٩	عبدالله بن وهب
١٥٢	ثقافة ذي التدية الاعرابية
١٥٢	حرقوص بن زهير (ذو التدية)
١٥٣	العثور على جسد ذي التدية
	الفصل الثالث: مرض العصيان

- ١٥٤ عصيان الخوارج المستمر
- ١٥٦ عصيان الخريزت الخارجي
- ١٥٨ السياسة الشرعية في جرحي وغنائم الخوارج
- ١٥٩ شمر بن ذي الجوشن
- ١٥٩ شيب بن ربيعي
- ١٥٩ قول علي عليه السلام في الخوارج
- ١٦٠ الخوارج في نظر الشرع
- ١٦٢ الأشعري مربي القراء الخوارج
- ١٦٣ هل كان الأشعري مؤسساً لفرقة الخوارج؟
- ١٦٤ ابن الكواء الخارجي
- ١٧٠ الدلائل والعبر
- ١٧٥ الباب الثالث: الغارات الهمجية
- ١٧٥ الفصل الاول: غارة ابن الحضرمي على البصرة
- ١٧٨ غارة النعمان بن بشير المناق
- ١٧٩ غارة سفيان بن عوف العامدي
- ١٨٠ غارة عبدالرحمن بن قبات
- ١٨٢ غارة عبدالله بن مسعدة
- ١٨٣ غارة الضحالك بن قيس
- ١٨٤ غارة بسر بن أرطأة
- ١٨٧ جبن قيادات معاوية وشجاعة قيادات الإمام عليه السلام
- ١٨٩ الفصل الثاني: ثقافة الغزو والغنائم والتجنيد الاجباري
- ١٨٩ خطاب الامام في كسل الناس وركونهم الى الراحة
- ١٩٣ ثقافة العصا والمال

- ١٩٦ شعب لا يصلح إلا بالسيف
- ١٩٧ موعظة الإمام عليه السلام لأهل الكوفة
- ٢٠٢ أسباب التقاعس في جيش الكوفة
- ٢٠٣ العطاء الاسلامي للناس لماذا؟
- ٢٠٤ دعاء الإمام عليه السلام على أهالي الكوفة
- ٢٠٥ آخر خطبة للإمام عليه السلام
- ٢٠٩ الفصل الثالث: عمرو بن العاص
- ٢٠٩ الأسباب نسيية أم متهجية؟
- ٢٠٩ ابن هند
- ٢١٥ عمرو بن العاص نسبه وأفعاله
- ٢١٩ بنو أمية الشجرة الملعونة في القرآن وعلى لسان النبي ﷺ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله من جملة ما انعم الله تعالى على العالم البخائة المحقق
نجاح الطائي ان وفقه لتأليف كتب كثيرة كشف النقاب فيها عن
أحداث مختلقة و جنائات صدرت من سلاطين الجور تمكنوا من
سترها ١٤٠٠ سنة بمساعدة المؤرخين و المحدثين و الرجاليين
فأحدثت أصداءً قوية في العالم على رأسها :
عدم حضور ابي بكر في الغار، و شهادة النبي (ص)، و اغتيال ابي بكر
و حكومته، و كذب مذابح اليهود بيد البابليين، و كذب مقتل أسرى يهود
بني قريظة بيد رسول الله (ص).

آية الله ابراهيم الانصاري الخوئي

رمضان ١٤٢٤